



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه و آله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الازمنه و الامكنه

كاتب:

احمد بن محمد مرزوقى اصفهانى

نشرت فى الطباعة:

دار الكتب العلميه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|-----|--|
| ٥ | الفهرس |
| ٩ | الازمنه و الامكنه المجلد ١ |
| ٩ | اشاره |
| ٩ | اشاره |
| ١١ | مقدمه |
| ١٣ | [مقدمه المصنف] |
| ٢٥ | ذكر أبواب الأزمنه و الأمكنه، و فصولها |
| ٣٠ | الباب الأول [في تعظيم شأن القرآن و فصل بيانه بالتظم العجيب و التأليف الرصيف] |
| ٣٠ | اشاره |
| ٧٨ | فصل في بيان النسي ء |
| ٨٠ | فصل في تأويل أخبار مرويه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و الصحابه و بيان ما يحمده و يذمه من معتقدات العرب في الأنواء و البوارح |
| ٨٧ | فصل آخر [في بيان معنى الرؤيه لله تعالى الوارده في القرآن] |
| ٨٨ | فصل آخر في جواب مسائل للمشبهه من الكتاب و السنه مما تستدل به المشبهه |
| ٩٢ | فصل آخر و هو بيان قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [سوره الأنعام، الآيه: ١٢٤] |
| ٩٣ | فصل في تبيين المحكم و المتشابه |
| ٩٨ | فصل الاستدلال بالشاهد على الغائب |
| ١٠٠ | فصل في أسماء الله و صفاته و أحكامه (و بيان الأصوات كيف تكون حروفا، و الحروف كيف تصير كلاما) |
| ١٠٣ | فصل آخر [في أنّ اللغه لا يجوز أن يكون فيها غلط] |
| ١١٣ | الباب الثاني في ذكر أسماء و معان للزمان و المكان |
| ١١٣ | اشاره |
| ١١٣ | فصل [في أن أسماء الزمان و المكان إنما تسمى ظروفًا إذا كانت محتويه لما هي ظروف لها] |
| ١١٥ | فصل في ماهيه الزمان |
| ١٢٠ | فصل [في بيان أنواع الضلال] |
| ١٢٣ | فصل آخر يزداد الناظر فيه و العارف به استبصارا فيما وضع الباب له |

| | |
|-----|---|
| ١٢٥ | الباب الثالث و يشتمل على بيان الليل و النهار |
| ١٢٥ | اشاره |
| ١٢٥ | الفصل الأول [فى بيان معنى الليل و النهار] |
| ١٢٧ | فصل آخر [فى بيان قوله الليله لليلتك التى أنت فيها، و البارحه لليله يومك الذى أنت فيه] |
| ١٢٩ | فصل آخر [فى بيان معنى البكره و العشى] |
| ١٣٢ | الباب الرابع فى ذكر ابتداء الزمان و أقسامه |
| ١٣٨ | الباب الخامس فى قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها |
| ١٤٥ | الباب السادس فى ذكر الأنواء، و اختلاف العرب فيها |
| ١٤٥ | اشاره |
| ١٤٩ | فصل فى ذكر أسماء المنازل و صفاتها |
| ١٦١ | فصل فى بيان الاختلاف الواقع بين العرب فى أوقات الأنواء و الكلام فى الضيقه |
| ١٦٣ | فصل و اعلم أن ما ذكرته من الطلوع و الغروب يختلف فيهما أحوال البلدان |
| ١٦٥ | الباب السابع فى تحديد سننى العرب و الفرس و الزوم و أوقات فصول السنه |
| ١٦٩ | الباب الثامن فى تقدير أوقات التهجد التى ذكرها الله تعالى فى كتابه عن نبيّه و الصحابه |
| ١٧٥ | الباب التاسع فى ذكر البوارح و الأمطار مقسمه على الفصول و البروج و فى ذكر المراقبه |
| ١٧٥ | اشاره |
| ١٧٩ | فصل فى المراقبه و المطالعه |
| ١٨٠ | الباب العاشر فى ذكر الأعياد و الأشهر الحرم و الأيام المعلومات، و الأيام المعدودات و الصلاه الوسطى |
| ١٨٠ | اشاره |
| ١٨٤ | [فصل فى] بيان الصلاه الوسطى: |
| ١٨٥ | فصل [فى ذكر العرب اسما تعلق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصفات و الأفعال] |
| ١٨٧ | الباب الحادى عشر فى ذكر- سحر- و غدوه- و بكره- و ما أشبهها |
| ١٨٧ | اشاره |
| ١٩٠ | فصل فى المحدود من الزمان و غير المحدود |
| ١٩٧ | الباب الثانى عشر فى لفظ أمس- و غد- و الحول- و السنه- و العام- و ما يتلو تلوه |
| ١٩٧ | اشاره |

| | |
|-----|--|
| ٢٠١ | فصل [فى تعريف العام و السنه] |
| ٢٠٦ | الباب الثالث عشر فيما جاء مثنى من أسماء الزّمان و اللّيل و التّهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها |
| ٢٠٦ | اشاره |
| ٢١٠ | فصل فى ترتيب الأوقات و تنزيلها |
| ٢١٣ | فصل فى قوله تعالى: ما ذا قالَ أنفأ [سوره محمد، الآيه: ١٦] |
| ٢١٦ | الباب الرابع عشر فى أسماء الأيّام على اختلاف اللّغات و مناسبات اشتقاقها و تشبيتها و جمعها |
| ٢٢٢ | الباب الخامس عشر فى أسماء الشّهور على اختلاف اللّغات، و ذكر اشتقاقاتها |
| ٢٢٢ | اشاره |
| ٢٢٢ | فصل [فى بيان] معنى الشّهر |
| ٢٣٠ | أسماء الشّهور العربيه غير الأسماء المشهوره: |
| ٢٣١ | فصل اعلم أنّ سرار الشّهر |
| ٢٣٤ | الباب السادس عشر فى أسماء الدّهر و أقطاعه |
| ٢٣٤ | اشاره |
| ٢٣٤ | فصل قالوا: الأزلم الجذع و الأزلم الجذع |
| ٢٤٠ | فصل فيما يجرى من التأكيدات فى أوقات الدّهر |
| ٢٤١ | الباب السابع عشر فى أقطاع الدّهر و أطراف التّهار و اللّيل- و طوائفهما |
| ٢٤١ | اشاره |
| ٢٤١ | فصل [فى بيان غبره و برهه و زمنه و طرقه و حقبه و هبه و سبه و غيرها] |
| ٢٤٦ | فصل [فى أن عادا سمّت الشّهور بأسماء] |
| ٢٤٧ | فصل [مستخرج من كتاب سيبويه فى الأماكن و الأوقات] |
| ٢٥٠ | الباب الثّامن عشر فى اشتقاق أسماء المنازل و البروج و صورها |
| ٢٥٠ | و ما يأخذ مأخذها و الكواكب السبعه و هو فصلان: |
| ٢٥٠ | فصل [فى بيان معنى] العواء |
| ٢٥٦ | فصل فى بيان الكواكب السبعه |
| ٢٥٩ | الباب التاسع عشر فى أقطاع اللّيل- و طوائفه- و ما يتّصل به و يجرى مجراه |
| ٢٦٨ | الباب العشرون فى أقطاع التّهار و طوائفه- و ما يتّصل به و يجرى مجراه |

سرشناسه : مرزوقی اصفهانی، احمد بن محمد، - ق ۴۲۱

عنوان و نام پدید آور : ...الازمنه و الامكنه/ تالیف ابی علی احمد بن محمد بن الحسن المرزوقی الاصفهانی؛ ضبطه و خرج آیاته خلیل المنصور

مشخصات نشر : بیروت : دارالکتب العلمیه ، ۱۹۹۶م. = ۱۴۱۷ق. = ۱۳۷۵.

مشخصات ظاهری : ص ۵۶۶

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه بصورت زیر نویس

موضوع : فضا و زمان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴

موضوع : زبان -- جنبه های مذهبی -- اسلام

موضوع : هستی شناسی (فلسفه اسلامی)

شناسه افزوده : منصور، خلیل

رده بندی کنگره : BD۶۳۲/م ۴ الف ۴ ۱۳۷۵

شماره کتابشناسی ملی : م ۸۱-۲۳۱۳۴

ص: ۱

نضع بين يدي قرائنا الكرام كتاب الأزمنه و الأمكنه فهو كتاب جامع شامل الموضوعات لها من الأهميه شأن كبير فى معرفه علوم زاد الاهتمام بها فى الماضى كثيرا و ما يزال الاهتمام بها فى العصر الحاضر يأخذ مجالا واسعا لكونها تبحث فى الطبيعه و فى حركه الكواكب و تسمياتها و قوانينها و هى قاعده انطلاق أساسيه فى العصر الحاضر للتعرف على الفضاء و على معرفه جوانب منه ما زالت غامضه و تشغل الكثير من العلماء فى العصر الحاضر و يعتبر الكشف عنها أو البحث فيها يخدم الإنسانيه فهى مترابطه إلى حد بعيد مع بعضها فالعلوم جميعا تكمل بعضها البعض فإثبات صحه تجربه علميه أحيانا و للتأكد من نجاحها يتطلب إجراء اختبارات لها فى الفضاء لهذا فإن أجدادنا العرب فى الماضى اهتموا كثيرا بالعلوم التى كان لها علاقه مباشره بحياتهم فى حلهم و ترحالهم و من أهم هذه العلوم علم الفلك الذى كان له دور كبير و مرتبطا ارتباطا وثيقا بهم لمعرفة أحوال الجو و للاهتداء بالنجوم و الكواكب فى السير و لمعرفة الزمن و أقسامه، و أدركوا مدى الارتباط بين الزمان و المكان و أهميه هذا الترابط الوثيق بينهما لدرجه أنه لا يمكن لأحدهما أن يكون بدون الآخر.

و قد قسّم الكتاب إلى أبواب و فصول اشتملت على مضمون الكتاب حسب تسلسل الحروف الأبجديه و قد بدأها فى ذكر الآى المنهيه من القرآن على نعم الله تعالى على خلقه فى آناء الليل و النهار و فى ذكر أسماء الزمان و المكان و متى تسمى ظروفها و معنى قول النحويين الزمان ظرف الأفعال. المهم أن العناوين تجسدت فيها روح النصوص و لم تنفصل عن بعضها البعض فكلها أعطت للكتاب أهميه خاصه فى جعله وحده متكامله مثل أسماء الشمس و أسماء القمر و ختمها فى ذكر مشاهير الكواكب التى تسمى الثابته و غيرها المتحركه.

أما المؤلف فقد كان له باع طويل فى رفد العلم بمؤلفاته الفريده فى فنون العلوم فقد

ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ١٧ / ٤٧٥ فقال إمام النحو أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي و ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدياء ٥ / ٣٤، ٣٥ كما ذكره صاحب كتاب انباه الرواه و غيره و قد عاش أبو علي و عمر طويلا فقد قارب التسعين عاما و توفي في ذي الحجه سنه إحدى و عشرين و أربع مائه و كان له أكبر الأثر في إتحاف المكتبه العربيه بمؤلفاته العلميه و الأدبيه.

[مقدمه المصنف]

(الجزء الأول) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الذى لا تحصى آلاؤه بتحديد، و لا تعد نعمائه بتعديد، خالق الظلم و الأنوار بعجائب صنعته، و مالك المدد و الأقدار بغرائب حكمته، فله فى كل ما أنشأ و ابتدع، و فى جميع ما أوجب و اخترع، عند تناسخ الأزمنه فى أهاليها و تعاقب الملل و الدول بين مترفيها، آماذ و رتب و آيات و عبر لا يجمع جملها إلّا إدراكه و علمه، و لا ينوع تفاصيلها إلّا إحصاؤه و حفظه، و إن كان كثير منها يحصله العيان و يصوره الأذهان من الأفلاك و بروجها، و منازل النيرين فيها و استمرار مسيرها فى حدى الاستقامه و الرجعه و البطر، و السيره، و تكوير الليل على النهار، و تكوير النهار على الليل و تبدل رطوبتها و بردها و حرها و يبسها و لينها، و تغير أدوار النجوم فى طلوعها و أفولها، قال الله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَيْتَ عَسَ وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [سوره التكوير: الآيات ١٥ - ١٨] و فى الاختفاء عن بعض الأمصار و ظهورها و تساوى الجميع فى الدلاله على حكم الآثار، و له الخلق و الأمر، و إليه المرجع و المستقر، تبارك الله أحسن الخالقين و صلواته على من اختاره للنداره، و تبليغ الرساله، فصدع بأمره و أدى حق نعمته فى خلقه محمد و آله و أصحابه أجمعين.

أما بعد: فإنّ الإنسان و إن كان ذا لدد و خصام، و جدال فيما يهوى و جذاب بتيقن الحوادث بوجه الثبت، و يتسبب إلى الازدياد، بحب التوسع فىرى جلائل الأقدار كأنها تواريه أو تلاعبه، و يحسب غوائل الأخطار كأنها تساوفه أو تسابقه، ترشح بما رشح له عناصره عند الاختبار، و تجليه لما هبى له مكاسره لدى الاعتبار، فهم فيما يترددون فيه طلعه خباءه، و عن صفايا غنائمهم غفله نومه لا- يردون مستنكرا، و لا- يجدون عند الزله مستمسكا، نجدهم على تفاوت من أجسامهم، و أقدارهم، و مناشئهم، و مدارجهم، و أسماحهم، و إياهم، و مأخذهم فى استقراء مآربهم، و فى أداتهم، و لغاتهم، و صورهم و هياتهم و اقتراحاتهم و شهواتهم و أقواتهم، و مطاعمهم و حرفهم و مكاسبهم، و تباين ألسنتهم و ألوانهم، و على تنافس بينهم شديد، و تحاسد فى خلال أحوالهم عجيب، و تضاعن يلوح من مستكن سرائرهم، و تباعض يبوح به تدانى جوارهم.

قد جبلوا على ما إليه سيقوا، وخلقوا لما عليه أدبروا، متوافقين في الانجذاب إلى مدى من حب الوطن والسيك، والصبر على مرارى الزمن، والاستظهار فى تخليد الذكر باتخاذ المصانع المؤبده، والمباني المشيده، كالخورنق، والحضر، والأبق الفرد، و غمدان، والمشقر، والهرمين، ومنف، و هو مسكن فرعون و تدمر و الشعراء ذكروها فى ذلك قوله:

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعافى رأس غمدان دار أمنك محلالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن شييا بماء فما ذا بعد أبوالا

و قول الآخر: شعرا:

ما ذا أوئل بعد آل محرّق تركوا منازلهم و بعد إياد

أهل الخورنق و السدير و بارق و القصر ذى الشرفات من سنداد

أرض تخيرها الطيب مقيلها كعب بن مامه و ابن أم داود

و قول الآخر شعرا:

و أخو الحضر إذ بناه و إذ دجله نحى إليه و الخابور

شاده مرمرًا و جلله كلسافلطير فى ذراه و كور

و قول النابغه:

و خيس الجنّ إنى قد أذنت لهم بينون تدمر بالصّفائح و العمد

و كايوان كسرى أنوشيروان، و هى من الأبنية القديمه و التّهالك فى مناصب القرون الخاليه، و الأرزاء بمناصبهم و طلب التقدّم عليهم فيما حمدوا فيه و إن كان كلّ منهم يذمّ زمانه و يحمد زمان غيره حتى روى قول لبيد شعرا:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجر

و من قول عائشه رضى الله عنها فيه ما روى:

و سار متى قصروا عنه ذمّواو إن ما هم استأنسوا فيه ملّوا

لا- جرم أنهم ابترموا مما اختبر لهم فيجمعوا أيديهم عليه مؤثرين لقبوله، و مقتنعين بحصوله كمن أطلع على ما أبدله فى القسم

فاغتنامه، و أوزن بما أعدله عند السوم فاختصه، فترى ذكر الزمان في المكان في جميع ما يندرجون فيه شقيق أرواحهم و مشرع
الروح لأفئدتهم و مستمد لذاتهم، و مشتكى أحزانهم، به يكشف البلوى و يستنزل المطر، فليسوا

بشىء من حظوظهم أفنع منهم باجتماع الوطن و المطر، و استطلاع المستنجد من العين و الأثر، لذلك قال شاعرهم:

و كنت فيه كممطور ببلدته فسر إن جمع الأوطان و المطرا

و قد قيل: ليس الناس بشىء من أقسامهم أفنع منهم بأوطانهم، فلولا ما منّ الله تعالى به على طوائف الأمم و عصائب الزمر من الألطاف فى تحبيب ما حب و تأنيس من أنس، و المنع من الاستيثار و الاقتدار، و الاجتهاد بنهمه الاقتار، لما رضيت المهج الكريمة بمجاوره البلاد و الديار، و لا سكنت القلاع، فى قلل الجبال و التلاع، و لا عمرت المهارى و الأرانب فى مساكن الأسود و الضباع، و لا نبت جبال الألفه.

و نقطع نظام ما له فسبحان من جعل الاختلاف سبباً للاتلاف، و بدل التنافر فصيره داعياً إلى التوافق، و لله الحمد على ما أمضى و قدر، و نسأله التوفيق فيما أتى و غبر، و قل عن اشتمام الأبنية الرّفعة إلى غايه ما فى نفوسهم، بل يدعون منه شياحين يلزمهم اسم التمام و الفراغ ليس للكلام نهايه، و لا لاختلافهم غايه، لأنّ عددهم كثير، و النظر فيهم قديم و طبائعهم مختلفه، و قواهم متفاوتة و ألسنتهم مرسله، و خواطهم مطلقه، و لو كان الفاسد يشعر فساده، و المنقوص يجد مسّ نقصه لكان الفاسد صالحاً و الناقص وافراً.

و روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «من باع داراً أو عقاراً، فلم يجعل ثمنها فى مثلها كان كرماد اشتدّت به الريح فى يوم عاصف».

و ذكر أحمد بن أبى طاهر أنه سمع آذرباد المؤيد يقول: إنّه وجد فى حكم الفرس تربه الصّيبى تغرس فى القلب حرمة كما تغرس الولاده فى الكبد رقه، و مما قيل فى الوطن:

عجبت لعطار أتانا يسومنا بدهن البنفسج

فويحك يا عطار هلاً أتيتنا بضعف حزار أو بخصه عرفج

و قالوا: خلق الله آدم من تراب فهمته فى التراب، و خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم فهمتها فى الرّجال، و مما يعرف به موقع الوطن و الزّمن من ذوى البصائر السليمه و العقائد الصّحيحه قول جرير:

سقى الله البشام و كلّ أرض من الغورين أنبتت البشاما

فيا نعمى الزّمان به علينا يا نعمى المقام به المقاما

فجمعهما فى قول، و أنشدنى أبو أحمد العسكري، قال أنشد الصّولى:

سقى الله دار الغاضر به منزلاترفّ عليه الرّوض خضر الرّفارف

و أيامنا و الغاضريون خضرو عيشى بهم يهتز لدن المعاطف

و رأينا الله تعالى قسم مصالح خلقه و لذائذهم بين المقام و الطعن فجعل أكثر مجارى الأرزاق مع الحركة و الاضطراب، و اغتنام الأرباب بعد التقادى فى البلاد لذلك قال الشاعر:

فألقت عصاها و استقرت بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

و قال آخر:

سررت بجعفر و القرب منه كما سرّ المسافر بالإياب

و قد شهد أصحاب المعانى لابن الرومى، فقالوا: لم بين أحد العله فى الحنين إلى الوطن إبانته حين قال:

و حبّ أوطان الرجال إليهم مآرب قضّاهم الشّباب هنالكا

و قد قال الأسدى أيضا شعرا:

أحبّ بلاد الله ما بين منعج إلىّ و رضوى أن نضوب سحابها

بلاد بها نيطت علىّ تمانى و أوّل أرض مسّ جلدى ترابها

و أخذه ابن ميادة فقال:

بلاد بها نيطت علىّ تمانى و قطّعت عنى حين أدركنى عقلى

و قال بعض أصحاب المعانى: العله التى من أجلها تساوت الطّباع المختلفه فى الحنين إلى الألف، و حب ما مضى من الزّمان هى أنّ الدّوات فينا و منا لما كانت لا تحصل إلّا فى مكان و زمان صارت لتضمّنها لهما و لكونهما ناشئه حياتها و فاتحه شبيبتها، و طالعه نمائها، تشوقهما و تستنشئ على البعد أرواحهما حتى كأنّهما منها.

و فسّر بعضهم قول ابن الرومى، فقال: يريد بالمآرب المقضيّه للشّباب ما أقامه الصّبى من روادف الهوى، و قد ظفر بالمرتاب، أو كان على استقبال من العمر و قوه من الركن، و استعمال من الأمل، و استخبار من الأجل، و تماسك من الجوارح و تساعد من الأعضاء الحوامل، و رخاء من البال و أمن من عوارض الآفات.

و الذى شرحه هذا المفسر الزائد فيه على مذهبهم كالواصل إليه لاجتماعهما فى غواشى العشق و الصّبر تحت بيان الحب رجاء الفوز بالمراد، و أظنّ جميعه فى قول امرئ القيس:

و هل ينعمن إلا خلّى مخذقليل الهموم ما بييت بأوجال

و هذا فى قضايا الأوقات كما اقتصّ الجاحظ من تعصّبه لمصره، فقال: من فضله البصره ما خصّت به من أرض الصّيدقه إنه لا يسوغ تغيرها و لا- يتهيأ تبدليها، و من المد و الجزر المبخر خصوصا لأهلها المجمول نوما بين قاطنها و مسافرها، و مصعدها، و منحدرها على مقابلات من الأوقات و مقادير من الشّاعات، و على منازل القمر فى زياده النّور و امتلائه، و نقصان ضوئه و استساراه، فلا يعرف مصر جاهلى، و لا إسلامى أفضل من البصره، و لا أرض جرى عليها الآثار أشرف من أرض الصّدقه، و لا شجره أفضل من النّخله و لا بلد أقرب برا من البصره، فهى واسطه أبجر، و خضراء من بداو، و ريعاء من فلاه، و قانص و حش من صائد سمك، و ملاحا من جمال من البصره.

فهى وسطه الأرض و فرضه البحر و مضبض الأقطار، و قلب الدّنيا فساحله بعض المتقضييه للغيث، و بلاده بأن قال: الكرمه أفضل الأشجار، و العنب سيّد الثمار، ناعمه الورق كأنها سرقه ناضره الخضره بديعه الشكل، سلسه الأفتان، رقيقه الجلد عند المذاق يسرح فى البدن نورها، و فى القلب سرورها، مع ذكاء العرق و صحّه الجوهر إن عرشت على عمد الخشب، و طبقات القصب تضاعف علتها، و تكامل حسننها و دخلها و رأفه جهارتها و أنق ينعها، و إن بسطت أغصانها على الدّار التى هى فيها أظلت و إن مدّت على الجدران و قيدت إلى حدود الجيران سامحت قائدها و قلّ اعتياضها تغنى عن الشارات و الفساطيط، و تكفّ صيد الحر فى حماره القيظ، و احتدام الشمس أوان الحاجه إلى الرّوح و تردّ عواصف الرّياح و قواصفها، بكثافه ورقها، و ضفاقه ظلّها فى كلام يتّصل بين الفريقين و لا ينقضى.

و ليس من همتى و لا سدمى إنما أردت التّنبيه على أنّ كلّ ذى أرب همّته فى نظريه بلدته طبعاً لا تكلفاً و كل ذى سبب نهّمته فى تركيه ممكنه عمداً لا- سهواً، ثم حسن الشّى ء و قبحه و فضله و نقصه لما عليه فى نفسه لا لجوى راصد أو ألف جاذب. و الحديث شجون، و الفخر بالشّى ء فنون، لكنّ الله تعالى لمّا ذكر الدّيار فخير عن موقعها من عباده حتّى سوى بين قتل نفسهم و الخروج من ديارهم فى قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [سوره النساء: ٦٦] و فى موضع آخر: وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَانِنَا [سوره البقره: ٢٤] جعل لهم فى الأرض بيتا نسبه إلى نفسه بإزاء البيت المعمور لملائكته، و صيره حرماً و أمناً، و مثابه للناس، و مطافاً يلوذ به الخائف و لو كان من الوحش.

كما يأوى إليه الهارب من الأتس عظيماً شأنه منيعاً جاره لا يغشى أهله غضاضه الامتهان، و لا سأمه الابتذال، فهم على مر الأيام و كله و حمس فى أديانهم متمنع، و قد كان من الفيل و الحبشه ما أرّخ به الرّمن كما أرّخت الحوادث و النّحل، و كما قيدت أيام النّبوات

بما يكشفها من أنباء الفترات و أحوال الأنبياء و المعجزات، و ذكر الله تعالى النعمة على قريش، فانبا عن رحله الشتاء و الصيف بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام لسكان مكة فقال:

رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ [سوره البقره: ١٢٦]، و قد كان قال:

رَبَّنَا إِنِّي أَسْـَٔ كُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِعَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [سوره إبراهيم: ٣٧] فاستجاب الله دعوته فهم يصيفون (الطائف)، و يشتون (جده) و أنواع الخير منهم بمرصد و فعل مثل ذلك في الزمان فعظم ليله القدر و جعلها خير من ألف شهر بما ضمنها من تنزل الملائكة بقضايها إلى رأس الحول، و لأنها ليله السلامه و الأمن من كل داء و بلاء إلى مطلع الفجر.

فالحمد لله الذي بنوره اهتدينا و بفضل غينا، حين أدب الأخلاف بما درج عليه الأسلاف، و قرن العباده باعتبار ما أمضى عليه القرون الماضيه في الدهور الخاليه فإنهم و إن مضوا سلفا فقد السبيل عليهم، و الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم، و قد أكثرت، و ظهر الفرض فيما أبدأت، و أعدت، و الترفيه عن المطبه أعون في إملاء قطع الدود أن من نكص عن المنهاج تاه في الفجاج، فإنما هذا الكلام وصله إلى كتاب في الأزمنه و الأمكنه، و ما يتعلّق بهما من أسماء الليل و النهار و البوارح (١)، و الأمطار، و المزالف، و المآلف، و ما أخذ أخذها مما تعداده يطول و ينطق به الحدود بعد هذا.

و الفصول فقد قدّمت ذكرها، و قد غبرت مده من الزمان، و هذا الكتاب منى ببال أ تصفح ورقه بأيدي فكري، و أتصور مضمونه في مطارح فهمي، فينيلني إذا صادفته جموحا، و يوليني إذا صافحته ازورارا، و شسوعا، كأنه يطلب لنفسه حظا زائدا على ما أوتيه، و سهما عاليا لما أجيله فأعطيه إلى أن تبوأ من علو الوكد، و الاهتمام في أعلى الرّبي، و من مرتقى التوفر في الاعتناء في أسنى الذرى.

فحينئذ أطلع الله على ضميري نور الأستاذ النفيس أبي على إسماعيل بن أحمد أدام الله رفعته، و برهان سلفه قرنا بعد قرن، و كابرا عن كابر من كمال النبل، و جماع الفضل و الجمال الظاهر، و الكرم الغامر، و التهوؤ بأعباء الرئاسه، و الاستظهار في أنحاء السّياسه، و تدبير المسالك و المهالك، و المدائن و الممالك، و الميل إلى ذوى الأخطار، و أعلام الآداب.

فهم يكرعون من جدهم في أعذب المشارع، و أكرم الموارد.

هذا إلى ما حباه الله في خاص و عام قصده من محييات القلوب، و مزيات القبول. فإنّ العزيز الشريف و التّبت الرّفع إذا أشر بالدونه المعطف، و سهوله الملتقى، و المختبر ترجما عن الكمال، و وفرا ابهه الجلال. و هذا الشاء منى ليس على طريقه المادحين فأتجز، و لا

قصدي فيه قصد المجتدير فأتسّمح، بل إملاء طول الصّحبه بلسان الخبره، فعليه فيه حكم الحق و المعلوم مع تواطؤ الأخبار عنه و شهاده الإثار له، و توارد الوسائل فأقبل بتغاير أبوابه، و انثال عليّ و تسابق أجزاءه، و فصوله تنساق إلى كانه كان من رباط الشّد في عقل فأنشط، و من حفاظ المنع في وثاق فأهمل، و بيد الله تعالى أمره تسهيل المراد و تعجيل الفراغ بحوله و منه.

و اعلم أنّ رؤساء الأمم أربعه بالاتفاق: العرب، و فارس، و الهند، و الروم و هم على طبقاتهم في الذكاء و الكيس، و الدّهاء، و الكيد، و الجمال، و العناد و تملك الممالك و البلاد، و السّياسه و الإياله، و استنباط العلوم و إثارة الحكم في جوامع الأمور و معلوم شأنهم معروف أمرهم، و ما في على طبقاتهم في الغباوه و العظاظه و سوء الفهم و الدّرايه و القسوه، و الغذامه، و التّوك، و الجهاله مراعون لما رهنوا به و قيصوا له، و قد صاروا إلى وجوه المعاش، و فنون الممارسات، و الإغراب في أسرار الصناعات، و الإبداع في أنواع التّركيبات، انفتح لهم من أبواب المعرفه، و حسن التّوفيق في الإصابه، ما لم يفتح لهم في سواه و ذلك ما لا يدرك غوره من غرائب حكمه الله تعالى فيما دبر، و امضى و إن كان للعرب خاصه طبع عجيب في الأخبار، و الاستخبار، و المباحثه، و الاستكشاف، و سرعه إدراك ما يسفر عن الأواخر عند النّظر في الأوائل، فحصل لهم بذلك أخلاق عادت مفاخر، و أفعال صارت مناقب، مع ثبات فيما يعز، و جلد، و بيان و لدد، و افتنان في الخطب و الشّعر و الرّجز على اختلاف أنواعها و تصاريف أساليبها، و على كثره الأمثال الحكيمه، و طرائف الآداب الكريمه.

ثم لهم الفراسه الصّحيحه، و الكهان العجيبه، و صدق الفأل الحسن، و الحسّ المصيب مع العلم بأثر القدم في الصّخر الأصم، و القاع العفراء، و قيافه الأثر مع قيافه البشر، ليست لغير العرب لأنهم يرون المتفاوتين في الطّول و القصر، و المختلفين في الألوان و النّعم فيعلمون أنّ هذا الأسود ابن هذا الأبيض، و هذا القصير ابن أخ هذا الطّويل، مع الرّعايه لأنسابهم و أيامهم، و محاسن أسلافهم و مساوي أكفائهم، للتّعاير بالقبيح و التّفاخر بالجميل، و ليجعلوه مبعثه على اصطناع الخير، و مزجره عن ادخار الشّر، و لهم تبيين أحوال النّجوم سعدا و نحسها، و الأنواء و مقتضياتها و الأمطار و مواقيتها، و بوارح الرّياح في إبانها و حينها، و الرّجز المغنى عن التّنجيم و حسن الاهتداء في المسالك المهلكه، و المرامي غير المسلوكة.

و هم على كلّ حال من عيشهم يخافون مأثور الحديث و يتجرّعون من غوارب البحار، و يحبّون المادحين و تقرّظهم، و يؤثرون على أنفسهم الخيل، و على عيالهم الصّيفان أصحاب حياء و أنفه، و جود، و فروسيه، و فخر، و همه لا تطل دماؤهم و لا يعجز طوائلهم، و لا

ينسيهم طول الأيام دفائن أحقادهم، يراعون الدّم، و يوفون بالمواثيق، و يوجون الجوار باعلاق الدلو بالدلو و شد الطنب بالطنب حتى قال زهير:

و جار سار معتمدا علينا أجابته المخافه و الرّجاء

فجاور مكرما حتّى إذا مادعاه الصّيف و انصرم الشّفاء

ضممنا ما له فغدا علينا جميعا نقصه و له التّماء

ثم لم يرضوا لأنفسهم بالاسم الواحد، و الكنيه الواحد، و النّعت الشّريف و الذّكر الرّفيع و المنصب المفخم، و الفخر المقدم حتى تنقلوا فى أسامى و كنى كما اكتنى حمزه بن عبد المطلب بأبى يعلى - و أبى عماره، و عبد العزى بن عبد المطلب بأبى لهب - و أبى عتبه، و صخر بن حرب بأبى سفيان - و أبى حنظله، و حسان بن ثابت بأبى الوليد و أبى الحسام، و عثمان بن عفان بأبى عبد الله و أبى عمرو، أو أبى ليلى و عبد الله بن الزّبير بأبى بكر، و أبى خبيب و أبى عبد الرّحمن.

و الذين أسماؤهم كنى كثير فى العرب يسمّى بعضهم بعضا بسمات تفيد التّفخيم و التّعظيم كقولهم: ملاعب الأسنه، و سم الفرسان و زيد الخيل، و محكم الأقران و أشباه ذلك. فهذه الخصال تختصّ بهم إلى كثير ممّا إن شغلنا الكلام به خرجنا عن الغرض المنصوب و لله تعالى فى خلقه أن يفعل ما شاء، و يصطفى بفضله من شاء، و هو الحكيم العليم، و لو لا اهتزازى لتقديم ما يتعلق به همّه برّ أشاد التّفيس، و سرعه إجابتى إذا أهاب لما رهبته، و ليحصل لى به الفأل الحسن و الذّكر المؤيّد، و الالتذاذ بالدّخول فى جملة أهل الفضل و الاستئان بسننهم فى إذاعه ما تكسيهم الأيام و يفيدهم الاجتهاد لبقيت فى حجر الفن بما أورده لما أرى فى أهل الزّمان من اطراح العلم، و احتقار أهل الفضل، و لا أزيد على هذا مخافه الخروج إلى ما يعد سرفا، بل أنشد قول الأول شعرا:

إذا مجلس الأنصار حفّ من أهله و حلّت مغانيه غفار و أسلم

فما الناس بالناس الذين عهدتهم و لا الدّهر بالدّهر الذى كنت أعلم

و اعلم أنّ قرب الشىء فى الوهم ليس بموجب حصوله، و لا بعده فيه يقتضى بطوله، و هذا الكتاب ليس اختيارى لعلمه لغلبته، و لا- اشتغالى به عن شبهه لكنى حصته تحصين الحزم، و صنته صون العرض المكرم، فهو مذخوره المتلهف، و عقد المعتال المحتكم، ثمره عند الينع لا يخلف، و ماؤه على الميخ لا يكدر.

و قد قيل لحاضنك عليك حق اللّبن، و لتربتك حبّ الوطن، و لنسلك حرمة السيكن، و لطربك خلع الرّسن، كما أنّ لما تخلد به ذكرك من نثر أو نظم عليك شرف التحليه، و حسن

التَّعْتِ والتَّسْمِيَةِ، و جمع الفوائد الزَّكِيَةِ، و هجر الهوى و العصبِيَّةِ، و بيد الله تبليغ المراد و توطير المرتاد.

و اعلم أنّ مدار الأدب على الطُّلب، و عمدته البحث، و مصرفه الرُّغْبَةَ، و الحث و أزمه الجميع بيد القريحه فإذا سلمت القريحه من عوارض الآفات و تملست من شوائب الأقدار، و العاهات، و ترقت في مدارجها من دلائل الرِّسْمِ إلى حقائق الحدود أقبلت تصنع في نيل المطلوب صنعه من طَبِّ لمن حَبَّ، و إني و إن أنشأت هذا الكتاب فما في نفسي ادعاء الفضل على الأسلاف؛ و كيف أستجيز ذلك و من ذكرتهم ننفق، و بشهاداتهم نتوثق، و بين المسلم و المنازع ما بينهما من برزخ التَّضَادِ، و لكن لمن ضمَّ النَّشْرَ، و سَوَى في البناء النَّضْدَ و تأنق في الإثارة، ثم بلغ و تناهى إلى الغايه، فسدد حقه من العمل. نسأل الله تعالى حسن التَّوْفِيقِ فيما نأتى و نذر، و عليه المعوّل في إيزاعنا شكر نعمته، و إعانتنا على ما تعرب من رحمته، و نعم المولى و نعم النصير.

هذا و بيان ما يختلف من أحوالها و يتفق من أسمائها، و صفاتها، و أطرافها، و إقطاعها، و متعلقات الكواكب منها في صعودها و هبوطها و طلوعها و غروبها، و جميع ما يأخذ أخذها، أو يعدّ معها، أو لا ينفكّ في الوقوع و الاستمرار منها، أو متسبب بضرب من ضروب التشابه، أو قسم من أقسام التَّشَارِكِ إلى الدَّخُولِ في أثنائها موشّحه بما يصححها من أشعارهم و أمثالهم، و أسجاعهم و مقامات و قوفهم و منافراتهم جاذين و هازلين، و من كلام روادهم و وزادهم و كتابهم في ظعنهم و إقامتهم و تتبعهم مساقط الغيث و بوارح الرِّيح، و عند ما يقيمون من الجذب، و الخصب و السلم و الحرب، و قرى الضيف في الشتاء و الصيف، و أعيادهم، و حجهم، و نسكهم، و وجوه معاشهم و مكاسبهم، و آدابهم.

و قد صدرته بجميع آى من كتاب الله تعالى بعض حقائقه لتردد المعانى إذا شافهت الالتباس، بين الوجوب و الجواز و الامتناع فيتسع أمد القول و يمتد نفسه بحسب الحاجه و على قدر العناية، و من أنكر في طلب الحق واجبا، أو رد جائرا، أو جحد ممتنعا فقد صافح الخذلان. كما أنّ من قصر و كده على ما لا يرد من دينه فائتا و لا يعمر ثابتا، فقد جانب حسن التَّوْفِيقِ. و على الله في الأحوال كلها المعوّل و التَّكْلَانِ.

و بعد الفراغ من ذلك أتبعته بالكلام في حقيقه الزَّمان و المكان، و الزد على من تكلم بغير الحق فهما بعد تتبع لما أصله شديد، و بحث عنه بليغ، و ردّ للسَّابِقِ من دعاويهم على اللّماحق(١) على الوارد إذ كانا عندى كالأصل في إلحاد أكثر الملحدين من الأوائل

و المتأخرين، و إذ كنت قد شيدت من قبل فصول ما ذكرت، و وصوله بلمع من الكلام فى المحكم و المتشابه و الاستدلال بالشاهد على الغائب، و بيان أسماء الله تعالى و صفاته، و ما يجوز إطلاقه عليه أو يمتنع لأن أطراف هذه الأبواب متعلقه بمراد الآى التى تكلفت الكلام فيها و مصادرها، و مستقيه من العيون التى تحوم أطيافها حوله، و فى جوانبها و لأن الاشتغال به هو الغرض المرمى فى تأليف حل هذا الكتاب و ترتيبه، و تنسيقه هذا إلى غير ذلك مما خلا منه مؤلفات اللغويين و النحويين و الباحثين عن طرائق العرب، و ما يراعونه من معتقداتهم فى الأنواء و غيرها، و إيمان من آمن منهم بالكواكب حتى عبدوها لما ألفوه من استمرار العادات بهم و اطرادها على حد سالم من التبدل و التحول.

ثم شرعت فى الكتاب و تبويب معارفه و تنويع أساليبه و مدارجه، و أستعين الله تعالى على بلوغ ما يزلف عنده، و يستحق به مزيد الإحسان و أصحاب التوفيق الكامل منه، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

ذكر أبواب الأزمنة والأمكنه، و فصولها

هي ثلاثه و ستون بابا، و نيف و تسعون فصلا:

أ: في ذكر الآي المنهيه من القرآن على نعم الله تعالى على خلقه في آناء الليل و النهار، و بيان النسيء، و في ذكر أخبار مرويه، و في ذكر الأنواء، و ذكر معتقدات العرب فيها و فيما يجرى مجراه، و ذكر فصل في جواب مسائل للمشهد من الكتاب و السنه، و في بيان المحكم و المتشابه و غيرهما، و بيان أسماء الله تعالى و صفاته، و هو يحوى تسعه و عشرين فصلا.

ب: في ذكر أسماء الزمان و المكان، و متى تسمى ظروفًا، و معنى قول التحويين الزمان ظرف الأفعال، و الرد على من قال فهما بغير الحق من الأوائل و الأواخر، و يحتوى على فصول أربعة.

ج: هو يشتمل على بيان الليل و النهار، و على فصول من الإعراب تتعلق بظروف الأزمنة و الأمكنه، و فصوله ثلاثه.

د: ذكر ابتداء الزمان، و أقسامه، و التنبه على مبادئ السنه في جميع المذاهب، و ما يشاكل من تقسيمها على البروج.

ه: في قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها.

و: في ذكر الأنواء و اختلاف العرب فيها، و منازل القمر مقسّمه الفصول على السنه، و أعداد كواكبها، و تصوير مأخذها ضارها، و نافعها، و فصوله أربعة.

ز: في تحديد سنّي العرب، و الفرس، و الروم، و أوقات فصول السنه.

ح: في تقدير أوقات التهجد التي ذكرها الله تعالى في كتابه عن نبيه و الصّحابه، و تبين ما يتصل بها من ذكر حلول الشمس في البروج الاثنى عشر.

ط: في ذكر البوارح، و الأمطار مقسّمه على الفصول، و البروج، و في ذكر المراقبه، و هو فصلان.

ى: فى ذكر الأعياد والأشهر الحرم والأيام المعلومات والأيام المعدودات، والصلوات الوسطى، وهو فصلان.

يا: فى ذكر سحر، و غدوه، و بكره، و ما أشبهها و الحين و القرن و الآن و أيان، و أوان، و الحقبه، و الكلام فى إذ، و إذا، و هما للزمان و إبان، و أفان، و هو فصلان.

يب: فى لفظه أمس، و غد، و الحول، و السنه، و العام، و ما يتلو تلوه، و لفظه حيث، و ما يتصل به، و الغايات كقبل و بعد، و ذكر أول و حينئذ، و قط، و إذ، و إذا المكانية، و منذ، و مذ، و من، و على و هو فصلان.

يج: فيما جاء مثنى من أسماء الزمان، و الليل، و النهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها، و هو أربعة فصول.

يد: فى أسماء الأيام على اختلاف اللغات و قياسات اشتقاقها و تثنيها و جمعها.

يه: فى أسماء الشهور على اختلاف اللغات، و ذكر اشتقاقها، و ما يتصل بذلك من تثنيها و جمعها، و هو فصلان.

يو: فى أسماء الدهر و اقطاعه، و ما يتصل بذلك، و هو فصلان.

يز: فى اقطاع الدهر، و أطراف الليل و النهار، و طوائفهما و ما يتصل بذلك من ذكر الحوادث فيها، و هو ثلاثة فصول.

يج: فى اشتقاق أسماء المنازل، و البروج، و صورها، و ما يأخذ مأخذها، و هو فصلان.

يط: فى اقطاع الليل، و طوائفه، و ما يتصل بذلك و يجرى مجراه.

ك: فى اقطاع النهار، و طوائفه، و ما يتصل بذلك و يجرى مجراه.

كا: فى أسماء السماء و الكواكب، و الفلك و البروج، و هو ثلاثة فصول.

كب: فى برد الأزمنه، و وصف الأيام و الليالى به.

كج: فى حرّ الأزمنه، و وصف الأيام، و الليالى به.

كد: فى شدّه الأيام و رخائها و خصبها و جذبها، و ما يتصل بذلك.

كه: فى أسماء الشمس و صفاتها، و ما يتعلّق بها.

كو: فى أسماء القمر و صفاته، و ما يتصل بها من أحواله، و هو فصلان.

كز: فى ذكر أسماء الهلال من أول الشهر إلى آخره، و ما ورد عنهم فيها من الأسجاع، و غيرها.

كح: فى أسماء الأوقات، والأفعال الواقعة فى الليل والنهار، وأسماء الأفعال المختصة بأوقات فى الفصول والأزمان.

كط: فى ذكر الرياح الأربع، وتحديدتها بها، وما عدل عنها، وهو فصلان.

ل: فى أسماء المطر وصفاته وأجناسه، وهو فصلان.

لا: فى السحاب، وأسمائه وتحليه بالمطر، وهو فصلان.

لب: فى الرعد والبرق، والصواعق وأسمائها وأحوالها، وهو فصلان.

لج: فى قوس قزح وفى الدائرة حول القمر، وفى البرد من قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَـَّحَابًا [سوره النور، الآية: ٤٣]، وهو ثلاثه فصول.

لد: فى ذكر المياه والنبات مما يحسن وقوعه فى هذا الباب، وهو ثلاثه فصول.

له: فى ذكر المراعى الخصبه والمجديه، والمحاضر، والمبادى، وهو فصلان.

لو: فى ذكر أحوال البادين والحاضرين، وبيان تنقلهم وتصرف الزمان بهم.

لز: فى ذكر الزواد وحكاياتهم، وهو فصلان.

لح: فى ذكر الورد ومن جرى مجراهم من الوفود.

لط: فى السبر والنعاس، والميح، والاستقاء، وورود المياه.

م: فى ذكر أسواق العرب.

ما: فى ذكر مواقيت الضراب والتاج.

مب: فيما روى من أسجاع العرب عند تجدد الأنواء والفصول، وتفسيرها، وهو فصلان.

مج: فى ذكر الصيام، والقيافه، والكهانه، وهو ثلاثه فصول.

مد: فى ذكر ما لهم من الأوقات حتى لا يبين للسامع وما شرح منه.

مه: فى الاهتداء بالنجوم وجوده استدلال العرب بها وإصابتهم فى أمهم.

مو: فى صفة ظلام اللّيل و استحكامه، و امتزاجه.

مز: فى صفة طول اللّيل و النّهار و قصرهما، و تشبيه النّجوم فيهما.

مح: فى ذكر السراب، و لوامع البروق، و متخيّلات المناظر، و وصف السّحاب.

مط: فى تذكّر طيب الزّمان، و التّلهف عليه و الحنين إلى الألف، و الأوطان.

ن: فى ذكر أنواع الظلّ و أسمائه و نعوته.

نا: فى ذكر التاريخ و ابتدائه، و السبب الموجب له و ما كانت العرب عليه لدى الحاجه إليه فى ضبط آماد الحوادث و المواليده، و هو فصلان.

نب: فيما هو متمم لما عند العرب و من داناهم و أدركوه بالتفقد و طول الدربه، و لم يدخل فى أسجاعهم.

نج: فى انقلاب طبائع الأزمنه، و ثباتها، و امتزاجها، و الاستكمال و الامتحاق، و أزمان مقاطع النجوم فى الفلك، و معرفه ساعات الليل من رؤيه الهلال، و مواقيت الزوال على طريق الإجمال.

ند: فى اشتداد الزمان بعوارض الجذب، و امتداده بلواحق الخصب.

نه: و يشتمل من حدّها على ذكر ما فى إعرابه نظر من حديث الزمان.

نو: فى ذكر الكواكب اليمانيه، و الشّماليه، و تمييز بعضها عن بعض، و ذكر ما يجرى مجراها من تفسير الألقاب.

نز: فى ذكر الفجر، و الشفق، و الزوال، و معرفه الاستدلال بالكواكب و تبين القبلة.

نح: فى معرفه أيام العرب فى الجاهليه، و ما كانوا يحرفونه و يتعاشون منه، و ذكر ما انتقلوا إليه فى الإسلام على اختلاف طبقاتهم.

نط: فى ذكر أفعال الرياح لواقحها، و حوائلها، و ما جاء من خواصها فى هبوبها و صنوفها.

س: فى ذكر الأيام المحموده للّوء و المطر و سائر الأفعال، و ذكر ما يتطير منه، أو يستدفع الشربه.

سا: فى ذكر الاستدلال بالبرق، و الحمرة فى الأفق و غيرهما على الغيث.

سب: فى الكواكب الخنس، و فى هلال شهر رمضان.

سج: فى ذكر مشاهير الكواكب التى تسمى الثابته، و هذه التسميه على الأغلب من أمرها إذ كانت حركه مسيرها خافيه غير محسوسه.

الباب الأول [فى تعظيم شأن القرآن و فصل بيانه بالنظم العجيب و التأليف الرصيف]

إشارة

اعلم أنّ الله تعالى عَظُم شأن القرآن، و فصل بيانه بالنظم العجيب و التأليف الرصيف على سائر الكلام، و إن وافقه فى مبانیه، و معانيه ثم أودعه من صنوف الحكم، و فنون الآداب و العذر، و جوامع الأحكام و السير، و طرائف الأمثال و العبر، ما لا يقف على كنهه ذوو القرائح الصّافیه، و لا فى بعد فوائده أو لو المعارف الوافیه، و إن تلاحت آلاتهم، و توافقت أسباب التفهم و الأفهام فيهم، فترى المشتغل به المتأمل له، و قد صرف فكره إليه، و قصر ذكره عليه، قد يجد نفسه أحيانا فيه بصورة من لم يكن سمعه، أو كان بعد السّماع نسيه استغرابا لمراسمه، و استجلاء لمعالمه، و ذلك أنه تعالى لما أنزله ليفتح بتنزيله التحدى به إلى الأبد، و يختتم بترتيبه و آدابه البذاره إلى انقضاء السّند، على ألسن الرّسل، جعله من التّنبهات الجليّه و الخفيّه، و الدّلالات الظّاهره و الباطنه ما قد استوى فى إدراك الكثير منها العالم بالمقلد، و المتدبّر، و المهمل.

و إن كان فى أثناءه أغلاق لا-تفتح الأشياء بعد شىء بأفهام ثاقبه، و فى أزمان متباينه، ليّصل أمد الإعجاز به إلى الأجل المضروب لسقوط التّكليف، و لتجدد فى كل أوان بعوائده و فوائده ما يهيج له بواعث الأفكار، و نتائج الاعتبار، فيتبين ثناؤه الرّاسخ المتشّيت، و النّاظر المتدبّر عن قصور الرّائع المتطرّف و تقصير الملول الطّرف. لذلك اختلفت الفرق، و استحدثت المذاهب و الطّرق، فكلّ يطلب برهانه على صحه ما يراه منه، و إن ضلّ عن سواء السّبيل من ضلّ لسوء نظره و فساد تأنيّه، و عدو له عن منهاج الصّحابه و التابعين و صالحى الأسلاف، فلما كان أمر القرآن الحكيم على ما وصفت، و كان الله تعالى فيما شرع من دينه و حدّ عليه من عبادته، و دعا إليه من تبين صنعه و تبّه ما أقامه من أدلّته. قال: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ [سوره العنكبوت، الآية: ٤٤] مبينا أنه اخترعها بما يشتمل عليه حقا لا باطلا و حتما لا عبثا لتوفّر على طوائف خلقه منافعها، و مثبتها من يصدق بالرّسل، و يميز جوامع الكلم على بعد غورها فى قضايا التّحصيل و تراجع الأفهام، و الأوهام عن تقصى مأخذها بأوائل التّكليف.

ثم كثر ذكرها في مواضع كثيرة في جملتها ما يقتضى الكشف عن نظومها و تصاريفها لما يكشفها من الغموض، و كان مبنى التأليف الذى هو مبنى على كتب لا يتم من دون الكلام عليها بترتيبه، بأن جعلتها مقدّمه ثم تجاوزت إلى ما سواها و الله المعين على تسهيل المراد منه بمنه.

فمن ذلك قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ يَوْمَ يَقُولُ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] الآيه، وصف الله تعالى نفسه فيما بسط من كلامه هنا بفصول أربعة، كلّ فصل منها عند التأمل جمله مكثفيه بنفسها عن غيرها، و داله على كثير من صفاته التى استبدّ بها.

فالفصل الأول قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، و المعنى فى قوله: بالحق، أنّ الحكمة البالغه أوجبت ذلك، ففطرها ليدلّ على نفسه بها و يظهر من آثاره العجيبه فيها ما تحقّق إلهيته و تثبت قدمه، و ربوبيته و يظهر أنّ ما سواه مدبر مخلوق و مسخر مقهور، و أنه الحقّ تمّ له ما أحدثه، و أنشأه لا يبطل، و وجبت له العباده من خليفته بقول فصل لا بهزل، فحجّته بينه و آياته محكمه، لا- تخفى على الناظر، و لا- تلتبس على المتأمل المباحث إذ كانت الأبصار لا تدركه، و الحواس لا تلحقه، فعرف عباده قدرته، و ألزمهم بما غمرهم من منفعه و نعمه عبادته، فلا مانع لما منح، و لا واهب لما ارتجع، أو حرم تسليمًا لأمره و رضى بحكمه.

و الفصل الثانى قوله: وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] قوله: و يوم نصب على الظرف، و العامل فيه ما يدل عليه قوله الحق، و لا- يجوز أن يكون العامل قوله: يقول لأنه قد أضيف اليوم إليه، و المضاف إليه لا يعمل فى المضاف. و قوله:

فيكون معطوف على يقول، و ما بعد القول، و هو جمله تكون حكاية فى كلامهم، و كن فى موضع المفعول ليقول، و قد أبان الله هذا المعنى فى قوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [سوره النحل، الآية: ٤] لأنّ معنى الحكايه ظاهر فيه و مفهوم منه، و إذا كان الأمر على هذا فقوله: كن، حكاية، و المعنى فيه إيجاب خروج الشئ من العدم إلى الوجود. و قوله: فيكون بيان حسن المطاوعه من المراد و تكوّنه، و ليس ذلك على أنه مخاطبه المعدوم، و لكنّ الله تعالى أراد أن يبين على عادته الأمرين إذا أمروا كيف يقرب مراده إذا أراد أمراً، فأخرج اللفظ على وجه يفهم منه ذلك، إذ كان لا- لفظ فى تصوير الاستعجال، و تقريب المراد أحضر من لفظه كن فاعلمه. و تلخيص الآية و إذا كان يوم البعث و النّشر و السّوق إلى الحشر يوجب وقوع المكون بقولنا: كن، فيقع بحسب الإراده لا تأخير فيه و لا تدافع، لأنّ حكمنا فيه المحقوق الذى لا يبدل، و لأنّ الملك فيه للملك الذى لا يغالب و لا

يما، فقولته فى الفصل الأول: بالحق - أى بما وجب فى الحكمة و حسن فىها. و قوله فى الفصل الثانى قوله الحق - أى المحقوق الذى لا يحول و لا يغير إذ كان البدء لا يجوز عليه، و أوائل الأمور فى علمه كأواخرها.

و الفصل الثالث قوله: وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] يريد به أنه فى ذلك الوقت متفرد بتدبير الفرق و الأمم و تنزيلهم منازلهم من الطاعة و المعصية، كما أبدأهم فكما كان تعالى الأول لقدمه يكون الآخر لبقائه، لا مشارك له، و لا مؤازر، و أبين منه قوله فى موضع آخر: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [سوره غافر، الآية: ١٦] و هذا حال المعاد، و المعنى إذا أردنا سوقهم بعد الإماتة للنشر لم يخف علينا شىء من أحوالهم لأننا نملكهم، فأمرنا حتم لا تخير و فور لا تأخير، و الإحصاء يجمعهم، و الإدراك يعمهم. و قوله: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] لم يشر به إلى وقت محدود الطرفين و لكن على عادة العرب فى ذكر الزمان الممتد الطويل باليوم، فهو كما يقال: فعل كذا فى يوم فلان، و على عهد فلان.

الفصل الرابع: قوله: عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] يريد أنه لا يخفى عليه ما فيه لأنه العالم لنفسه فلا يغرب عنه أمر، و الغائب عنده كالحاضر و البعيد كالقريب و هو حكيم فيما يقضيه عليم فيما يقضيه. لا يذهب عليه شىء من أحوال عباده، و من مواعيده فيحشرهم جميعا، و يوفيهم مستحقهم موفورا.

و منه قوله تعالى: وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ [سوره يس، الآية: ٣٧] إلى يسبحون، قوله: نسلخ منه النهار أى نخرجه منه إخراجا لا يبقى معه شىء من ضوء النهار، ألا ترى قوله فى موضع آخر: آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسِلَخْ مِنْهَا [سوره الأعراف، الآية: ١٧٥]، و فى هذا دلالة بينة على ما تذهب إليه العرب من أن الليل قبل النهار لأن السيلخ و الكشف بمعنى واحد بين ذلك أنه يقال: كسخت الإهاب، و الجلد عن الشىء، و سلخته أى كسفته، و السيلخ الإهاب نفسه، و سلخت المرأه درعها نزعته، و سلخت الشهر: صرت فى آخر يوم منه، و سلاح الحية جلدها، و إذا كان ذلك، و كان الله تعالى قال: الليل نسلخ منه النهار، و المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ فيجب أن يكون الليل قبل النهار، كما أن المغطى قبل الغطاء قوله: فإذا هم مظلّمون - أى داخلون فى الظلام يقال: أظلم الليل إذا تغطى بسواده، و أظلمنا دخلنا فى ظلمات، و هذا كما يقول: أجنبنا و اشملنا - أى دخلنا فى الجنوب و الشمال، و أنجدنا، و أتهمنا أى أتيناهم، ثم قال: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا [سوره - يس، الآية: ٣٨] و هذا يحتمل وجوها من التأويل.

أ- أن يكون المراد جريها لاستقرار يحصل له إذا أراد الله وقوفها للأجل المضروب

لانقضاء وقت عاداتها فى الطلوع و الأفول.

ب- أن يكون المراد بالمستقر وقوفها عنده تعالى يوم القيامة، و الشاهد لهذا قوله فى آيه أخرى: كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ [سوره القيامه، الآيه: ١٠، ١١] فهو كقوله فى غير موضع: ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ* [سوره الحديد، الآيه: ٥]، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* [سوره البقره، الآيه: ٢٤٥].

ج- أن يكون المعنى أنها لا تزال جاريه أبدا ما دامت الدنيا تظهر و تغيب بحساب مقدر كأنها تطلب المستقر الذى علمها صانعها فلا قرار لها؛ و يشهد لهذا الوجه قراءه من قرأ و الشمس تجرى لا مستقر لها، و ذلك ظاهر بين يوضحه قوله تعالى بعقبه: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* [سوره يس، الآيه: ٣٨]، أى تقدير من لا يغالب فى سلطانه و لا يجاذب على حكمته، قوله: وَالْقَمَرَ قَدْرَنَاهُ [سوره يس، الآيه: ٣٩]، الآيه. برفع القمر على، و آيه لهم الليل و إن شئت على الابتداء، و ينصب على، و قدّرناه و العرجون) عود لعذق الذى تسمى الكباسه تركبه الشماريخ مثله الأثكول و العثكول من العذق، فإذا جفّ و قدم دقّ و صغر و حينئذ يشبهه الهلال فى أول الشهر و آخره.

و قال أبو إسحاق الزجاج: وزنه فعلول لأنه من الانعراج، و قال غيره: هو فعلول لأنه كالفتلول، و معنى الآيه و قدّرنا القمر فى منازل الثمانيه و العشرين، و فى مأخذه من ضوء الشمس، فكان فى أول مطلعته دقيقا ضئيلا، فلا يزال نوره يزيد حتى تكامل عند انتصاف الشهر بدرا، و امتلائه من المقابله نورا، ثم أخذ فى النقصان بمخالفته لمحاذاه، و تجاوزه لها حتى عاد إلى مثل حاله الأولى من الدقه و الضؤل و ذلك كله فى منازل الثمانيه و العشرين لأنه ربما استتر ليله، و ربما استتر ليلتين فمشابهه الهلال للعرجون فى المستهل و المنسلخ صحيحه.

فأما قوله: حتى عاد فكأنه جعل تصوّره فى الآخر بصورته الأولى فى الدقه مراجعه، و معاوده. و القديم يراد به المتقادم كما قال فى قصه يعقوب عليه السلام: إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ [سوره يوسف، الآيه: ٩٥]. و قال الفراء القديم يقال لما أتى عليه حول. و قيل أيضا:

معنى عاد صار، و يشهد لذلك قول الشاعر:

أطعت العرس فى الشّهوات حتى تعود لها عسيفا عبد عبد

و لم يكن عسيفا قط، و قال امرؤ القيس:

و ماء كلون البول قد عاد آجناقليل به الأقوات ذى كلاً مخل

أى صار، و قال الغنوى:

فإن تكن الأيام أحسن مرهالتي فقد عادت لهنّ ذنوب

قوله: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ [سوره يس، الآية: ٤٠]، يعنى ينبغى لها.

أى: لو كانت تطلب إدراك القمر لما حصلت لها بغيتها، ولا ساعدتها طلبتها يقال: بغيت الشىء، فانبغى لى. أى طلبته، فأطلبنى، وإذا لم ينبغ لها لو طلبت، فيجب أن لا- يحصل الفعل منها البتة، لأن الإدراك معناه اللّحوق و سببه الذى هو البغاء ممنوع منه، فكيف يحصل للسبب؟ و أيضا فإنّ سرعه سير القمر و زيادته على سير الشّمس ظاهر فهو أبدا سابق لها بسرعه، و تلك متأخره لبطئها، و قوله: وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ [سوره يس، الآية: ٤٠] محمول على وجهين.

الأول: أن يكون المعنى بالسبق أوّل إقباله و آخر إدبار النّهار.

و الثانى: أن يكون المعنى آخر إدبار النّهار و أوّل إقبال الصّبح، و سبق اللّيل النّهار بإقباله أن يقبل أوّل اللّيل قبل آخر إدبار النّهار و هذا ما لا يكون.

و أما سبقه إيّاه بإدباره، فإن سبق آخر إدبار اللّيل أوّل إقبال الصّبح قبل كونه، و هذا أيضا لا يكون، و لا يجوز كونه لأنهما ضدّان يتنافيان و يتعاقبان فلذلك لم يجر سبق اللّيل النّهار فى شىء من أحواله.

و قيل معنى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ أى ليس لها أن تطلع ليلا، و لا القمر له أن يطلع نهارا لأن لكلّ منهما شأننا قدر له و وقتا أفرد به، فلا يقع بينهما زاجر فيدخل أحدهما فى حد الآخر قوله: وَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبِقُ بَحُونَ [سوره يس، الآية: ٤٠] أى كلّ واحد منهما له فلك يدور فيه فلا يملك انصرافا عنه؛ و لا تأخرا إلى غيره، و لفظ الفلك يقتضى الاستداره أى و كلّ له مكان من مسبحه مستدير يسبح فيه أى يسير بانسباط، و منه السّباحه، و قال تعالى لنبّيه: إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا [سوره المزمّل، الآية: ٧] و لا- يمنع أن يكون يشير بقوله: فى فلك إلى الذى هو فلك الأفلـك، و إذا جعل على هذا فهو أبهر فى الآيات، و أدلّ على اقتدار صانعه و إنّمّا قال: يسبحون لأنّه لّمّا نسب إليها على المجاز و السعه أفعال العقلاء المميّزين جعل الاخبار عنها على ذلك الحد، و مثله: رَأَيْتُهُمْ لى ساجدين [سوره يوسف، الآية: ٤] و هذا كثير.

و منه قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتَيْنِ [سوره الإسراء، الآية: ١٢] الآية نبه بهذه الآية، و بقوله إنّ عدّه الشهور الآية على نعمه على خلقه فيما إن شاء حالا بعد حال لهم، و ابتدعه و ما عرف مصالحه وقتا بعد وقت، فيما قدر لهم فكر و ذكر و نصب للحاضره و الباديه من الأعلام و الأدله بالمنازل و الأهلّه، و مطالع النّجوم السّياره و غير السّياره حتى جعلت

مواقيت و آجالا، و مواعيد، و آمادا، فعرفوا حلالها و حرامها و مسالمها و معاديتها و ذا العاهه منها مما لا عاهه معها؛ و تبينوا بطول التجارب أضرها أنواع، و أعودها أمطارا، و أعزها فقدانا، و أهونها أخلاقا، فأخذوا لكل أمر أهبتة، و لكل وقت عدته، إلى كثير من المنافع و المضار التي تتعلق باختلاف الأهواء و تفاوت الفصول و الأوقات؛ و من تدبر قوله: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ [سوره الإسراء، الآية: ١٢]. ثم فكر في تميز أحدهما عن الآخر باختلاف حالهما في النور، و الظلمه، و الظهور و الغيبه، و لما ذا صارا يتناوبان في أخذ كل واحد منهما من صاحبه، و يتعاقبان في إصلاح ما به مصالح عبادته و بلاده؟ و كيف يكون نمو القمر من استهلاله إلى استكماله و نقصه، و انمحاقه من ليالى شهره و أيامه؟ و أتى يكون اجتماع الشمس و للقمر، و افتراقهما، و تساويهما، و تباينهما، ظهر من حكمه الله تعالى له إذا تدبره، و رد آخره على أوله، و ولى كل فصل منه ما هو أولى به.

ثم سلك مدارجها، و تتبع بالنظر معالمها و مناهجها أداه الحال إلى أن يصير من الزاسخين فى العلم به تعالى و بمواقع نعمه، و آثار ربوبيته، ألا ترى أنه لو جعل الليل سرمدا، أو جعل النهار أبدا لانقطع نظام التعايش، و انسدت أبواب النمو و التزايد، و تأذى انقلاب التدبير إلى ما شرحة بتعذر فسبحانه من حكيم رءوف بعباده رحيم.

و قد سئل النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن نقصان القمر و زيادته، فأنزل الله تعالى أن ذلك لمواقيت حجكم، و عمرتكم، و حل ديونكم و انقضاء عده نساءكم، و قوله تعالى:

آيَةَ اللَّيْلِ، و آيَةَ النَّهَارِ إِضَافَتُهُمَا عَلَى وَجهِ التَّبْيِينِ وَ الشَّيْءِ، قَدْ يُضَافُ إِلَى الشَّيْءِ لَأَدْنَى عِلَاقَةٍ بَيْنَهُمَا، قَالَ تَعَالَى: فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ [سوره العنكبوت، الآية: ٥]. و لما كان هو المؤجل، و قال فى موضع آخر: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ* [سوره الأعراف، الآية: ٣٤] لما كان الأجل لهم، فكذلك قوله: آيَةَ اللَّيْلِ، و آيَةَ النَّهَارِ، يعنى الآية التي يختص بهما هذا فى إضافته الغير إلى الغير.

فأما إضافته البعض إلى الكل فقولك: خاتم حديد، و ثوب خز، فلا يمنع دخوله فيما نحن فيه، و يكون المعنى أن الآية المحووه كانت بعض الليل، كما أن الخاتم، يكون بعض الحديد، كأن الليل ازداد بالمحو آيتها سوادا، و يقال؛ دمنه محووه إذا درست آثارها و آياتها، و يقال: محوت الشىء، أمحوه، و أمحاه و فى لغه على محيته، و حكى بعضهم: محا الشىء و محاه غيره، و كتاب ماح، و ممحو و محوه، اسم لريح الشمال لأنها تمحو السحاب، و المحووه المطره التي تمحو الجذب و من كلامهم تركت الأرض محووه إذا جادت كلها.

و قال بعضهم: يجوز أن يكون عنى بآيه النهار الشمس، و بآيه الليل القمر، و عنى بالمحو ما فى ضوء القمر من التقصان، و حكى عن السلف أن المراد بالمحو الطخاء الذى

فى القمر قوله: وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] هو على طريق التّسببه أى ذات إبصار، و فى موضع آخر: وَ النَّهَارَ مُبْصِرَةً* [سوره يونس، الآيه: ٦٧] أى مضيئاً و كما يقال هو ناصب أى ذو نصب، و يجوز أن يكون لما كان الإبصار فيها جعله لها، كما يقال رجل مخبت إذا صار أصحابه خبتا، و نهاره صائم، و ليله قائم.

و قال أبو عبيد يريد قد أضاء للناس أبصارهم، و يجوز أن يكون كقولهم: أصرم النّخل أى أذن بالصّرام، و أحرق الرّجل إذا أتى بأولاد حمق و قوله: لَتَبْتَغُوا فُضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] مثل قوله فى موضع آخر: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَشِ كُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرَةً* [سوره يونس، الآيه: ٦٧] و مثل قوله: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاساً وَ النَّوْمَ سُباتاً وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشوراً [سوره الفرقان، الآيه: ٤٧] و فى آخر: وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعاشاً [سوره النبأ، الآيه: ١١] و مثل قوله: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَتَشِ كُنُوا فِيهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ٧٣] و هذه الآى، و إن تشابهت فى معانيها، فقد اختلفت تفاصيل نظومها، فقوله: جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً أى يغشى كلّ شىء من الحيوان و غيره فيصير ذا دعه و سكون و انقطاع عما يعالجه فى النهار لا ابتغاء الفضل فيه، وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعاشاً أى وقت معاش، و المعاش، و المعيش ما أعان على الحياه به ممّا الحياه به، و ليس الحياه، قال أميه:

ما أرى من معيشى فى حياتى غير نفسى

و قد قال أبو العباس محمد بن يزيد: ثم يرى تفسيرهما جملة ثقه بأنّ السّامع يرد كلّاً إلى ماله يريد مثل قوله: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ، ثم قال: لَتَشِ كُنُوا فِيهِ وَ لَتَبْتَغُوا وَ السّكون فى اللّيل، و الابتغاء فى النهار، و مثله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُجُ وَ الْمَرْجَانُ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٢] و إنّما هو من أحدهما، فإن قال قائل: ما تصنع على هذا بقول سيبويه:

لا- يقول لقيته فى شهرى ربيع إذا كان اللقاء فى آخره قال: و كذلك لا يجوز أن يقول لقيته فى يومين، و اللقاء فى أحدهما. قلت: هذا الذى قال صحيح لأنّ ذكرك الشّهر الذى لم يكن فيه اللّقاء، فصل و لكن لو و صفت الشّهرين بما يكون فى واحد منهما فجمعت الصّيفه فيهما كان جيداً، و ذلك قولك فى الشتاء يكون المطر و يقعد فى الشّمس أى هذا و هذا، و كذلك فى شهرى ربيع تأكل الرّطب و التمر أى هذا فى أحدهما، و هذا فى أحدهما كما يقول: لو لقيت زيدا و عمرا لوجدت عندهما نحواً أو خطّاً، إن كان النّحو عند أحدهما، و الخط عند الآخر فليس هذا بمنزله الأوّل لأنّ اللّقاء فى أحد الشّهرين و الآخر لا معنى لذكره البتّه.

قال أبو العباس: و من ذلك قوله تعالى: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ [سوره الرحمن، الآيه: ١٩] بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٠] ثم خبر بفضائلهما فقال:

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٢] و إنما خرج من الملح لا من العذب و لكنه ذكرهما ذكرا واحدا فخبير بما يتضمّنه. و كذلك قوله: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ٧٣]، فالسكون في الليل و الاكتساب في النهار، و لكن كما جمعهما في الذكر ابتداء جمعهما في الخبر انتهاء، افتنانا في النظم و تبخرا في السبك و ثقه بأن اللبس عنه بعيد كيف رتب و في قوله تعالى:

لِتَعْلَمُوا عَٰدَةَ السَّانِنِينَ وَ الْحِسَابِ* [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] إشاره إلى التواريخ و ضبط مبالغ الديون و المعاملات و آمادها و موافقتها، و ما فيه معاشهم و رياسهم و عليه تبتنى منافعهم و مصالحهم، و قد دخل تحت ما ذكرنا ما أشار تعالى إليه بقوله: وَ كُلُّ شَيْءٍ ءِ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيْلًا [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] و إن كانت هدايته أبلغ، و مجامع بيانه من اللبس أبعد، فأما قوله تعالى من الآيه الأخرى التي أوردتها مستشهدا بها جعل الليل لباسا أي للتودع و السكون يقال في فلان ملبس أي مستمتع.

قال امرؤ القيس شعرا:

ألا إن بعد العدم للمرء فنيهو بعد المشيب طول عمر و ملبسا

و قال ابن أحرمر:

لبست أبي حتى تمليت عمره و مليت أعمامي و مليت خاليا

و يجوز أن يريد باللباس الستر لأن الليل عطاء كل شيء و ستره كما قدّمنا، و الأحسن الأول يدل على ذلك قوله تعالى: أُجِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ [سوره البقره، الآيه: ١٨٧] و جعل العله فيما أحلّ منهنّ لهم من الرفث إليهنّ كون الجميع لباسا أي مستمتعا و قوله: وَ النَّوْمُ سُبَاتًا أَى راحه و أمانا و يقال: رجل مسبوت إذا استرخى و نام و سبت فلان العمل بالفتح إذا ترك العمل و استراح و انسبت البسره، إذا لانت و قوله: وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا [سوره الفرقان، الآيه: ٤٧] مثل قوله: إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ٧] أَى ذهابا و تصرفا في طلب الرزق، و لمّا كان النشور في النهار جعله على المجاز نفسه، كقولك: فلان أكل و شرب على تقدير هو ذو أكل فحذف المضاف، أو لغلبه الفعل عليه، جعله كأنه الفعل على هذين الوجهين يحمل قوله شعرا:

ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت فإنما هي إقبال و إدبار

و هو يصف وحشيه. قال بعض أصحاب المعاني النشور في الحقيقه الحياه بعد الموت بدلاله قوله شعرا:

حتى يقول الناس مما رأوا عجا للميم الناس

و هو فى هذا الموضوع الانتباه من النوم و الاضطراب من الدَّعه، و كما سمى الله تعالى نوم الإنسان و فاه بقوله تعالى: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا [سوره الزمر، الآيه: ٤٢] كذلك وفق بين إبقاء من الموت فى التسميه بالنشور.

و منه قوله تعالى: أَلَمْ تَرِ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ [سوره الفرقان، الآيه: ٤٥] الآيه قوله أ لم تر لفظ استفهام و حقيقه البعث على النظر و المعنى انظر حتى تتعجب إلى ما مدّه الله من الظل و إنما قلنا هذا لأن المد مدرك متبين و تبين كقيته يبعد فى الوهم فكيف فى الإدراك فلا يعلمه إلا الله و هذا على عادتهم فى التفاهم بينهم يقولون: أ رأيت كذا، و المراد أخبرنى و أ رأيتك و أ لم ترك كذا و هل رأيت كذا، و لم تر إلى كذا، و أ لم تر كيف كذا؟ و الفصل فى أكثره أن تعق المخاطب على ما تجب منه من المدعو إليه، و قد استعمل هل رأيت معدولا به من حيث المعنى على ظاهره أيضا؟ و ذلك كقول القائل: متى إذا جنّ الظلام، و اختلط جاءوا بمدق؟ هل رأيت الذئب قط؟ و يسمى مثل هذا التصوير لأن المعنى جاءوا بمدق أوراق فصوّروا الورقه بلون الذئب، فأما قوله تعالى: أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ [سوره البقره، الآيه: ٢٥٨] فمعناه أ رأيت كالذى حاجه بين ذلك ما عطف عليه من بعد لأنه تعالى قال: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبِهِ [سوره البقره، الآيه: ٢٥٩] لأن المعنى على ذلك، و الكلام جار على التعجب، و لفظه إلى تأتى إذا حملت أ رأيت على النظر.

فأما قوله تعالى: أَلَمْ تَرِ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ [سوره الفيل، الآيه: ١] فالمعنى أ لم تعلم و لا يحتاج إلى ذكر إلى.

و المراد بالظل عند بعضهم الذى يكون بعد طلوع الفجر فى انبساط و قبل طلوع الشمس و ظهورها على الأرض، و قد قال أهل اللغه فى الفرق بين الظل و الفى ء إن الظل يكون بالغداه و العشى، و الفى ء، لا يكون إلا بالعشى لأنه اسم للذى فاء من جانب إلى جانب. و منه قولهم فى ء المسلمين للغنائم و الخراج الرجعه إليهم. و قد جاء ما يفيد فائدته فى صفة الظل فى مواضع، منها أكلها دائم و ظلها. و منها قوله: و ظلّ ممدود، فجعل ما فى الجنه ظللا فيئا، و كان رؤبه يقول: الظل ما لم تنسخه الشمس، و هو أول و الفى ء ما نسخته الشمس، و هو آخر، و قالوا: الظل بالغداه و العشى، و الفى ء بالعشى، و قيل أيضا: الظل يكون ليلا و نهارا، و الفى ء لا- يكون إلّا بالنهار، و ما نسخته الشمس ففى ء و كان فى أول النهار فلم تنسخه الشمس، و قيل الظل لليل فى كلام العرب قال:

و كم هجرت و ما أطلقت عنهاو كم ربحت و ظلّ الليل دان

فجعل لليل ظلا و قول الآخر و تفيثوا الفردوس ذات الظلال، اتساع أيضا لأنه جعل للأفياء ظللا فأما قوله شعرا:

فلا الظل من برد الضحى نستطيعه و لا الفى ء من برد العشى نذوق

فقد فصل بينهما قوله: وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا [سوره الفرقان، الآية: ٤٥] سئل عنه متى كان متحركا فقول: معنى السكون هاهنا الدوام و الثبات، أ لا ترى أنك تقول للماء الساكن الواقف ماء دائم و راكد و يمكن أن يقال: إِنَّ السَّاكِنَ هَاهُنَا مِنَ السَّيِّئِ كُنِيَ لَا مِنَ السُّكُونِ أَى لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ ثَابِتًا لَا يَزُولُ كَمَا أَنَّ سَكَنِيَ الرَّجُلِ الدَّارَ يَكُونُ إِذَا قَامَ وَ ثَبَتَ.

و قوله: ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا [سوره الفرقان، الآية: ٤٥] يراد به أنه لو لا الشَّمْسُ لما عرف الظل، فالله تعالى يقبضه و يبسطه فى الليل و النهار، و على هذا يكون الدليل بمعنى.

الدال.

و قال بعضهم المعنى دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به و نسخته أى أتبعناها إياه قال: و يدلُّك على ذلك قوله: ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا [سوره الفرقان، الآية: ٤٦] أى شيئاً بعد شىء فعلى طريقته يكون دليلاً فعلياً فى معنى مفعول لا فى معنى الدال، و روى عن الحسن أنه كان يقول: يا بن آدم أما ظلك فسجد لله، و أما أنت فتكفر بالله.

و قال بعضهم: و قد أحسن ما قال: الظل من آيات الله العظام الداله بإلزامه الإنسان منه ما لا يستطيع انفكاكا عنه، فدل بذلك على لزوم القمر له و لسائر الخلق قال الله تعالى:

أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّيُوا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ [سوره النحل، الآية: ٤٨] فظلال الأشياء تمتد عند طلوع الشمس من المشرق طولاً ثم على حسب ارتفاع الشمس فى كبد السماء تقصر حتى ترجع إلى القليل الذى لا تكاد تحس، و حتى يصير عند انتصاف النهار فى بعض الزمان بمنزله التعل للابسها، ثم يزيد فى المغرب شيئاً شيئاً حتى تطول طولاً- مفرطاً، قبيل غروب الشمس و إلى غروبها. ثم يدوم الليل كله، ثم يعود فى النهار إلى حاله الأولى، فالشمس دليل عليه لو لا- الشمس ما عرف الظل، فالله بقدرته القاهره يقبضه و يبسطه فى الليل و النهار. و إنما قال: قَبْضًا يَسِيرًا لِأَنَّ الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعه واحده، و لا يقبل الظلام كله جملة واحده، و إنما يقبض الله تعالى ذلك الظل قبضاً خفياً و شيئاً بعد شىء، و يعقب كل جزء منه بقبضه بجزء من سواد الليل حتى يذهب كله، فدل الله على لطفه فى معاقبته بين الظل و الشمس و الليل، و من كلامهم وردته و الظل عقال و طباق و حذاء. و قال:

و لو احقت أخفافها طبقاو الظل لم يفضل و لم يكر

أى لم ينقص، و يقولون: لم يزل الظل طارداً أو مطروداً، و محولاً، و ناسخاً، و منسوخاً، و سارقاً، و مسروقاً، و كل الذى ذكرت عند التحصيل بيان و تفصيل لما أجمل فيما قدمته، و سيجى ء من صفات الظل و أسمائه فى باب ما ترداد به أنسا بما ذكرناه.

و أما قوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ [سورة النحل، الآية: ٤٨] الآية فقوله: من شىء من دخلت للتبيين كدخولها مع المعرفه فى قوله: فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ [سورة الحج، الآية: ٣٠] والمعنى من شىء له ظل كالشخص، و من هذه قد تجىء مع النكره فتلزم و لا تحذف تقول: من ضربك من رجل و امرأه فاضربه. هذا فى الجزاء كقوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ و إنما كرهوا حذف من لأنهم خافوا أن يلتبس الكلام بالحال إذا قلت إلى ما خلق الله شيئاً، و معنى الحال هاهنا بعيد فالزموه من ليعلم به أنه تفسير و تبين لما قد وقع غير مؤقت يكشف هذا أنك لو قلت: لله دره من رجل، جاز أن يقول: لله دره رجلا، و من رجال فإنك قد أمنت الالتباس بالحال إذا لم يكن ذلك موضعه.

فأما قولك: لله درك قائماً، فإنما جاز سقوط (من) لأن الذى قبله مؤقت فلم يبال التباسه بالحال، قوله تعالى: يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ [سورة النحل، الآية: ٤٨] معناه ما قدمته فى بيان قوله تعالى: كَيْفَ مِيدَ الظَّلِّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا [سورة الفرقان، الآية: ٤٥] و كشفه أن جميع ما خلقه عزّ و جلّ ظلّه يدور معه و يمتدّ لا ينفك منه حتى لو رام انسلاله من دونه لما قدر عليه يصحبه مقبلاً و مدبراً، و كيف مال زائداً عليه و ناقصاً منه ليذكره عجزه، و يصوّر له أنه على تصرفه المتين فى لزام أضعف قرين و ذلك تفيؤه أى ترجعه يمنه و يسره و متنعلاً من تحت، و معتلياً من فوق على حسب اختلاف الأحوال، فيكون للأشخاص فى ء عن اليمين و الشمال إذا كانت الشمس على يمين الشخص، كان الفىء عن شماله، و إذا كانت على شماله كان الفىء عن يمينه، و قيل: أول النهار عن يمين القبلة، و فى آخره عن شمال القبلة، و معنى قوله: سَيَجِدَا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ [سورة النحل، الآية: ٤٨] أنها بآثار الصنعه فيها خاضعه لله تعالى، و ذكر السجود قد جاء فى هذا المعنى فى غير هذا الموضع قال: (غلب سواجد لم يدخل بها الحصر)، و قال آخر:

بجمع تضلّ البلق فى حجراته ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

و المراد الاستسلام بالتسخير و الانقياد.

فأما قوله تعالى: وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ [سورة الكهف، الآية: ١٧] بعد أن قال: فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا [سورة الكهف، الآية: ١١] فمعنى ضربنا على آذانهم أى أمتناهم، و منعناهم الإدراك، و يقال فى الجارحه: إذا أبطلتها ضربت عليها، و فى الممنوع عن التصرف فى شىء ضربت على يده، و معنى تراور، و تزور تنحرف عنهم، أى تطلع على كهفهم ذات اليمين و لا تصيبهم، و العرب تقول: قرضته ذات اليمين، و قرضته ذات الشمال، و قرضته قبلاً و قرضته دبراً، و حدوته ذات اليمين و ذات الشمال، أى كنت بحدائه من كلّ ناحيه، و أصل القرض القطع - أى تعدل عنهم و تتركهم.

وقيل: إنَّ باب الكهف كان بإزاء بنات نعش فلذلك لم يكن الشَّمس تطلع عليه و إنما جعل الله تعالى ذلك آية فيهم، و هو أنَّ الشَّمس لا تقربهم في مطلعها و لا عند غروبها. و قال الله تعالى: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ [سوره الرحمن، الآية: ٦] و قد بيّن الله المراد بما ذكرنا في آية أخرى فقال تعالى: وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ [سوره الرعد، الآية: ١٥] يريد الانقياد في الطاعة من الملائكة و المؤمنين في السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِينَ، و أنه يستسلم من في الأرض من الكافرين كرها و خوفاً من القتل، و ظلالهم بالغدوِّ، و الأصال يؤدّي ما أودع من آيات الحكم و غرائب الأثر فسبحانه من معبود حَقَّتْ له العبادة من كلِّ وجه، و على كل حال فلا- يتوجه إلا- إليه و إن قصد بها غيره، و لا تليق إلا به دون من سواه و الدّاخِر: الصّاغر، و يقال: تفتأت الشجره بظلها إذا تميلت. فأما قوله شعرا:

تتبع أفياء الظلال عشيه على طرق كأنهن سبوب

فإنما أضاف الأفياء إلى الظلال لأنه ليس كل ظل فيئا، و كل فيء ظل، و تحقيق الكلام تتبع ما كان فيئا من الظلال، و مثله في الاتساع قول الآخر:

لما نزلنا نصبنا ظلّ أخيهو فاز باللحم للقوم المراجيل

لأن المنصوبه هي الأخيه، و يقال: أظلّ القوم عليهم أى أوقعوا عليهم ظلالهم، و إنما قال: و هم داخرون، لأن المنسوب إليها من أفعال العقلاء، فأعيرت عبارتهم، و قد مضى مثل هذا.

و منه قوله تعالى: فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآية: ١٧] إلى تظهرون.

اعلم أنّ قولك: سبحان مصدر كقولك: كفران، و غفران إلا أنّ فعله لم يستعمل، و لو استعمل لكان سبح مثل كفر و غفر، و معناه التباعد من أن يكون له ولدا، و يجوز الكذب عليه و التّزويه له، و البراءه من السّوء و كل ما ينفي عنه إلا أنه التزم موضعا و لم يجر مجرى سائر المصادر في التّصرف و الاستعمال. و ذلك أنّه لا يأتي إلا منصوبا مضافا و غير مضاف، لكنّه إذا لم يضاف ترك صرفه فقليل: سبحان من زيد، قال الأعشى شعرا:

أقول لما جاءني فخر فسبحان من علقمه الفاخر

فلم يصرفه لأنّه معرفه في آخره ألف و نون زائدتان فهو كعثمان، و سفيان كأنّه أجرى مجرى الإعلام في هذا، و هم يحملون المعاني على الدّوات في تخصيصها بأشياء كالأعلام لها، و على ذلك أسماء الأفعال، فأما قولهم: سبح تسبيحا، فهو فعل بني على سبحان، و معنى سبح الله، أى قال: سبحان الله فهو عروض قولهم: بسمل إذا قال بسم الله، و قد

أطلق سبّح في وجوه سوى هذا.

منها الصلاة التافلة يشهد لهذا قوله تعالى: فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ [سورة الصافات، الآية: ١٤٣] أى من المصلين، و هو مستفيض أنّ السبحة هي النافله، و كان ابن عمر يصلى سبحته في موضعه الذى يصلى فيه المكتوبه.

و منها الاستثناء كقوله تعالى: قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ [سورة القلم، الآية: ٢٨] أى لو لا تستنون. و قيل: هى لغه لبعض أهل اليمن و ليس للكلام وجه غيره لأنه تعالى قد قال: قَبْلَ ذَلِكَ: إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَ لَا يَسْتَنُونَ [سورة القلم، الآية: ١٧-١٨] ثم قال: قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ [سورة القلم، الآية: ٢٨] فأذكرهم تركهم الاستثناء، و المراد من الله تعالى أن يعرفنا عبادته و يعلمنا حمده و ما يستحق به إذا أقمناه و كأنه قال: سَبَّحُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ وَ تَذَكَّرُوا فِي كُلِّ طَرَفٍ مِنْهَا مَا يَجِدُ عِنْدَكُمْ مِنْ أَنْعَامِهِ، ثُمَّ قَابَلُوا عَلَيْهِ بِمِقْدَارٍ وَسَعَكُمْ مِنَ الْحَمْدِ وَ التَّسْبِيحِ. قوله: حين تمسون و حين تصبحون- أى إذا أفضيتم إلى الصّباح و المساء و حق النّظم أن يكون حين تمسون و حين تصبحون و عشيا و حين تظهرون، لكنه اعترض بقوله تعالى: لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سورة الروم، الآية: ١٨] و مثل هذا الاعتراض إلا أنه أبين الفعل و الفاعل قوله شعرا:

و قد أدركننى و الحوادث جمهأسنه قوم لا ضعاف و لا نكل عزل

و فى القرآن: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ [سورة الواقعة، الآية: ٧٥-٧٦-٧٧]، ففصل بين اليمين و جوابها كما ترى، و حسن ذلك لأن المعترض يؤكد المعترض فى الأوّل، و الحمد إذا اقترن بالتثنيه و التسييح صار الأداء أوفر بهما و أبلغ، و الصّبح، و الصّباح، و الإصباح كالمسىء، و المساء، و الإمساء، و هذا مما حمل فيه النقيض على النقيض، و على هذا المصباح و المسعى، و جاء فالق الإصباح، و يعنى به الصّبح و صبّحت القوم أتيتهم صباحا، أو ناولتهم الصّبح، و يقولون: يا صباحاه إذا استغاثوا، و المصباح السّراج، و اصطبحت بالزّيت، و الصّباح قرط المصباح الذى فى القنديل و العشى آخر النهار، فإذا قلت عشية: فهى ليوم واحد، و العشى السّحاب لأنه يغشى البحر بالظلام الذى يتلخّص به الآية أن يعلم أنّ المساء منه ابتداء الظلمه كما يكون من الصّبح ابتداء النور، و الظّهيره نصف النهار، و فلان يرد الماء ظاهره إذا ورد كلّ يوم نصف النهار يقول، فعلموا الله تعالى بما يدلّ عليه آياته فى الصّباح و المساء، و الغدو، و الرّواح فإنّ فى معنى كلّ لمح من هذه الأوقات بما يحويه من غرائب صنع الله فى تبديل الابدال، و تحويل الأحوال و إيلاج اللّيل فى النهار و النّهار فى اللّيل إيجاب شكره علينا معشر عبيده مؤتلف،

و إلزام حمده ببقاء الزمان متصل قوله تعالى: وَ لَهُ الْحَمِيدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سورة الروم، الآية: ١٨] يريد به في أهل السماوات و الأرض، فهو على حذف المضاف كقوله تعالى: وَ سَيَلِّ الْقَرْيَةَ وَ الْمَرَادِ أَهْلِهَا، وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ مَحْمُودٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَ بِكُلِّ لِسَانٍ.

و ذكر بعض المفسرين أن قوله: فَسَيُبْحَانُ اللَّهُ حِينَ تُمَسُونَ [سورة الروم، الآية: ١٧] الآية داللة على أوقات الصلاة، و هذا سائغ و إن كانت الفوائد فيما ذكرناه أعم و قد قال الله تعالى في موضع آخر: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكَ الشَّمْسِ [سورة الإسراء، الآية: ٧٨] الآية، منها على أوقات الصلاة مجملا، و تاركا تفصيلها و بيانها للنبي صلى الله عليه و سلم، و الدلوک مختلف فيه فمنهم من يجعله الزوال و منهم من يجعله الغروب، و هذا كما اختلفوا في الآية الأخرى و هي:

حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى [سورة البقرة، الآية: ٢٣٨]، فمنهم من قال: أراد بالوسطى العصر، و منهم من قال: أراد بها الفجر و يجوز أن يكون المفروض بقوله: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ [سورة الإسراء، الآية: ٧٨] أربع صلوات في النهار صلاتان: الظهر و العصر، و في الليل صلاتان: المغرب و العشاء الآخرة.

و قوله تعالى: كَانَ مَشْهُودًا [سورة الإسراء، الآية: ٧٨] أى يشهده الملائكة، و يجوز أن يكون المراد حقه أن يشهد، و الغسق الظلمة. فأما اختصاص السماوات و الأرض بالذكر من بين الأشياء كلها فلشمولها لكل مخلوق، و مثله قوله تعالى: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سورة الأنعام، الآية: ٣] و المعنى و هو الذى يحق له العبادة، و إذا كان كذلك فكل مذكور معلوم داخل فيهما، و يكون قوله: يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سورة الأنعام، الآية: ٣] خبرا ثانيا أى هو إله فى الأرض كما هو إله فى السماء لا يخفى عليه خافية.

و يحتمل أن يكون المراد و هو الله فى السماوات أى هو معبود فيها، و قد تم الكلام و يكون قوله: وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سورة الأنعام، الآية: ٣] على أنه خبر ثان، و المراد أنه معبود فى جميع ذلك عالم بالسر و الجهر. و قيل فى قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِى فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ [سورة الزخرف، الآية: ٨٤] أن الخلق يؤلهون إليه - أى يفزعون فى الشدائد إليه مستعينين به (١) و أهل الأرض متساوون فى حاجتهم إلى رحمته و جميل تفضله. فأما قوله: فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ [سورة الزخرف، الآية: ٨٤] فإنه مشترك غير مخصوص و جاز فيه الجمع كما جاء: اجشاء الآلهة إلهها واحدا.

و كما قال: اجشاء لنا إلهها كما لهم آلهه و هو يعمل عمل الفعل، ألا ترى أن قوله:

١- كذا فى الأصل، و الظاهر، و أهل السماء، و أهل الأرض ١٢ الحسن النعمانى.

وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهَ الظَّرْفِ فِيهِ مَتَعَلِقٌ بِمَا فِي الإِلَهِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ وَ فِي تَقْدِيرِهِ وَ إِعْرَابِهِ عَدَهُ وَ جَوْهَهُ: مِنْهَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْعَائِدَ إِلَى الَّذِي مَحذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ: وَ هُوَ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الأَرْضِ إِلَهٌ، وَ سَاغَ حَذْفَ الْعَائِدِ بِطَوْلٍ، وَ هِيَ قَوْلُهُ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الأَرْضِ إِلَهٌ، وَ هَذَا كَمَا حَكَى عَنْهُمْ مَا أَنَا بِالَّذِي قَائِلٌ لَكَ شَيْئًا، وَ قَدْ قَالَ الْخَلِيلُ: إِنِّي أَسْتَحْسِنُهُ إِذَا طَالَ الْكَلَامُ فِي هَذَا وَجْهٍ، وَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ مَرْتَفِعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ وَ خَبْرُهُ فِي السَّمَاءِ وَ فِي الأَرْضِ وَ الْعَائِدُ إِلَى الَّذِي هُوَ الَّذِي يَعُودُ إِلَى إِلَهٍ لِأَنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَعْنَى وَ الْحَمَلُ عَلَى الْمَعْنَى مَذْهَبُ أَبِي عَثْمَانَ، وَ قَالَ مَعَ ذَلِكَ لَوْ لَا كَثْرَتُهُ لِرُدَّتِهِ، وَ مِثْلُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ: أَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ، وَ قَوْلُهُ:

(أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ) وَ الْقِيَاسُ فِعَالٌ، وَ سَمَّتَهُ وَ قَوْلُهُ: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الأَرْضِ يَغْلَمُ سِرُّكُمْ وَ جَهْرُكُمْ [سُورَةُ الأَنْعَامِ، الآيَةُ: ٣] الظَّرْفُ لَا- يَتَعَلَقُ بِالْإِسْمِ أَعْنَى لَفْظِهِ اللَّهُ عَلَى حَدِّ مَا يَتَعَلَقُ بِإِلَهٍ إِلا- عَلَى حَدِّ مَا ذَكَرَهُ لَكَ، وَ هُوَ أَنَّ الْإِسْمَ لَمَّا عَرَفَ مِنْهُ مَعْنَى التَّنْدِيرِ لِلْأَشْيَاءِ وَ إِبْقَائِهَا بِحِفْظِ صُورِهَا فِي نَحْوِ: أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، وَ نَحْوِ:

وَ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا- بِإِذْنِهِ، وَ نَحْوِ: أَمِنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا، وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا، صَارَ إِذْ ذَكَرَ كَأَنَّهُ ذَكَرَ الْمَدْبَّرَ وَ الْحَافِظَ فَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ الظَّرْفُ بِهَذَا الَّذِي هُوَ الْإِسْمُ الْعَالِمُ بَعْدَ أَنْ صَارَ مَخْصُوصًا وَ فِي حُكْمِ أَسْمَاءِ الأَعْلَامِ الَّتِي لَا مَعْنَى فِعْلٍ فِيهَا، فَهَذَا بِمَعْنَى الْإِسْمِ، وَ مَا كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ.

وَ عَلَى هَذَا تَقُولُ: هُوَ حَاتِمُ جَوَادَا، وَ هُوَ أَبُو حَنِيفَةَ فِقِيهَا، وَ هُوَ زَهْرِيُّ شَاعِرًا، فَتَعَلَّقَ الْحَالُ مِمَّا دَخَلَ فِي هَذِهِ الأَسْمَاءِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ لِأَشْتِهَارِهَا بِهَذِهِ الْمَعْنَى، فَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَقُولُ: هُوَ زَيْدُ جَوَادَا مَا لَمْ يَعْرِفْ بِذَلِكَ وَ عَلَى هَذَا تَقُولُ: هُوَ حَاتِمُ كُلِّ الْجَوَادِ، وَ هُوَ أَبُو حَنِيفَةَ كُلِّ الْفَقِيهِ.

وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ* [سُورَةُ يُونُسَ، الآيَةُ: ٣] الآيَةُ، لَمَّا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى خَالِقَ الأَشْيَاءِ وَ مَبْتَدِعَهَا، وَ مَدْبَّرَ الأَفْلاكِ وَ مَسْخَرَهَا، وَ كَانَتْ الأَبْصَارُ لَا تَدْرِكُهُ، وَ الأَقْطَارُ لَا تَحْدَهُ، وَ أَرَادَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ إِلَى مَنْ يَتَعَبَّدُ مِنْ خَلْقِهِ لِتَسْكُنَ نَفُوسُهُمْ إِلَى مِصْطَنَعِهِمْ فَيَعْتَصِمُوا بِهِ وَ يَتَمَسَّكُوا بِدَعَائِهِ أَحَالَهُمْ عَلَى مَرَادِهِ مِنْ ذَلِكَ بِأَثَارِهِ وَ آيَاتِهِ فِي أَرْضِهِ وَ سَمَائِهِ، إِذْ كَانَ الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِمَا يُؤَدِي إِلَيْهِ رَوَاتِبُ الْحَسَنِ، وَ هِيَ الأَجْسَامُ وَ الأَعْرَاضُ، أَوْ بِمَا يَبْرَهِنُ عَلَيْهِ دَلَائِلُ الصِّنْعِ، وَ هُوَ مَا يَكْشِفُ عِنْدَ الاستِدْلَالِ، فَأَعْلَمَ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا أَنْزَلَهُ أَنَّ الَّذِي يَجِبُ تَعْظِيمُهُ وَ يَحِقُّ رُبُوبِيَّتُهُ هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَتَوَصَّيْلُوا إِلَى مَعْرِفَةِ مَا نَصَبَهُ مِنْ أَدَلَّتِهِ، فَسِيَّسْهُمُ لَكُمْ مِنْ جَلَائِلِ قُوَّتِهِ وَ عَزَّتِهِ مَا يَزِيدُ فِي الْبَيَانِ عَلَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْوَاحِدُ مِنْكُمْ بِحَاسِيَّتِهِ وَ يَصُورُ لَكُمْ النَّظَرَ بِمَا مَهَلُ فِي أَوَائِلِ عَقُولِكُمْ مَا تَمَيَّزَ الشُّكُّ مِنَ الْيَقِينِ لَكُمْ وَ تَخَلَّصَ الصَّفْوُ مِنَ الْكُدْرِ

فى معتقدكم، فالآله تامه، و العله مزاحه، و ما كلف بما كلفتم إلاً بحكمه بينه، و طريقه فى فنون الصواب ثابتة، و إنما خلقهما فى ستة أيام ليعرف عباده أن الرفق فى الأمور، و ترك التعجيل هو المرضى المختار فى التدبير لأنه تعالى لو شاء أن يخلقهما فى أدنى اللمحات، و أوحى (١) الأوقات لما مسه فيما يأتيه إعياء و لا لغوب، و لا أعجزه كلال و لا فتور.

و إنما أراد أن يحدثه حالاً بعد حال لتدرى ثمرات عبرهم شيئاً بعد شىء، و ليتأدب أولو البصائر بآياته، و حملة قرنا بعد قرن، يبين هذا أنه تعالى نهى نبيه عليه السلام فيما يتلقاه من وحيه، و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه و قل رب زدنى علماً [سوره طه، الآية: ١١٤] و قال أيضاً: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ [سوره الإنسان، الآية: ٢٣-٢٤]، ثم جعل فيما نزله مجملاً و مطلقاً و لو شاء لجعل الكلّ مفسراً، و نعى على الكفار لما قالوا: لو لا نزل عليه القرآن جملة واحده. و قال: كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا [سوره الفرقان، الآية: ٣٢] و هذا أحسن.

و قال بعض مشايخ أهل النظر: لو أراد الله تعالى أن يخلقها و يخلق أضعافاً كثيره معها لفعله، و هو عليها قادر لكنه جعلها فى ستة أيام ليعتبر بذلك ملائكته الذين كانوا يشاهدونه، و هو يحدث شيئاً بعد شىء فى هذه الأيام الستة عبره مجدده، و يستدل بكل ما يحدث دلالة مستأنفه و ليكون ذلك زياده فى بصائرهم، و الحجج التى يقيمها عليهم، فقيل له فى ذلك: إن كان ذلك حكمه فيجب أن يطرد فى جميع ما خلقه و ليس الأمر على هذا على أن ذلك ليس بسائغ لأن الملائكة لا يستغنون عن مكان يحويهم و إذا كان لا مكان فى العالم إلا السماء و الأرض فليس يعقل كون الملائكة قبل كونهما.

و يمكن أن يقال: فى هذا و الله أعلم أنه تعالى أعلمنا أنه أحدث شيئاً بعد شىء حتى وجدت عن آخرها فى ستة أيام، و بين لنا بذكر الأيام الستة ما أراد أن يعلمنا إياه من الحساب الذى لا سبيل لنا إلى معرفه شىء من أمور الدنيا و الدين إلا به، كما قال: وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عِدَّةَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ [سوره يونس، الآية: ٥] الآية. فأصل جميع الأعداد التامه ستة، و منها: يتفرع سائر الأعداد بالغاً ذلك ما بلغ إذ كان ما عداها من الأعداد ناقصاً، أو زائداً.

ألا ترى أن لهذا النصف و هو ثلاثه و الثلث، و هو اثنان، و السيدس، و هو واحد، و إذا حسبت جميعها كانت ستة، و عند من يعنى بهذا الشأن أن نظير الستة من العشرات ثمانية و عشرون، و كذلك لها فى كل من المائتين و الألوف نظير واحد، فالسنة أول الأعداد التامه

كما أنّ التسعة منتهى الأنواع كلها الآحاد والعشرات والمئات والألوف لاشتمالها على الفرد، وهو واحد والزّوج وهو اثنان و الزّوج والفرد، وهو ثلاثه و الزّوجين، وهو أربعة، وقد انتهى أنّ ما يجىء من بعد يكون مكرراً، وإذا حسبت الجميع كان تسعة، فكأنه سبحانه من حكيم أراد أن يكون انتهاء خلقه للعالم بأسره إلى عدد تام فيما يحصى كما أنه في نفسه تام لا بخس فيه ولا شطط فيما يروى و يتلى.

و نظير هذه الآيه قوله تعالى في موضع آخر: وإن كان فيه زياده بيان، و سنحكم القول في جميعه لأنّ ما فيه من زياده بيان نقيضه إن شاء الله تعالى.

و قوله تعالى: قُلْ أَإِنكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ [سوره فضّلت، الآيه: ٩] إلى في أربعه أيام سواءً للسائلين [سوره فصلت، الآيه: ١٠] يريد ما أضيف إليه لو لا- ذلك لما كان لقوله سواء للسائلين معنى فكأنه قال في تمام أربعه أيام سواء لمن يسأل عن ذلك، ثم قال: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ [سوره فضّلت، الآيه: ١١] إلى في يَوْمَيْنِ [سوره فصلت، الآيه: ١٢].

و اعترض بعض الملاحده فقال: هذا باطل إنكم وفقتم بين التفصيل في هذه الآيه و بين الإجمال في الآيه المتقدّمه، بأن تقولوا: قوله في أربعه أيام، يريد مع اليومين الذين خلق الأرض فيهما، فما قولكم في قوله: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ الْآيَه. فدلت هذه الآيات على أنه خلق الأرض قبل السماء.

و قال في موضع آخر: أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا إِلَى وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا [سوره النازعات، الآيه: ٢٧، ٣٠] فدلت هذه الآيه على أنه خلق السماء قبل الأرض.

و الجواب أنه إنما كان يحد الطّاعن متعلقاً لو قال: و الأرض بعد ذلك خلقها، أو أنشأها و إنّما قال: دحاهها، فابتدأ الخلق في يومين، ثم خلق السّموات و كانت دخاناً في يومين، ثم دحا بعد ذلك الأرض أى بسطها و مدها و أرساها بالجبال و أنبت فيها الأقوات في يومين فتلك ستة أيام و ليس أحد أنه تعالى لها في ستة أيام إلا كتكوينه إياها في غير مده و لا زمان لكن الحكمة التي دللها عليها أوجبت تقسيمها و الإتيان بها على ما ترى.

و قال في موضع آخر: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ* [سوره يونس، الآيه: ٣] و كان عرشه على الماء، و هذا أبلغ في الأعجوبه أن يكون العرش هذا البناء العظيم على الماء و إنّما يراعى في أسباب الأبنيه و وضع قواعدها أن يكون على أحكم الأشياء فهو مثل ابتداع أعيانها و إقامتها بلا عهد و لا علاقته. و قوله: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ [سوره فصلت، الآيه: ١١] أى قصد خلق السماء كما خلق الأرض سواء، و عمد إليها بعقب خلقها من غير

حائل بينهما و ذلك تكوينه لهما جميعا كما أراد. و هذا كما يقال: فعلنا كذا، ثم استوينا على طريقنا، أو استمررنا فيها سائرين و لم يشغلنا عن الامتداد شاغل. قال زهير في مصداق ذلك:

ثم استمروا و قالوا إن موعداكم ماء بشرقى سلمى فيد أو ركك

و يروى ثم استووا، و تنادوا، و قد كان الله تعالى قبل تسويته إياها على ما هي عليه خلقها دخانا، فكون بعد ذلك من الدخان سماء و شمسا و قمرا و كواكب و منازل و بروجاً و قوله: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ* [سوره يونس، الآية: ٣] يريد الاستيلاء، و الملك يدل عليه قول بعيث:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهران

يعنى بشر بن مروان لما ولى العراق، و العرش يحتمل أن يكنى به عن الملك و إن كان الأصل فيه ما يتخذة الملوك من الأسرّه، و لهذا قيل لقوام أمر الرّجل العرش، و إذا اضطرب قيل ثلّ عرشه، و يحتمل أن يراد به السّماوات و الأرض لأنّ كلها سقف عند العرب، و يقال:

عرشت الشىء، و سمكت، و سقفت، و سطحته بمعنى، و يكون مجىء ثم على هذا النسق خبرا على خبر لا لترتيب وقت على وقت و مثل هذا قول الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد بعد ذلك جدّه

و ذكر بعض شيوخ أهل النظر أنّ ثم إنما هو لأمر حادث، و استيلاء الله على العرش ليس بأمر حادث بل لم يزل مالكا لكل شىء، و مستوليا على كل شىء فيقول: إنّ ثم لرفع العرش إلى فوق السّماوات و هو مكانه الذى هو فيه فهو مستول عليه و مالك له فثم للرفع لا للاستيلاء، و الرفع محدث، قال و يشبه هذا قوله تعالى: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ [سوره يونس، الآية: ٣١] لأنّ حَتَّى يكون لأمر حادث و علم الله ليس بحادث. و إنّما المعنى يجاهد المجاهدون و نحن نعلم ذلك و إنّما قال هذا لأنه لم يعرف ما ذكرناه من الوجه الثّانى فى ثم، و معنى يغشى اللّيل النّهار أى يغطى ضياءه و نوره، فهو كقوله: يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ* [سوره لقمان، الآية: ٢٩] قوله: يطلبه حثيثا أى يطلب اللّيل النّهار، و الحثيث السّريع، و ذلك كما قال: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ [سوره يس، الآية: ٤٠] جعل التّعاقب كالطلب و قد مرّ القول فى ذلك مستقصى.

قوله تعالى: مَسِيخَاتٌ بِأَمْرِهِ* [سوره النحل، الآية: ١٢] أى بإرادته و انتصب القمر و ما بعده بالفعل، و هو خلق، و مسخّرات انتصبت على الحال أى سخّرت بالسير، و الطّلوغ و الغروب. قوله تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ [سوره الأعراف، الآية: ٥٤] المراد بالخلق

المخلوق و للأمر في اللغة وجوه تجي ء و معناه الإرادة و الحال و مصدر أمرت، و تختص هنا بالإرادة على ذلك قوله تعالى: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ [سورة الروم، الآية: ٥٤].

و المعنى الأمر كله له لا شريك معه في شى ء و لا معين، و لا وزير، و لا ظهير. و إنّ إرادته هي النافذة لا ترتد و لا تبوء، و لا تتوقف، و لا تكبو، بل يحصل المراد على الوجه الذى يريده بلا تعب و لا نصب.

قوله تعالى: فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [سورة غافر، الآية: ٦٤] تمجيد و تجليل، و هذا تعليم من الله كيف يمجد كما أنّ قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سورة الفاتحة، الآية: ٢]، تعليم كيف يحمد، و العالمين الخلائق. و قال بعضهم: هو من العلامه لأنه بآثار الصنعه فيه يدل على الصانع فهو كالعلامه له فى الأشياء، و قيل هو من العلم كأنه علم الصانع جرى مجرى قولهم الخاتم و الطابع لأنه يختم بهما الشى ء و يطبع، ثم اختير له جمع السلامه لغلبيه العقلاء الناطقين. و قوله تعالى من الآية الأخرى: ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ [سورة فصّلت، الآية: ٩] بعد قوله: لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ تَبَكَّيْتُ لِلْمَخَاطِبِينَ و إزرأ بهم. و إنّ أمثال كيدهم لا يعبأ بها و لا تأثير لها مع خالق أصناف الأشياء كلّها على اختلاف فطرها. و تلخيص الكلام أ تكفرون بمن هذه آثاره، و تجحدون نعمه عليكم، مع ادعاء شركاء له ذلك رب الأرباب و خالق الأرض و السماوات، و هو لنا و لكم بمرصاد.

و معنى قوله تعالى: فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا [سورة فصّلت، الآية: ١١] بيان التكوين، و قوله تعالى: قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ [سورة فصّلت، الآية: ١١] بيان حسن الطاعه، و سرعه التكوّن لكنه لمّا جعل العبارة مبنيه على الابتداء و الجواب بالألفاظ المستعاره و الأمثال المضروبه لتمكن فى نفوسهم و تعشش فى صدورهم جريا على عاداتهم فى أفانين الكلام، و أساليب التصاريح فى الاستفهام و الأفهام، و إخراجهم ما لا نطق له البتّه فى صوره الناطق حتى صارت أجوبه أسند لهم إذا واجهوها، و إن كانت من عندهم كأنها من مخاطب، إذ كان اعتبارهم يغنى عن الجواب و المجيب، حتّى قال بعضهم: إذا وقفت على المزارع المرفوضه و الدّيار الدّارسه المتروكه فقل: أين من شقق أنهارك و غرس أشجارك، و جنى ثمارك؟ أين من بنى دورك و أسّس ربوعك و عرّش سقوفك؟ فإنها إن لم تجبك جوارا أجابتك اعتبارا. فعلى هذا الذى ربّنا الكلام صار ظاهر بناء الأمر بالإتيان طوعا أو كرها إيجابا لحصول الفعل حتى لا- معدل عنه إذا كان وقوع الفعل من الفاعلين لا يقع إلّا على أحد هذين الوجهين، و هذا كاف لمن تدبّر.

فأما الطّوع و الكره و الطائع و المكروه و استعمال الناس لهما فيما يثقل أو يخف و يهون أو يشتد فظاهر، و قد قال الله تعالى فى قصه ابنى آدم: فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ [سورة

المائدة، الآية: ٣] أى سهّلته عليه و دمثته. و أما التأنيث فى قال لها و قالتا فللفظ السماء و الأرض و كونهما فى لغتهم مؤنثين، و أما جمع السّلامه فى طائعين فلما أجرى عليهما من خطاب المميزين، و قد مضى مثله. و روى فى التفسير أنّ ابتداء خلق الأرض كان فى يوم الأحد، و استقام خلقها فى الاثنين، و بارك فيها و جعل فيها رواسى فى تتمه أربعة أيام مستويات تامّات للسائلين عنها ثمّ استوى إلى السماء [سوره فضّلت، الآية: ١١] أى عمد فقضاهن سبع سماوات فى يومين أى أحكهما و فرغ منهما قال الهذلى:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السّوابغ تبع

و قيل: اللّام فى السائلين تعلق بقوله تعالى: وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا [سوره فضّلت، الآية: ١٠] و المعنى قدر الأقوات لكلّ محتاج إليها سائل لها، و الأول أحسن فى النّظم و أجود، و يجوز أن يكون المراد بقوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ أى قصد لبنائها من غير فصل و لا- زمان كما يقال لمن كان فى عمل و أريد منه إتمامه و ترك الانقطاع عنه استقم ما أنت عليه و معنى: جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ [سوره فضّلت، الآية: ١٠] أى جبالا ثوابت تمسكها، و هذا كما قال تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا [سوره النبأ، الآية: ٦، ٧] و قوله: سَوَاءٌ الْمُنْتَصِبُ عَلَى الْمَصْدَرِ أَى استوتت سواء، و استواء، و يجوز الرفع على معنى و هى سواء أى مستويات. و يجوز الخفض على أن يكون صفه لقوله فى: أَرْبَعَهُ أَيَّامٍ سَوَاءً [سوره فضّلت، الآية: ١٠] و المعنى مستويات.

و قوله تعالى: وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا [سوره فضّلت، الآية: ١١] المراد بالوحى الإبراده و التكوين، و المعنى أخرج كل واحده من السّماوات على اختلافها على ما أراد كونها عليه و قدّرها من مراده قال تعالى: وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا [سوره الأحزاب، الآية: ٣٨] و كما جعل السّماوات سبعا شدادا كذلك خلق الأرض سبعا طباقا بدلاله قوله تعالى: وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ [سوره الطلاق، الآية: ١٢] و قوله: وَ زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظًا [سوره فضّلت، الآية: ١٢] يريد جعلنا الكواكب زينه للسماء و حفظناها من مسترقه السّمع، فالمصابيح يستضاء بها فى الأرض ليلا و نهارا، و قال: وَ حِفْظًا لِأَنَّهَا بِاللَّيْلِ رَجُومٌ لِلشَّيَاطِينِ، و انتصب بفعل مقدّر كأنه. قال: زَيْنَتْ بِمَصَابِيحٍ، و حفظت بها حفظا، ثم ختم القصّه بأن قال: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [سوره فضّلت، الآية: ١٢] نبه على حكمته فيما فعل و قدرته و أنه العالم بعواقب الأشياء حتى تقع وفق إرادته.

و منه قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا [سوره الفرقان، الآية: ٦١] إلى سُكُورًا أراد بالبروج الحمل، و الثور إلى الحوت، فالفلك مقسوم بها، و كل برج منها ثلاثون قسما، و يسمى الدرّج و إنما قسّم الفلك بهذه القسمة ليكون لكلّ شهر برج منها لأنّ

القمر يجتمع مع الشمس في مده هذه الأيام اثنتي عشرة مره، فجعلت السنه اثني عشر شهرا، و هي التي تسمى الشهور القمرية، و جعل الفلك اثني عشر برجاً لأن الشمس تدور في هذا الفلك دوراً طبيعياً فمتى انتقلت من نقطه واحده بعينها عادت إلى تلك النقطه بعد ثلاث مائه و خمسه و ستين يوماً و قريب من ربع يوم و يستعد فيها فصول السنه التي هي الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء. و لهذه العله سميت هذه الأيام سنه الشمس.

فلما كانت العرب تراعى القمر و منازلها، و هي ثمانيه و عشرون منزلاً في قسمه الأزمان و الفصول و الحكم على الأحداث الواقعه في الأحوال و الشهور مراعاة عجيبة. و لهم في ذلك من صدق التأمل و استمرار الإصابه ما ليس لسائر الأمم حتى تستدل منها على الخصب و الجدب، و يعتمد منها على ما تبنى أمورهم عليه في الظن و الإقامه ذكرهم الله تعالى بنعمته عليهم فيها، و على جميع الخلق و دعاهم إلى إقامه الشكر عليها ليستحقوا المزيد، فقال تعالى في موضع آخر: أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا [سوره نوح، الآية: ١٥] و قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً [سوره يونس، الآية: ٥] فقوله: تَبَارَكَ تَعْلِيمُ مِنْهُ أَي قَوْلُوا تَبَارَكَ، و المعنى دام ذكره و ثبت بركته عليكم و يمنا و استدماه الخير و نفعاً.

و أصل البروج في اللغة الحصون، فاستعيرت على التشبيه و قوله تعالى: جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا [سوره الفرقان، الآية: ٦١] أي الشمس و قد كرر ذكر الأنوار و الظلم في عده مواضع؛ و لم يجعل لفظه السراج من بينها إلا للشمس، و ذلك لشيء حسن و هو أن الضياء و النور و المصباح و ما أشبهها من أسماء ما يستضاء به لا يقتضى شيء منها أن يكون في الموصوف به اتقاد و حمى إلا الشمس، فثبت على ذلك فيه بأن سماه سراجاً، و لا تسمى سراجاً حتى يكون محرقاً، و كشف الله تعالى عن المراد بقوله في موضع آخر: وَ جَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا [سوره النبأ، الآية: ١٣]. و الوهج ضوء الجمر و اتقاده، فلهذا خصّ الشمس بأن و صفت بالسراج و هذا بين. قوله: جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [سوره الفرقان، الآية: ٦٢] أي مختلفه يجيء هذا خلف هذا، و هذا خلف هذا، و يجوز أن يريد به أنها تجيء و بعضها يخلف بعضها لأنها لا تستقرأ إلا بهذا بل تتابع و تختلف في قصورها و يكون شاهد هذا الوجه قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ [سوره آل عمران، الآية: ١٩٠]. و انتصاب خلفه يجوز أن يكون على الحال، و قوله: لِمَنْ أَرَادَ مَفْعُولًا- ثانياً لجعل، و المعنى صير الليل و النهار على اختلافهما لمن أراد تذكرها، أو تشكرها، و اللام في لمن تعلق بجعلنا، و يجوز أن ينتصب خلفه على أنه مفعول ثان لجعل، و اللام في لمن تعلق بها حينئذ أي صير خلفه لهم و من أجلهم و الوجه في تفسير خلفه حينئذ أن يكون من الخلافه لا من الاختلاف فاعلمه،

وقوله تعالى: لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ روى عن الحسن فيه أنه قال: من فاتته (١) عمله من التذکر والتشکر كان له فى اللیل مستعب و من فاتته باللیل كان له فى النهار مستعب.

و تلخیص الآیه من أراد الاستدلال على الله، فتفكر فى آلائه التى لا تضبط و تذكر أنعمه التى لا تحصى كانت أوقات اللیل و النهار میسر له مهیأه، فلیأت منها کیف شاء، و الشکر کل ما كان طاعه و ثناء على الله، و یكون بالفعل و القول جميعا قال تعالى: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيلًا مِنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ [سوره سبأ، الآیه: ١٣] قال تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ* [سوره القمر، الآیه: ١٧] و من تأمل هذا التوسیع من الله علیه حتى لا وقت من أوقاته إلّا و له أن ينقطع فيه إلى الله من غير تضيق و لا- مدافعه على أنّ الله تعالى شكور كريم یقبل الإنابه کیف اتفقت، فنعمته عند إنعام من شكره مثل نعمته حين یتدی من صنيعه، فسبحانه من منعم فى كل حال.

و منه قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [سوره المرسلات، الآیه: ٢٩] إلى لِلْمُكذِّبِينَ قوله تعالى: انْطَلِقُوا لم یرد به الأمر بالانطلاق و إنما هو مقدمه یأس من المأمور و بعث على الأخذ فى غيره على هذا قوله تعالى: وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا [سوره ص، الآیه: ٦] و هذا فى المعنى كقولهم: طفق یفعل كذا، و أقبل یأمر بكذا، و قم بنا نفعل و إن لم یكن، ثم اقبال و قیام و یقولون: ذهب یقول فى نفسه و إن لم یكن منه ذهاب لأنّ المراد ما كان مهیأ لذلك و فى صورته و على هذا قولهم: تعال نفعل كذا و هلم نأخذ فى كذا قوله تعالى: إلى ما كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ الذى كذبوا به فى الدنیا هو البعث و النشور و ملائكه الله و كتبه و رسله و شىء من ذلك لم یوجهوا إليه إنما المراد صيروا إلى ما كنتم تحذرونه و تخوفون له فلا تعبئون به و لا تنزجرون لمكانه و هذا تبكیت و تفریع.

قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ [سوره المرسلات، الآیه: ٣٠] ذكر أهل التفسیر أنه یرجى لسان من النار فتحیط بهم كالسیرادق، ثم تنشعب منه ثلاث شعب من الدخان فیظللهم حتى یفرغ من حسابهم و یساقون إلى النار و لا یمنع أنّ یكون المراد انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من شدائد عقابه و أليم سخطه. و یكون انطلقوا التانى شرحا للأول، و كالتفسیر له و المراد انطلقوا من العذاب إلى ما یلزمكم لزوم الظل و لا- روح فيه و لا- راحه من الحرکه، كما كنتم ألفتيموه فى الدنیا عند الحرب من لفح الهاجره و لهب الحرور إلى الظلال الثابته بل یرمى بشرر یتطایر، و كأنها فى عظمها جمالات صفر، و الجمالات جمع جماله، و زیدت التاء توكید التانیث الجمع. و هذا كما یقال: بحر و بحاره و ذكر و ذكاره، و قد قرأ ابن

مسعود جماله، و قرئ جمالات و هو أكثر في القراءه و أقوى و لا تمنع في قراءه ابن مسعود أنها الطائفه منها، و يراد بالجمالات الطوائف، و هذا كما يقال: جمال، و جمالات، و عند التفرق في الهجاء جمالات، و يكون جمالات، و جمال كجمال، و جمالات، و بيوت، و بيوتات للطوائف، و قد قيل: رجال و رجاله كرجالات في كلامهم يريدون ما فسرت و بينت لأن رجال نهايه الجمع و رجاله إذا جعلتها للطائفه فهي دونه، و معنى صفر سود قال: هي صفر ألوانها كالزغب.

و قد قيل: جعلها صفرا لأن لون النار إلى الصفرة قوله تعالى: بِشَرِّ كَالْقَصْرِ [سوره المرسلات، الآية: ٣٢] قيل فيه: واحد القصور و التشبيه بها لعظمها، و قيل: القصر بسكون الصاد جمع قصره، و هي الغليظ من الشجر و قرئ كالقصر بفتح الصاد و هي أعناق الإبل.

فأما تكرير التشبيه و جعلها أولا كالقصر و في الثاني كالجمالات فكأنه أراد بالقصر الجنس فتحصل الموافقه لأن الجنس كالجمع في الدلاله على الكثره؛ أو أراد تشبيه الشره الواحده بالقصر، فإذا توالى شررا كثيرا فهي كالجمالات، فعلى هذا حصل التشبيه للواحد و للجمع و الله أعلم.

و قوله تعالى: لا- ظليل فهو كقولهم: داهيه دهياء، و نهار أنهر، و ليل أليل، و ليله ليلاء يتبعون الشىء بصفه مبنيه منه. و المراد المبالغه و التأكيد. و قال: ظلّ ذى ثلاث شعّب [سوره المرسلات، الآية: ٣٠] لأنها محيطه بأهلها من جميع الجوانب إلا القفاء لأنها لا- تقفى نفسها و على هذا كل ذى ظل إذا تأملته و يشهد للإحاطه قوله تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ [سوره الزمر، الآية: ١٦]. و قال تعالى: يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [سوره العنكبوت، الآية: ٥٥]، و قال بعض أصحاب المعانى: فى (ثلاث شعّب) المراد أنه غير ظليل، و أنه لا يغنى من اللهب و أنها ترمى بالشر كالقصر، و تحصيل هذا ذى ثلاث صفات.

و منه قوله تعالى: فلا- أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ [سوره الواقعه، الآية: ٧٥] إلى الْعَالَمِينَ قوله: فلا- أُقسِمُ يجوز أن يكون قوله: فلا- نفيا لشىء قد تقدّم، و تكون الفاء عاطفه عليه و ابتداء اليمين من قوله: أُقسِمُ و يجوز أن تكون لا دخلت مؤكده نافية كما جاء فى قوله تعالى: لئنَا يَغْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ [سوره الحديد، الآية: ٢٩]، و المعنى لأن يعلم، و قال بعضهم: لا دخلت لنفى الأقسام، و قال لأنّ الإيمان يتكلّفها المتكلم تأكيدا للإخبار، و إزاله لما يعترض فيها من التجوز و التسمح؛ و إذا كان الأمر على هذا فقوله: فلا أُقسِمُ يجوز أن يراد به أنّ المحلوف له فى الظهور و خلوصه من الشكّ أبين و أوضح من أن

يتكلم إثباته بالإيمان. و على هذا يكون قوله: و إنّه لقسم يراد به أنّ الحلف بمواقع النجوم عظيم ممّن أقسم بها، و قوله: لَوْ تَعْلَمُونَ بعث على الفكر فى المحلوف فيه و بما يتضمّنه مما يعظم موقعه فى الصّيدور عند تأمل الأحوال المبهجه للاستدلال؛ و قيل: أراد بالنجوم الأنواء و ما يتعلق بها من حاجات النفوس و من المآرب و الهموم على اختلاف المعتقدات فيها. و قيل: بل المراد بها فرق القرآن لأنّ الله تعالى أنزله نجوما لما عرفه من مصالح المكلفين و المدعوين إلى الدّين، و يكون الشّاهد لهذا الوجه قوله: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٧]، و يكون الطّريق فيمن جعلها الأنواء التّنبيه على وجوه النّعم فى الأنداء و الغيوث، و ما به قوام الخلق فى متصرفاته. قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ جواب اليمين عند من أثبتة يمينا و فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٨] يجوز أن يريد به اللّوح المحفوظ لأنّه أودع التّنزيل اللّوح، ثم فرّق منه نجوما و يشهد لهذا قوله تعالى: وَ إِنَّهُ فى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا [سوره الزخرف، الآيه: ٤] و ذكر الأم كما قيل فى المجرّه أم النّجوم، و كما قيل مكه أم القرى، و معنى كريم أنّه خلص من جميع الأدناس، و طهر من الشّوائب، يشهد لهذا قوله تعالى فى صفه المؤمنين: وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا [سوره الفرقان، الآيه: ٧٢].

و هذا كما يقال: فى صفه الشىء العظيم الخطير هو مكرم على أى يجلّ موقعه، و المراد بقوله تعالى: لا- يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٩] الملائكه إذا جعلت الكتاب اللّوح المحفوظ، و المعنى لا- يصل إليه و لا- يقربه غيرهم و ذلك على حسب ما يصرفون فيه عند تنزيهه، و إن جعلت الكتاب المكنون ما حكم الله به من قضاياه و تعبد به عباده من أصناف العبادات، و شاهد هذا قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [سوره الحجر، الآيه: ٩] و إنّ حفظ الشىء و صيانتة و كنه واحد، و الشّاهد فى أنّ الكتاب المكنون هو الحكم المفروض. قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [سوره النساء، الآيه: ٦٦]، و قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ [سوره البقره، الآيه: ١٨٣]، فحينئذ يكون معنى لا- يمسّه لا يطلبه كما قال:

مسسنا من الإباء شيئا و كلنا إلى حسب فى قومه غير واضح

و قد حكى أنّ اللمس و الالتماس و المس متفقات، و الحجه فى أنّ اللمس مثل الالتماس قوله تعالى: وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ [سوره الجن، الآيه: ٨]. و قول الشاعر:

الأم على تبكيه و ألمسه فلا أجده

فقوله: لا أجده يشهد بأنّ المراد باللمس الطّلب لا غير، و قد أحكمت القول فى هذا:

فى (شرح الحماسه)، و قال بعض النّظار: قوله تعالى: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٩]، لفظه لفظ الخبر، و المراد به النهى، و المعنى لا يتناولن المصاحف إلّا

المطهرون، فليس يجوز للجنب و الحائض مس المصاحف، تعظيما لها و إجلالا- قوله تعالى: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سوره الواقعه، الآيه: ٨٠] تصديق للنبي صلى الله عليه و آله و سلم فى جميع ما دعا إليه من الإيمان بالله تعالى أو فى إبطاله دعاويهم و شهاداتهم فى القرآن و سائر العبادات، و ارتفع تنزيل على أنه صفة لقوله: لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف.

و منه قوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ [سوره الإسراء، الآيه: ٤٢]، كما يقولون إلى حليماً غفوراً ذكر الله تعالى فيما وعظ من قبل قوله: وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ [سوره الإسراء، الآيه: ٣٩] ثم أتبعه بقوله تعالى: وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا [سوره الإسراء، الآيه: ٤١]، و الإنذار بالتبكيه الشديد و الوعيد الممض إلزاما للحججه، و إظهارا للعناد منهم، و أنه هداهم فلم يهتدوا، و ذكّهم فلم يعبثوا إعجابا برأيهم، و ذهابا عند التبدّر، و النظر ليومهم و غدهم و دنياهم و آخرتهم، ثم أخذ عزّ و جلّ يحاجهم على لسان نبيهم فقال: قل لهؤلاء الذين ضلّوا عن الرّشاد، و عموا عن الصّواب، إنّ الله تعالى لو شرّكه فى ملكه غيره كما تدعون لفسدت الأحوال، و تقطعت الوصل و الأسباب. و لعلا بعضهم على بعض و كان يطلب كلّ الاقتسار، و تسليم الأمر له، كما قال هو: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا [سوره الأنبياء، الآيه: ٢٢]. و كان لا- ينفع الاستثناء فيما بينهم و ترك الخلاف و إظهار الرّضاء، لأنّ الاستبداد، أو طلبه و إن لم يظهر فعلا من واحد منهم فلا مهرب من تجويزه عليهم؛ و جوازه لن يحصل إلّا عن تقدير استضعاف، و من قدر فيه ضعف فإنه لا يكون إلها و هذا بين. قوله تعالى: إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا [سوره الإسراء، الآيه: ٤٢]، أى لطلبوا إلى أخصّهم بالملك، و أولاهم بالأمر منازعته و مجاذبته و مساواته و مسامتته؛ قوله:

ذِي الْعَرْشِ يجوز أن يريد به ذا السلطان و العزّ، و يجوز أن يريد به ذا السّيرير الذى حمّله فى السّماء و الملائكه يطوفون حوله. كما أنّ البيت المعمور فى السّماء الرابعه. و قال بعضهم: أى العرش، و أنشد قول الشّماخ: (فأدمج دمج ذى شطن بعيد). قال: يريد أدمج شطن، فزاد ذى، فكذلك قوله: إلى ذى العرش، يريد إلى العرش، و المعنى لطلبوا إلى الاستيلاء على العرش، و الاستواء عليه طريقا، قال و مثله لفظ حى أنشد أبو زيد:

يا قرّ إنّ أباك حىّ خويلد قد كنت خائفه على الإحماق

يريد أنّ أباك خويلد، فزاد قوله: حى، و قوله تعالى: عَمَّا يَقُولُونَ الظّالمون بمعنى علا، و المعنى جلّ، و ارتفع عما يقول المشركون أكده بقوله: عُلُوًّا، و وصف العلو بالكبر مبالغه فى التّبعيد. قوله تعالى: وَ إِنِّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [سوره الإسراء، الآيه: ٤٤]. يريد ما من شىء إلا و بما فيه من أثر الصّنع يدلّ على قدره الله تعالى و يشهد.

بالهيته، و يدعو إلى عبادته و ينفي عنه مشابهه لخلقه، و جميع ما لا يليق بحكمته. و معنى يسبح بحمده أى ينزهه، إما إعراباً باللسان، أو دلالة بواضح البرهان، و فائده قوله: يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ أى فيما يظهر من حكمته فى خلق ما خلق. و الأنعام على من أنعم حمداً له إذا لم يكن إعداد الشكر فى مقابله النعم أكثر من إضافه النعم إلى المنعم، فإذا كان الحمد توليه النعمه ربها و إشاده ذكره و نسبتها إليه، فأثار النعم حامده شاكره لمسديها. ألا ترى إلى قول القائل: (و لو سكتوا أثنت عليك الحقائب). فنسبه الشاء إلى الحقائب كنسبه التسبيح بالحمد لله إلى الدال عليه و المقيم له. و هذا حسن بالغ. قوله تعالى: وَ لَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [سوره الإسراء، الآية: ٢٢] أى تجحدونه، أو تعرضون عنه فعل من لا يفهم و هذا كقوله تعالى يصفهم: لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا [سوره الأعراف، الآية: ١٧٩]، ثم قال: أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ [سوره الأعراف، الآية: ١٧٩]. قوله تعالى: إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا [سوره الإسراء، الآية: ٤٤]، يريد هو حلیم حين لم يعاجلهم فيما ادعوه بالعقوبه و لكن تركهم إمهالا و رفقا، و هو غفور لمن أناب و إن ارتكب كل منكر قبيح رحمه منه لعباده و حسن تفضل.

و منه قوله تعالى: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ [سوره الحديد، الآية: ٢] إلى عَلِيمٌ، أثبت الله لنفسه أنه القادر الغالب، فهو يملكك و جميع ما تدركه الأبصار و الأوهام من أصناف العالم جليلها و دقيقها، خيرها و شرها، يتصرف فيها كما شاء؛ و اختار تصرف الملاك، فهو ملك مالك يبدئ، و يعيد، و يحيى و يميت، و قد أقرت له الصعاب.

و تذلل له الرقاب. لا- يمتنع عليه مراد و إن عزّ و شقّ. و لا يوجد عنه ذهاب فيما ثقل أو خفّ. إليه آماذ الأعمار، و الأرزاق، و مصارف البقاء و الفناء فهو القادر الحكيم، و العالم الغنى، لا يخفى عليه معلوم و إن دقّ، و لا يعزب عن الظهور له مطلوب و إن رقّ، الأول فى الوجود لقدمه لا عن ابتداء مده، و الآخر بعد فناء كل شىء خلقه فى الدنيا لبقائه لا إلى غايه، لم يزل و لا يزال على ما هو عليه من ديموميته، و حكمته، و صواب فعله و قدرته، يحيى الأموات إذا شاء، و يميت الأحياء إذا شاء، و ينفي المخلوقات إذا شاء، و يعيدها إذا شاء. الظاهر بما له من آياته التى لا تخفى، و عبره التى لا تبنى، و الباطن لأنه لا تدركه الأبصار و لا تحصله الحواس، و هذا وجه فى الآية. و قيل: أراد بالظاهر أنه غالب على كل شىء، بما دلّ به على نفسه، من أصناف صنعه كما قال تعالى: فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَآصَيبُوا ظَاهِرِينَ [سوره الصف، الآية: ١٤]، أى عالين غالبين، و يقال: ظهرت على الجلى الواضح الذى هو كالجمر. و قيل فى الباطن التى هى فى خفائها كالسّر فهو بما تجلّى منها ظاهر، و بما خفى منها باطن، و هذه آيه لها جوانب تقتضى الكلام عليها و أنا إن شاء الله أبلغ الغايه بمقدار فهمى.

اعلم أنّ الله تعالى قال فى موضع من كتابه: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٦، ٢٧] ما قال على الموت لأنّ الموت إنّما نعدم به الحياه، والله تعالى قال: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا، و لم يقل حياه من عليها، و قال بعده: وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ، و الميت جيفه تبقى، و إذا كان كذلك فلا فضيله فى البقاء مع الشركه فيه، و إذا سقطت الفضيله فلا تمدح لرب العالمين، و قال تعالى فى موضع آخر: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [سوره العنكبوت، الآيه: ٨٨]. و ذكر فى صفات نفسه هو الأول، و الآخر، و الظاهر، و الباطن. و كلّ هذه الآى دالّه على أنّه تعالى يصير منفردا بالوجود، كما كان منفردا به من قبل أن يخلق الخلق و أنه تعالى يفنى كل ما خلقه إفناء لا يبقى له أثر و لا رسم حتى يصير بالفناء فى حكم ما لم يخلق و لم يوجد، و قال تعالى: هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [سوره الروم، الآيه: ٢٧] و فى آخر: كَمَا يَدَأُكُمْ تَعُودُونَ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ [سوره الأعراف، الآيه: ٢٩]، و المعاد هو وجود على صفة لا زياده عليها، و هو أن يتقدّم الوجود للشىء فيبطل، ثم يعاد إلى الذى كان عليه من الوجود، و إذا كان السمع قد أثبت معادا، و حقيقه المعاد ما ذكرناه من أنّ ما سمّيناه فى الأول إحدائا و محدثا سمّيناه، و قد بطل و استجد الجاده فى الثانى معادا، و مستجدا فقد وضح معنى قوله: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ وَ الْآى التى معها.

فإن قيل الذى يعرفه أهل اللغه من معنى الفناء هو نفاذ المركب قليلا قليلا كنفاد الزّاد و الاضمحلال و الهزال هو تحلّل الأجزاء؛ و الاستحاله هو تغيير مزاج الشىء. قلت: الفناء بطلان الشىء دفعه واحده، و هو ضد الإنشاء و الاختراع فإذا تجاوزت هذا الموضع فاستعماله على ضرب من التشبيه به فقوله تعالى: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٦]، يريد أنّ جميع ما خلقه قبل الوقت الموعود للتّواب و العقاب يبطله بمعنى يخزعه، إذا حصل فنى به الأجسام، و الأعراض كلّها. فناء الضّد بالضّد، و ليس ذلك المعنى بمقدور للعباد. و البقاء لا يجوز عليه، فإذا أفناهم بعزته الغالبه بذلك المعنى أعادهم بقدرته الواسعه كما كانوا قبل الفناء، و لا يصح ما أجمع عليه المسلمون من أمر المعاد و الفناء إلّا على ما ذكرناه، و هو اللغه و الشّرع، و الناظر فيما ذكرناه بين له معرفه الفناء مثل ما بين له من معرفه المعاد.

و حكمه وضع اللغه لأنّ الذى ينقطع وجوده بالموت كالحى منّا ظاهر التميز عما لا ينقطع وجوده بالفناء، و ما أشبهه من الأعراض. و إذا كان كذلك فإنّا نثبت بالسمع كما ثبت جواز كونه و خلق الله له بالعقل و لكلّ معرفه حقيقه إلى الله تعالى، كما قال: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [سوره الإسراء، الآيه: ٨٥]. و يكون من جملة ما استأثر بعلمه، و إذا أعادهم حشرهم النّظر فى أعمالهم فى مواقف مختلفه، كما قال تعالى: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [سوره الغاشيه، الآيه: ٢٥، ٢٦]. و كما قال تعالى: فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ [سوره إبراهيم، الآيه: ٤٧]، و كما قال تعالى: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ

مِيقَاتاً [سورة النبأ، الآية: ١٧] إِلَى سِرَابٍ فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: فَكَانَتْ أَبْوَاباً [سورة النبأ، الآية: ١٩]. و عن وجه التشبيه بالسِّراب قلت: معنى قوله: أبواباً يريد كانت ذات أبواب مفتحة، وليس المعنى صارت كلها أبواباً، كما أن قوله: كانت فراخاً بيوضها صارت كلها فراخاً، لأنها إذا صارت كلها أبواباً عادت فضاء، و خرجت من أن تكون أبواباً.

و أما التشبيه بالسِّراب، فالمراد به بيان إلماعها، و تخلخلها في نفسها، و السِّراب هو الذى يتخيل للنَّاطِرِ نصف النَّهار كأنه ماء يطرد، و يقال: سرب الماء يسرب، إذا سال، و المراد ما يتداخل النَّفس من تغيير المعهود، و قد أخرج الله تعالى صفه القيامه فى معارض مختلفة لاختلاف أحوال المسوفين، و كرر ذكرها، و حدّر منها، و تبه من أمرها على كثير مما يكون فيها لبيّن فظاعتها فقال تعالى: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ [سورة المرسلات، الآية: ٨] إِلَى لَيْلٍ لِيَوْمِ الْفُضْلِ، و قال تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ [سورة الحجر، الآية: ٤٨] الْآيَةَ، فتبدل الأرضين و السَّمَاوَاتِ و إطفاء الصُّوء و تفريج السِّمَاءِ و تحليل عقدها حتى تصير أبواباً و طمس نجومها؛ و انتشار كواكبها، و نسف جبالها كل ذلك، أو أكثرها مما تؤكد حال الفناء، و إزاله معاهد الأرض و السَّمَاءِ. و قد درج تعالى فى هذه الصفات لأنه تعالى ردّها متفننه فى أوقاتها بين أوائلها، و وسائطها، و أواخرها فمن ذلك قوله تعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ [سورة النازعات، الآية: ٦] إِلَى بِالسَّاهِرَةِ. و قال تعالى: ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ أَى الوعد به صدق، أو يراد به أنه يوم حق لا باطل معه إذا قام الأولون و الآخرون، و يجتمع متفرق الأسباب، و متمزق الأجلاد، و يعود غائب الأرواح، و يحشر الأفواج. و قد قال تعالى: فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى [سورة النازعات، الآية: ٣٤] و الطَّامَّةُ هى العالیه على ما قبلها.

و قال تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ [سورة الانفطار، الآية: ١] إِلَى وَ أَخْرَتْ، و قال تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ [سورة الانشقاق، الآية: ١] إِلَى وَ تَخَلَّتْ و إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ [سورة التكوير، الآية: ١] و إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، و إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا [سورة الزلزله، الآية: ١]، و قال تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا [سورة الأعراف، الآية: ١٨٧] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. و هذا السؤال، و الجواب مثل سؤالهم عن الروح فقوله: فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا [سورة النازعات، الآية: ٤٤] مثل قوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى و قال تعالى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ و يُعِيدُ [سورة البروج، الآية: ١٢] و الإبداء إبداعه الخلق كله لا من شىء و الإعادة ما وعد به من الإحياء بعد الإماتة، و البعث، و الحشر، و إعداد الثواب و العقاب.

و حكى عن الأصمعى أنه قال: إذا قال الرجل: أول امرأه أتزوجها فهى طالق لم يعلم هذا من قوله حتى يحدث بعدها أخرى، فإن ماتت لم تكن أول لكنه لا تشرکہا أخرى.

قال أبو العباس المبرّد: وهذا خطأ لأنّ قوله: أول هو موقع لما بعده و ذلك أن تأتي بعده بما شئت، و لا يكون آخر إلّا لشيء قبله غيره، و إنّما هو مأخوذ من آخره. و قيل: لما كان لا أول له. قال المبرّد: و لا يجوز هذا إلّا في صفة القديم تعالى، فهو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن. و قال الفقهاء: إذا قال الرجل: أول عبد أملكه فهو حر، فملكك عبدین جميعاً معاً لم يعتق واحد منهما، و إن ملكك بعد ذلك عبداً آخر لم يعتق أيضاً لأنه ليس بأول، و لو قال: أول عبد أملكه فهو حر، فملكك عبداً و نصف عبد عتق العبد و لم يعتق النصف لأنّ هذا أول عبد ملكه، و النصف لا يسمّى عبداً واحداً، و لو قال آخر: امرأه أتزوجها من النساء فهي طالق، فتزوج امرأه، ثم تزوج أخرى، ثم طلق الأولى، ثم تزوجها، ثم مات فإنّ الطلاق يقع على الثانية التي تزوجها و ما يقع على التي تزوجها أول مره و ليست بآخر، و التزوج بها ثانياً لا يخرجها من كونها أول امرأه.

ألا ترى أنه لو نظر إلى امرأتين، فقال: آخر امرأه أتزوجها منكما فهي طالق، فتزوج إحداهما، ثم تزوج الأخرى طلقت الثانية حين يتزوجها لأنها آخر امرأه تزوجها منهما و لو تزوج الأولى بعد الثانية لم تطلق، و كان المبرّد إنما قال: لا يجوز هذا إلّا في صفة القديم لمكان الآخر لأنه لم يزل و لا يزال، أولاً و آخراً، و الواحد منّا ليس كذلك فاعلمه.

و منه قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي [سوره طه، الآية: ١٤] و في موضع آخر أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُكُورِ الشَّمْسِ [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] إلى مقاماً محمّوداً، و قوله تعالى:

وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ يَرِيدُ أَدْمَهَا وَ اثْبَتَ عَلَيْهَا فَلَانَ لَا يَقُومُ لَكَذَا، وَ هَذَا يَقُومُ عَلَى بَكْذَا، فَلَهُ تَصَرَّفَ فِي الْأَمْرِ وَاسِعًا. قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي يحتمل وجهين: أحدهما أقم الصلوة لتذكركي بها أي الصلوة ذكرى لقوله تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُتَكْرِرِ وَ لَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ [سوره العنكبوت، الآية: ٤٥] و قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي أي إذا ذكرتني، فأقم الصلوة كأنه يرجع النسيان كالذكر في الوجه الأول تسبيح الله و تمجيد بصفاته الكريمه، و في الوجه الثاني الرجوع إليه بعد ذهول يسبق و نسيان يلحق، و اللام من قوله:

لذكرى أي عند ذكرى، و كذلك قوله تعالى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُكُورِ الشَّمْسِ أي عنده و لام الإضافة يدخل في الكلام لوجوه.

أ- التملك: كقوله تعالى: وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ* [سوره النجم، الآية: ٣١] و كقوله تعالى: وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ [سوره الجن، الآية: ١٨].

ب- أن يكون الشيء سبباً لغيره، و علّه له مثل قوله تعالى: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ [سوره الإنسان، الآية: ٩].

ج- أن يكون دخوله لمعنى الإراده كقولك: قمت لأضرب زيداً أي قمت إرادته

لضربه، و لكي أضربه أى قمت من أجل هذه الإرادة، و قد يحذف اللام من هذا و أشباهه.

د- أن يكون بمعنى فى كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ [سوره الحشر، الآية: ٢] أى فى أول الحشر.

ه- أن يكون لمرور الوقت على الشئ كقول النابغه شعرا:

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام، و ذا العام سابع

أى عرفتھا و قد أتت عليها ستة أعوام، أو توهمتها لذلك، و يقال أتى للصبى ستان عليه و كم سنه أتت لك؟

و- أن يكون لمعنى بعد كقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «صوموا لرؤيته»، و قوله تعالى: فَطَلَّقُوهُنَّ لِإِعْدَّتِهِنَّ [سوره الطلاق، الآية: ١] و العده هاهنا ظرف للطلاق و بمنزله وقت له لا عله و لا سبب، كما لم يكن الحشر عله لإخراج الذين كفروا إنما كان عله إخراجهم كفرهم، و الدليل على ما قلنا أنه قال: لأول الحشر جعل له أولا.

ز- أنه يدخل لما ذكرناه أولا، و هو قوله تعالى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذَكَّرِي و أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُذَكَّرِي الشَّمْسِ أى لاصفرارها عند غروبها ذلكت فهى دالك و قال ابن عباس: لدلوك الشمس لزوالها الظهر، و العصر و أنشد:

شادخه (١) الغره غراء الضحك

تبلج الزهراء فى جنح الدلك

فجعل الدلك غيبوبه الشمس، و قال أبو حاتم: روى عن أبى عمرو أن دلوكها زوالها فعلى هذا يجوز أن يكون المفروض بالآيه أربع صلوات الظهر- و العصر، و المغرب، و العشاء- بالليل. و يجوز أن يكون إلى غسق فى موضع مع، فيدل على فرض صلاتين من الليل و النهار، و ثالثه يدل عليها: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآية: ٧٨].

ثم سائر الصلوات يدل عليها بغير هذه من الآيات و قوله: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] يريد، و أقم قرآن الفجر، و المعنى أقم الصلاة بالقراءة، و هذا يدل على أن الصلاة لا- تكون إلا- بقراءة، فالضمير فى به يرجع إلى القرآن، و معنى كَانَ مَشْهُوداً أى حقه أن يشهد أى يخرج له إلى المساجد، و يقام مع الجماعة فيشاهد و قيل أراد تشهده الملائكة، و قوله تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ [سوره الإسراء، الآية: ١٧] معنى تهجد اسهر يريد استيقظ، و معنى به أى بالقرآن و يقال هجد أيضا بمعنى نام.

قال:

هجدنا، فقد طال السرى و قدرنا أن حنا الدهر غفل

يريد يومنا و مثل هجد، و تهجد قولهم حث و تحث لأن معنى حث لم يبر فى اليمين، و معنى تحث ألقى الحث عن نفسه.

و هذا الأمر اختص به النبى صلى الله عليه و آله و سلم تفضيلا له على جميع الخلق.

و معنى نافله لك عطاء لك و تكرمه لذلك أتبعه بقوله تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا [سوره الإسراء، الآية: ٧٩] أى افعل ذلك رجاء أن تثاب هذا الثواب العظيم.

و قيل فى المقام المحمود إن المراد به الشفاعة للمذنبين، و الذى عليه الناس أن الدلوک مغيب الشمس، و يذهب العرب لذلك إلى أن قول القائل:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتى دلكت براح

يدل على صحه قولهم و أصله أن الساقى يكثرى على أن يسقى إلى غيوبه الشمس، و هو فى آخر النهار يتبصر هل غابت الشمس. قوله: براح أى يضع كفه فوق عينه و يتبصر، قال: و يسلم للحديث ما جاء أن ابن عباس قال: إن غسق الليل ظلمته الأولى للعشاء و المغرب، فإذا زادت قليلا، فهى السدفة، و قوله: (نافله لك) ليست لأحد نافله إلا للنبى صلى الله عليه و آله و سلم لأنه ليس من أحد إلا يخاف ذنوبه غيره فإنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فعمله نافله.

و منه قوله تعالى: أقيم الصلاة طرفي النهار [سوره هود، الآية: ١١٤] إلى المحسبين، و قوله تعالى: قم الليل إلا قليلا [سوره المزمل، الآية: ٢] الآية طرفا النهار النهار الفجر و العصر و كما ثنى الطرف هنا جمع فى قوله تعالى: فسبح بحميد ربك* [سوره الحجر، الآية: ٣٩] إلى و أطراف النهار لعلك ترضى [سوره طه، الآية: ١٣٠] لذلك اختلف الناس فبعضهم جعله من أوقات الصلوات المفروضة، و القائل بهذا يكون عنده الفجر من النهار محتجا بأنه ابتداء الصوم لقوله تعالى: و كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل [سوره البقره، الآية: ١٨٧] و الذين يخالفونه يجعلونه من الليل، و يدعون أن ابتداء النهار طلوع الشمس و انتهاء غروبها، و إذا زالت الشمس انتصف النهار فأما قوله تعالى: و أطراف النهار [سوره الحجر، الآية: ٣٩] فيجوز أن يجعل النهار للجنس حتى يصير له أطرافا، و يجوز أن يجعل الجميع مستعارا للتشبيه لأن أرباب اللغة قد توسعوا فى ذلك ألا ترى قوله: يا ناحه و دخيلا، ثم قال: طرفا فتلك لهما تنمى، و كقوله تعالى: ففقدت صرحت قلوبكما [سوره التحريم، الآية: ٤] و ليس

بمستكر أن تسمى الساعات أطرافا، كما قيل أصياله و عشيات في آخر الأصيل، و العشي.

قال أبو العباس ثعلب أطراف النهار قيل يعنى صلاه الفجر، و الظهر، و العصر، و هو وجه أن جعل الظهر، و العصر من طرف النهار الآخر، ثم يضم الفجر إليهما فيكون أطرافا، و قال أبو العباس المبرد: معناه أطراف ساعات النهار أى من الليل سبجه و أطعه فى أطراف ساعات النهار (الآنء) الساعات واحدها أنى، و يكون من آتيت- أى أخرت و من قول الشاعر:

و آتيت العشاء إلى سهيل أو الشعري فطال بى الإناء

و قال العجاج: طال الإناء، و انتظر الناس الغير من أمرهم على يديك، و التور طال الإناء و زایل الحق الأشر. و فى القرآن: غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنْهَاءُ فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ [سوره هود، الآيه: ١١٤]، فالزلف الساعات و من أبيات الكتاب:

طى الليالى زلفا فزلفاسماوه الهلال حتى احقوقفا

و الزلفه واحده الزلف، و يقال لفلان عندى زلفه، و زلفى، و هى القربه، و فى القرآن:

وَ أَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ * [سوره الشعراء، الآيه: ٩٠] أى قربت، و سميت المزلفه لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضه من عرفات، و انتصب سماوه على المفعول من طى الليالى، و المعنى أن الليالى طوت شخص الهلال، و نقصته شيئا شيئا حتى ضمير و دق.

قوله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ [سوره هود، الآيه: ١١٤] يجوز أن يريد أن الحسنات من أفعال النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و المؤمنين يبطلن سيئات الكفار و المجرمين، و هذا بشاره من الله للمؤمنين بأنه سيعلى كعبهم، و ينفذ كلمتهم كما قال: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ [سوره الأنبياء، الآيه: ١٨] و يجوز أن يكون مثل قوله تعالى: إِنَّ تَجْتَبَيْتُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ [سوره النساء، الآيه: ٣٠] و يكون هذا مثل قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ * [سوره التوبه، الآيه: ٣٣]، و قوله تعالى: ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ [سوره هود، الآيه: ١١٤] أى أخبرناك بما أخبرنا من ضمان النصره، و قمع الباطل، و إعلاء كلمه الحق لكى تذكر به فيزداد حرصا على الإدخار و الإصلاح و لأنك إذا أقررت به و التزمته فتذكرته تيسر لك المطلوب و قد قال تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ [سوره ق، الآيه: ٣٧] يريد أن المأمور بهذا، أو الموعوظ إذا قبله حصل لك بذلك ذكر فى الذاكرين، و هذا ترغيب لأن ما يبقى به الذكر ليس كما يلغى و ينسى. قال:

فقال له هل تذكرن مخبرايدل على غنم و يقصر معملا

أى هل تعتد بهذا الخبر فتذكره به، فأما قوله تعالى: قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نَضِيفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا [سوره المزمل، الآية: ٢] أى من النصف، أو زد عليه، فانتصاب الليل إلا قليلا أى قبله بقليل أو بعده بقليل لأن بيان أو انقص منه، أو زد عليه ذلك، والمعنى قم نصف الليل، أو انقص من نصفه حتى يرجع إلى الثلث، أو زد على نصفه حتى يبلغ الثلثين، وفي هذه الأشياء منها أنه جعل نصف الليل قليلا منه سواء جعلته بيانا للقليل المستثنى، أو جعلته بيانا للباقي الواجب لأن الكلام يقوم على الوجهين جميعا ومنها أن قوله: أو انقص منه قليلا- بمعنى إلا قليلا فى التحصيل و لكنّه ذكر مع الزيادة، و كان كالمكّرر، و كثير من أهل النظر يذهبون إلى أن القله تقع على ما دون الثلث لقوله عليه السلام لسعد فى الوصية:

«و الثلث كثير» و منها أن هذا التنويع يدل على أنه تعالى لم يفرضها عليه لكنه على سبيل التّرخيب لأنّ الفرائض التى يفرضها الله على عباده ليس يجعل الأمر فيها إليهم فينقصوا ما شاءوا، و يزيدوا فيها ما شاءوا، و قد قيل: إن الله تعالى كان فرض على رسوله و على المؤمنين قيام الليل، ثم نسخه إذ كان شقّ عليهم فقال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يُضِدُّ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ [سوره المزمل، الآية: ٢٠] أى يعلم مواقيتها و يعلم أنكم لن تحصوه أى لن تطيقوا معرفه حقائق ذاك و القيام فيه، فتاب عليكم فاقروا ما تيسّر من القرآن، قالوا: و هذا فى صدر الإسلام، ثم نسخ بالمكتوبات الخمس.

و قوله تعالى: أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ يجوز أن يكون من دنا الشئ إذا سفل، فنزل كما قال: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى أى نزل، و منه قوله تعالى: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ [سوره الأحزاب، الآية: ٥٩] أى يرسلن، و قال بعضهم: معنى أدنى أدون، لكنه قلب فقدّم اللام و قوله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [سوره المزمل، الآية: ٥] يجوز أن يكون المعنى قولاً- يثقل العمل به، و يجوز أن يريد به قولاً- له وزن، و خطر بين الكلام إذا ميّز أى ليس بالسفساف الدون، و معنى يلقي ينزل فيتلقنه. و منه قولهم: ألقىت على فلان مسأله كذا، فأعيتته. و قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ [سوره السجده، الآية: ٢٣] فبعضهم يجعله من هذا أى لا- تلك فى شك من نزول هذا الكتاب قبلك، و كان شيخنا أبو على ينكر أن يكون القيت من لقيت، و يقول: إن لقي يتعدى إلى مفعول واحد يقول: لقيت زيدا فلو كان ألقىت من لقيت لوجب أن يتعدى إلى مفعولين. كما أنه إذا دخل على ما لا يتعدى إلى المفعول عداه إلى واحد يقول: خرج زيد و أخرجته و ذهب زيد، و أذهبته.

و تقول فى المتعدى: قرأ كذا و أقرأته أنا كذا، و سمع زيد شرا، و أسمعته أنا خيرا. و إذا كان كذلك، و وجدنا لقي يتعدى إلى مفعول واحد، و ألقىت مثله يتعدى إلى مفعول واحد

و علمنا أنهما من أصلين فاعلمه. قوله تعالى: إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ [سورة المزمل، الآية: ٦] يريد الساعه منشأ الحدوث و يقال فلان ناشئ و نشأت السحابة من قبل البحر، و يجوز أن يكون ناشئه يراد بها الحدث لا الفاعل فيكون كاللاغيه فى قوله تعالى: لا تَسْمَعُ فِيهَا لِاِغْيَةِ [سورة الغاشيه، الآية: ١١] أى لغوا و كالكاذبه فى قوله تعالى: لَيْسَ لَوْعَتِهَا كاذِبُهُ [سورة الواقعة، الآية: ٢] أى كذب و مثل ذلك قم قائما أى قم قياما. قوله تعالى: هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلًا [سورة المزمل، الآية: ٦] أى أبلغ فى القيام و أبين فى القراءة لما فى الليل من السكون و القرار، و يجوز أن يريد أنها أشد على الإنسان و أشق لأن الليل للتودع و الراحة.

و قرئ و طاء بالواو و المد و المعنى أشد مواطاه للقلب إذا نقله السمع.

و منه قوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ [سورة الانشقاق، الآية: ١٦] إلى لا- يَشْجُدُونَ أول السوره إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ و الانشقاق و الانفطار، و الانفتاح يتقارب فى المعنى و ذلك من أهوال القيامة، و ما يتغير فيها من الأمور، و يتبدل. و قيل: المراد انشقت بالغمام كقوله تعالى فى موضع آخر: وَ يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ [سورة الفرقان، الآية: ٢٥]. و جواب إذا محذوف لما يدل عليه ما عرف من أهوال القيامة و شدائدها و تخمر فى النفوس و تقرّر.

و المراد إذا انشقت السماء كان من أشرط القيامة فيكم ما عرفتموه، و تكرر عليكم وصفه، و قيل جوابه فى قوله تعالى: إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ [سورة الانشقاق، الآية: ٦] و قيل جواب إذا مضمّر مقدم، و المراد اذكر إذا حدثت هذه الحوادث. و قيل جوابه أذنت، و الواو زائده. و التحويون على اختلافهم يردون هذا و كأنّ قائله شبهه بقوله تعالى: حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا [سورة الزمر، الآية: ٧١] لأنّ المعنى عنده فتحت و الأجود عندى أن يكون جواب إذا قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ [سورة الانشقاق، الآية: ٦] أى فى ذلك الوقت يكون ذلك حالك، و معنى أذنت لرّبها أطاعت، و استمعت، و أجابت، و حقّت أى وجب ذلك عليها، و كانت محقّقه بالانشقاق.

و قوله تعالى: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ [سورة الانشقاق، الآية: ٣] كأنه بسط مجموعها و أخرج مضمونها و موعدها حتى تخلت. قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ [سورة الانشقاق، الآية: ٦] عموم دخلت الكافه تحته، و قوله تعالى: إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ [سورة الانشقاق، الآية: ٦] يشير إلى ما قاساه مده حياته و اكتسبه فى متصرفاته و نيل فيه من سعادته و شقوه و حياه و إماته، و ما تزوّده من دنياه و أعدّه لأخراه، أى تسعى سعيا قد أتعبك و تلاقى له كل ما قدّمته من عملك و تصير من حميته إلى ما تستحقّه بفعلك. قال:

و ما الدهر إلّا تارتان فمنهما موت و أخرى أبتغى العيش أكّح

و قوله: فَمُلَاقِيهِ من قولك: لاقيت من كذا جهدا و أذى، و قاسيت من كذا

مكروها. و الضّمير في ملاقيه إن شئت جعلته للكدرح و الأجود أن تجعله للزّب، و المعنى تلاقى جزاء ك منه فيكون على حذف المضاف. و الشفق الحمره تبقى من الشّمس في المغرب إلى وقت العشاء. و قال بعضهم: هو البياض الذي إذا ذهب صليت العشاء الآخره لأنّ الحمره تذهب عند الظلام.

قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: عليه ثوب مصبوغ كأنه الشّفق و كأن أحمر.

قوله تعالى: وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ [سوره الانشقاق، الآية: ١٧] أى جمع و أدرك من مقتضياته، و هوله و يجوز أن يكون وسق بمعنى، طرد يريد و ما جاء به و احتمله، و الوسيقه الطّريده.

و قوله تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ [سوره الانشقاق، الآية: ١٨] يريد استتبّ، و استوسق لثلاث عشره و أربع عشره، و يجوز أن يريد بأنساقه استمراره في سيره و تناهيه في ازدياد ضيائه:

لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ [سوره الانشقاق، الآية: ١٩] كما قيل سادوك كابر، عن كابر، و المعنى كيرا عن كبير أى يترددون بعد أحوال مختلفه، و يخرجون من بعضها إلى بعض من نشر و حشر و فناء و إعاده؛ و (الطّبّق) الشّده قال: (قد طرقت بيكرها أم طبق).

و قال:

فلو رآنى أبو حسّان و انحسرت عنى الأمور إلى أمر له طبق

يقال: رغب، و رهب أنت بينهما حب الحياه، و هول الموت و الشّفق و فائده القسم تأكيد الوعيد على المخاطبين بهذا الكلام، و هو قوله تعالى: لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ [سوره الانشقاق، الآية: ١٩] و قرئ لتركبنّ جعل الخطاب للنبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و المراد لتركبنّ طبقا من طباق السّماء.

و قوله تعالى: فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [سوره الانشقاق، الآية: ٢٠] لفظه استفهام معناه الإنكار، و التّبكيث يقول: ما الذى منعهم من الإيمان، و قد وضحت الدلائل و السّبل، و تكررت الآيات و التّنذر، و ضاقت المعذره و حقّت الكلمه. قوله تعالى: وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْتَجِدُّونَ [سوره الانشقاق، الآية: ٢١] أكبارا و إعظاما و إيمانا، و إيقانا و هو من المعجزات الباهره و الإلزامات المسكته. و هل ذهابهم عن تدبّره و اشتغالهم إلّا عناد فبشّرهم بعذاب أليم. أصل البشاره من البشره استبشر بشىء انبسط جلده، و نضر وجهه، و هذا و أمثاله إذا استعملت فى غيره كقوله: تحيه بينهم ضرب و جيع. أى يقيمون بدل التّحيه عند اللّقاء ذلك، فأما قوله تعالى: أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ [سوره القمر، الآية: ١] فإنما معناه سينشق القمر، و من أثبت ذلك دليلا لا ختص به عبد الله بن مسعود، و إنّ سائر الناس لم يروه لأنّ الله حال بينهم و بين رؤيته بغمامه، أو غير ذلك. و يجوز أن يكون غير عبد الله بن مسعود قد رأى ذلك، فاقتصر فى نقله على رؤيه عبد الله، و على ما نطق به القرآن من ذكر،

و كان الجاحظ ينفيه و يقول: لم يتواتر الخبر به و يقول أيضا: لو انشق حتى صار بعضه فى جبل أبى قبيس لوجب أن يختلف التقويمات بالزيجات لأنه قد علم سيره فى كل يوم و ليله فلو انشق لكان وقت انشاقه لا يسير.

و منه قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا [سوره الملك، الآية: ٣] إلى وَ هُوَ حَسْبُيٌّ أَوَّلُ السُّورَةِ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ [سوره الملك، الآية: ١] و ليس تفاعل هذا كتفاعل الذى يفيد التكلف للشىء عن غير موجب له نحو تخازر، و تعارج، و تساموا، و تجاهلوا لكنّه بمعنى فعل و أصل البركه البقاء و الزيادة، و كذلك لفظه تعالى فى صفه الله، فهى بمعنى علا و مثله لعلا و تكبر بمعنى كبر و علا، و هذا كما يقال: علا قرنه، و استعلاه و قال زهير: و كان أمرين كل أمرهما يعلو. و مثله قر و استقر، و هزأ، و استهزأ، و يشهد لما قلنا قول امرئ القيس: تجبر بعد الأكل فهو نميمص. و إنما يصف نباتا قد رعى ثم عاد منه شىء فتجبر بمعنى جبر من قوله: قد جبر الدين الإله فجبر.

و قد كشف عن المراد بقوله: فهو نميمص أى لقصوه كأنه ينمص بالئماص، و هو المنقاش، و متى جعلت تجبر صار كالجباره، و هى النخلة التى فاتت اليد طولا و أوقع آخر الكلام أوله لأن المنموص لا يتجبر و لا يطول. و على هذا قوله تعالى الندى فى متنه و تحذرا يريد علا و حدر، و أنشد أبو عبيده: تخاطأت النبل أحشاه معناه أخطأت، فهذا شاهد تبارك و تعالى، و مثل هذا أجاب، و استجاب و قوله تعالى: بِيَدِهِ الْمُلْكُ [سوره الملك، الآية: ١] أى يملك الملك الذى يمكن عباده منه، و يصرفهم فيه، فالبقاء له و القدره و التمكن، و القمر بأمره و حكمه، و إضافه الفعل إلى اليد ضرب من التوسع يقال: و فى يدى و ملكى و فى قبضى، و هو قبضى. قال تعالى: وَ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [سوره الزمر، الآية: ٦٧] أى يحكم فيها حكما لا قصور فيه عن المراد، و لا تجاوز إلى أكثر من المرتاد، ففعله وفق إرادته و وفق قصده و إرادته، فخلق الحياه لمن يريد استبقائه ليعبده، و الموت إلى غير ما هو عليه إخبارا منه لطاعه المطيع منهم، فيشيبه و معصيه العاصى منهم فيعاقبه، و هو العزيز فلا يفوته الهارب، القدير فلا يعجزه المغالب. قوله تعالى: خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا أى بعضها فوق بعض و على حده، فيطابقه، و يشابهه، و لا يخالفه فيبائنه و قال الشاعر شعرا:

إذا نزل الظل القصير بنحره فكان طباق الخف أو قل زائدا

و يقال: طابق فلان فلانا على كذا إذا وافقه عليه. و يقال: الناس طبقات أى بعضهم فوق بعض. و منه قولهم: طابق البعير إذا وضع خفى رجله فى موضع خفى يديه. و قد قال تعالى: وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ [سوره فصلت، الآية: ١٢] فقوله الدنيا يدل على أن

بين السَّمَاوَاتِ تَقَارِبًا، و تَبَاعِدًا، و أَنَّ التِّي هِي فَوْقَ هَذِهِ لَيْسَتْ بِالدُّنْيَا مِنْهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ [سوره الملك، الآيه: ٣] و قَرَأَ مِنْ تَفَوُّتِ أَي بَنَى مَا خَلَقَهُ عَلَى حِكْمِهِ فَلَا يَفُوتُ بَعْضُهُ بَعْضًا و لَكِنَّهُ يَتَعَادَلُ، و فِي هَذَا الْمَعْنَى قَالُوا: وَجْهٌ مَقْسَمٌ إِذَا كَانَ الْحَسَنُ مَقْسُومًا فِيهِ فَأَعْطَى كُلَّ جِزَاءٍ نَصِيْبَهُ مِنْهُ حَتَّى لَا اسْتِبْدَادَ فِيهِ، و قَالُوا: مَا أَحْسَنَ قِسْمَهُ وَجْهَهُ وَ هَذَا بِخِلَافِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَفْسِيرِ الْمَتَفَاوُتِ لِأَنَّ الْمَتَفَاوُتَ مَا يَزِيدُ عَلَى الْإِعْتِدَالِ، أَوْ يَخْرُجُ عَنِ الْقَدْرِ الْمَلَانِمِ بِالِاتِّقَاصِ، وَ ذَلِكَ ضِدُّ التَّقْدِيرِ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَارْجِعِ الْبَصِيْرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُوْرٍ [سوره الملك، الآيه: ٣] الْمُرَادُ بِهِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ قَدْ أُعْطِيَتْ مِنَ الْآلَاتِ، وَ رَتَّبَ فِي عَقْلِكَ وَ تَحْصِيْلِكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ مَا تَدْرِكُ بِهِ حِينًا، أَوْ تَقْدِيرًا تَرَكَيبَ الْأَشْيَاءِ وَ سَلَامَتَهَا مِمَّا يَشِينُهَا إِذْ دَخَلَهَا فِيمَا يَجْتَذِبُ وَجْهَ الْفَسَادِ إِلَيْهَا، فَتَأْمَلُ مَا صَنَعَهُ اللَّهُ وَ اخْتَرَعَهُ فِي هَذَا الْخَلْقِ الْعَظِيمِ وَ اقْتَفَى آثَارَهُ فِيهَا، وَ رَدَّدَ طَرَفَكَ وَ عَقْلَكَ فِي ظَوَاهِرِهَا وَ بَوَاطِنِهَا وَ مَفْرَدَاتِهَا؛ وَ مَرْكَبَاتِهَا وَ تَأْمَلُ بَعْدَ تَقْصِيْرِ وَ سَمَكٍ وَ اسْتِفْرَاحٍ جَهْدِكَ، وَ رَدَّ الْمَجْمَلَ عَلَى الْمَفْصَلِ وَ الْمَشَاعِ عَلَى الْمَقْسُومِ، هَلْ تَجِدُ فِيهِ خِلَالَ، أَوْ هَلْ تَتَبَيَّنُ فِيهِ عَيْبًا؟ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصِيْرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيْرُ خَاسِمًا [سوره الملك، الآيه: ٤] بَعَثَ عَلَى الْكَشْفِ وَ الْبَحْثِ وَ تَأْكِيْدِ فِي الْمَبَالِغَةِ فِيهِمَا وَ إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِمَا يَعْتَقِدُهُ الْعَرَبُ مِنْ أَنَّ النَّظْرَةَ الْأُولَى حَمَقَاءٌ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَكْتَفِي بِهَا فِي الْمَزَاوِلَاتِ، وَ التَّتَبُّعِ فِي الْمَسْتَكْشَفَاتِ حَتَّى أَنْ بَعْضُهُمْ قَالَ فِي صِفَةِ امْرَأَةٍ شِعْرًا:

لَهَا النَّظْرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَ بَسَطُوهَا إِنْ كَرَّتِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقْبُ

يَقُولُ لِهَذِهِ الْمْرَأَةِ، عَلَى مَنْ يَسْتَقْرِى مَحَاسِنَهَا النَّظْرَةَ الْأُولَى، فَإِنْ لَمْ يَقْنَعُهُمْ ذَلِكَ، فَأَخَذُوا يَسْتَنْبِطُونَ فِي الْمَعَاوِدِ، وَ يَحِيلُونَ الطَّرْفَ فِي الْعَيْنِ وَ الْأَثَرَ كَانَ لَهَا الْبَسْطَةُ أَيْضًا، فَإِنْ أَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكْرُرُوا الْأَبْصَارَ، وَ رَدَّدُوا النَّظْرَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ كَانَ لَهَا الْعَقْبُ، وَ هُوَ مَا يَسْلَمُ عَلَى التَّعَاقِبِ مِنْ أَوَاخِرِ الْبَحْثِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: كَرَّتَيْنِ تَأْكِيْدِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، وَ حَكِي لِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ النَّظْرِ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِكَرِّ الْبَصْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لِأَنَّهُ قَالَ: ارْجِعِ الْبَصْرَ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصِيْرَ كَرَّتَيْنِ، وَ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ وَ عَوَّلَ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ الْكَرَّتَيْنِ لَا يَحْصُلُ لَهُ الْمُرَادُ، بَلْ يَفْسُدُ عَلَيْهِ مَا اعْتَمَدَهُ لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: فَارْجِعِ الْبَصِيْرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُوْرٍ [سوره الملك، الآيه: ٣] وَ هَذَا لَا يَقْتَضِي إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَ قَالَ مِنْ بَعْدِ: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصِيْرَ كَرَّتَيْنِ [سوره الملك، الآيه: ٤]، وَ لَوْ اقْتَصَرَ الْكَلَامُ عَلَى فَارْجِعِ الْبَصْرَ، وَ لَمْ يَأْتِ بِذِكْرِ الْمَرَّتَيْنِ لَكَانَ لِلْسَامِعِ أَنْ يَتَجَاوَزَ إِلَى مَا فَوْقَهَا مِنَ الْكَرَّاتِ لِأَنَّ ثَمَّ لَا يَقْتَضِي الْحَصْرَ، وَ لَا يُوجِبُ الْوَقُوفَ.

فَلَمَّا قَالَ: كَرَّتَيْنِ عِلْمٌ أَنَّهُ أَكَّدَ بِهِ مَا ذَكَرَ مِنَ الرَّجْعَتَيْنِ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: فَارْجِعِ الْبَصِيْرَ لَيْسَ قَبْلَهُ فِعْلٌ مَذْكُورٌ فَيَكُونُ الرَّجُوعُ عَنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: مَا تَرَى فِي

خَلَقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصِيرَ [سوره الملك، الآيه: ٣] فكان المراد انظر، فارجع، ثم ارجع أى لا ترض بالنظره الأولى و لكن راجع بعدها، ثم راجع، و إذا كان التكرار هو الرجوع إلى الأول، و الأول هنا النظر المضممر فقوله تعالى: فَارْجِعِ الْبَصِيرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ كَرَّرَ أَوَّلَ إِلَى النظر المستدل عليه، و قوله: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصِيرَ كَرَّتَيْنِ، و إذا كان الأمر على هذا لم تحصل ثلاث كرات فلذا اتبع الكلام بقوله كرتين و هذا جيد بالغ، و قوله تعالى: هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ أَى من شقوق و صدوع.

و قوله تعالى: يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِمًا [سوره الملك، الآيه: ٤] المعنى إنك إن أدمت النظر، و اتبعت البصر تطلب العيب فى حكمه الله و الفطور فى صنعه رجعت من مطلوبك خاسر الصفقه، صاغر الرجعه، خائب الطلبه بعيدا من البغيه، و الخاسى من قولك خسأت الكلب إذا طردته و بعدته خسأ و لا- تقل انخسأ، و الحسير الكال المعى. و يقال: إبل حسرى لأن حسيرا فعيل بمعنى مفعول، فهو كجريح، و جرحى.

و منه قوله تعالى: فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ [سوره الرحمن، الآيه: ٣٧] الآيه، و قوله:

و يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا [سوره الفرقان، الآيه: ٢٥] خضراء ملساء متّصله الجوانب و الأكناف مرتبه الوسائط، و الأطراف محفوظه من مسترقه السمع بما أعد لها من الارصاد.

و تلخيص هذا يبين إذا ضم إلى قوله تعالى: وَ يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ و إلى قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ [سوره البقره، الآيه: ٢١٠] لأن المعنى يأتيهم أمر الله، و السماء كالورده، و قد انفطرت بالغمام أى تنشق بها، و الملائكه تنزل منها فى الغمام فكأنها تنشق، و هم فى تكاثفهم، و تراكمهم بما معهم كظل من الغمام و هذا كما يقال: رعى الباب بفلان- أى جاء من قبله، و سال الوادى بنى فلان إذا خرجوا منه، و كقول الشاعر:

و سالت بأعناق المطى الأباطح

و كما قال:

ألا صرمت حباثلنا الجنوب ففرقنا و مال بنا قضيب

قضيب: واد باليمامه، و المعنى أنجدنا لما افترقنا، و انهمت هذه المرأه و يقال: نزل بقارعه الوادى- أى أعلاه، و قوله: مال بها، كقوله: سالت الأباطح بأعناق المطى قوله تعالى: فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ [سوره الرحمن، الآيه: ٣٧] يريد تحولها عما كانت، و الورد الأحمر و ليس بمشبع قال:

فهو ورد اللون في ازبئراو كميته اللون ما لم يزبئر

وقال الفراهسيه: تلون السيماء تلون الورده من الخيل لأنها تكون في الربيع إلى الصفره، فإذا اشتد البرد كانت ورده حمراء، فإذا كانت بعد ذلك كانت ورده إلى الغبره قال عبد بنى الحسحاس شعرا:

فلو كنت وردا أحمر لعشقتنى ولكن ربى شاننى بسواديا

وقيل فى الدهان: إنها جلود حمر، وقيل: هى جمع دهن - أى تمور كالدهن صافيه، والشاهد لهذا قوله تعالى: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا [سوره الطور، الآيه: ٩] أى تتميع.

وقال تعالى: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ [سوره المعارج، الآيه: ٨] وهو الصفر المذاب، و كان التشبيه وقع بالذوب، فيكون المور والذوب على طريقه واحده، وقوله تعالى: يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ [سوره الفرقان، الآيه: ٢٢]، وقوله تعالى فى سوره الرحمن: عند ذكر وعيد الكفار، والإنذار من يوم الحشر، والمعاد وما يجرى مجراه من الاقتصاص، والأمر بالعدل والإنصاف: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* [سوره الرحمن، الآيه: ١٣]. سأل سائل: أى شىء فى هذا من الآلاء حتى ذكره الله ممثنا به فى جملة ما عدده من صنوف النعم، و وجوه القسم فى الأولى والآخره.

والجواب إن الله تعالى منعم فى كل حال و مدكر بما يزيد المتعبد استبصارا فى الأمر الأولى و نفورا، و زهدا فى الدنيا، و واعظ بما يكون السامع له أقرب إلى الطاعة فيما يعمله من الاستطاعه، و إذا كان الأمر على هذا فنعمة على خلقه فى الإنذار والإعذار مثل نعمه فى التبشير والتحذير إذ كان الصارف عن الشر بلطفه مثل الباعث على الخير بفضله، و قد توعد الله جاحدى نعمه و المهملين لآياته و نذره بالخسف و الرجف و الخزي الثابت، و البعث المفاجئ، و المسخ المرصد و الريح العاصف و الزلازل، و الصواعق بعد أن أمضى بها أو بأكثرها الحكم على من حقت عليه الكلمه فمن سعد و وعظ بغيره فأجاب حين دعى، و أدرك لما بصر و نفعته المهله و الإملاء، و استسعد بالإعاده، و الإبداء و نبهه ضرب الأمثال و المبالغه فى الإبلاغ.

ثم عرف حال أولئك المستمرين فى الضلاله و الداهيين عن طريق الهدايه و مصائر أحوالهم، فإنه إذا راجع نفسه درى عظم نعم الله عليه فيما وفقه، أو يسر أخذه به من العدول عن سلوك مناهجهم، و أوجب على نفسه شكرين (الأول) لاهتدائه، (و الثانى) لما زاده الله من الاستضاءه بنور الهدى و قربه من التقوى، ألا ترى قوله تعالى: حاكيا عن أهل الجنه و قد استقروا فى منازلهم منها: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ [سوره الأعراف، الآيه: ٤٣] قوله تعالى: وَقُضِيَ الْأَمْرُ [سوره البقره، الآيه: ٢١٠] نصف

عقبى حالهم وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سوره يونس، الآية: ١٠] وقال تعالى بين أحوالهم قبل ذلك: فَوَرَّبُّكَ لَنُحْشِرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ [سوره مريم، الآية: ٦٧] إِلَى وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا [سوره مريم، الآية: ٧٢] فعلى هذا الذى بنينا الكلام عليه قدر الله نعمه على الجن و الإنس فى دنياهم، و أخراهم، ثم قال: يا أيها تكذبون و كل ما تتصرفون فيه من حياه و ممات و نعمه و نقمه و تيسير و تعسير، و تقريب و تباعد آثار إحسانى فيها ناطقه و أعلام آلائى فيها سنه واضحه و هذا بمن الله ظاهر.

و منه قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سوره البقره، الآية: ١٦٤] إِلَى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سوره البقره، الآية: ١٦٤] الخلق هو الاحداث على تقدير من غير احتذاء مثال و لذلك لا يجوز إطلاقه إلّا فى صفه الله تعالى لأنه لا أحد جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء أمثال إلّا الله و إنما جمع السّمَاوَاتِ، و وحّد الأرض لأنّ الأرضين لتشاكلها تشبه الجنس، و الواحد كالترجل، و الماء الذى لا- يجوز جمعه إلّا أن يراد الاختلاف، و ليس يجرى السّمَاوَاتِ مجرى الجنس المتفق لأنه ذبّر فى كل سماء أمرها بالتدبير الذى هو حقّها قوله تعالى: وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ [سوره البقره، الآية: ١٦٤] يجوز أن يكون من الخلاف كالشّواد و البياض لأنّ أحدهما لا يسدّ مسد الآخر فى الأحوال.

و يجوز أن يكون من الخلف لأنّ كل واحد منهما يخلف صاحبه على طريق المعاقبه و النّهار فى اللغه يفيد الاتساع أيضا، و يقال: انهرت العنق إذ أوسعته، و ذكر الله تعالى هذه الآيات مجموعها معظما شأنها ليصرف بكريم عطفه و حسن نظره أوهام المخاطبين بها إليها، و إلى النظر فى تراكيبها و ابتداع خلقها مدرجا إلى الاستدلال بها على خالق لا يشبه الأشياء و لا يشبه من جهه أنه لا يقدر على خلق الأجسام إلّا- القديم الذى ليس بجسم و لا- عرض، إذ جميع ذلك محدث و لا- بدّ له من محدث لاستحاله التسلسل، فتقديم السماوات و الأرضين فى الذّكر لأنها المعظم فى المشاهدات و الأصل و ما عداها تبع لها، و لتكون الحواس إلى تمييزها أسرع، و الأذهان إلى تبحيثها أميل، و النّفوس فى الكشف عن سرّاتها أرغب، و العقول عنها أفهم، و اختلاف اللّيل و النّهار يدلّ على عالم مدبر لأنه متقن فى الصنع محكم فى التدبّر قريب التحوّل بعيد التأخر، فهو أبلغ أداء و أبين مأخذا، و أفصح برهانا، وَ الْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ [سوره البقره، الآية: ١٦٤] لأنه فعل منعّم عالم بما يكون قبل أن يكون هيا الله لمنافع الناس و من جرى مجراهم لكى يفكروا، مع كثره بلواهم بها، و مع تعذر فعل مثلها عليهم منها و ليعلموا بمواقع حاجاتهم و تيسر مرافقهم بها أنّ الله لهو الحكيم الرءوف المحدث لهم، و المنشئ و المصرف و المسخر.

فأما الماء المنزل من السّمَاءِ، فيدل على الرازق المنعم المبدع لما شاء لا يعجزه شىء

مروم، و لا يتكأده مطلوب، لا يخطئ تدبيره، و لا يقصر عن الحاجه تقديره آخر مراده وفق أوله لائق بأخره.

و أما إحياء الأرض بعد موتها فتمثيل للحشر و البعث، و تنبيه على أنه تعالى تتجدد منحه حالا بعد حال، و وقتا بعد وقت ليكون للعائشين بها أهناً، و فى إظهار القدره عليها أحكم، و يجوز أن يقال: و صفت الأرض بالحياه لينشأ النبات عنها كنشوء النتاج عن الحيوان فقيل: إذا كانت عامره حيّه، و إذا كانت هامده ميته، و يجوز أن يقال: و صفت بذلك لأنها تخرج ما تحيى به النفوس من الثمار و الزروع. قوله: وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ [سوره البقره، الآيه: ١٦٤] يريد من جهه السماء و من نحو السماء، و فى موضع آخر: وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا [سوره الفرقان، الآيه: ٤٨] يجوز أن يكون بدلا من الماء، أو تبيينا له و تفسيراً، أو يكون كالفطور و أمثاله فلا يدل على الكثره، و إذا جاز ذلك فيه فليس لأحد من الفقهاء أن يتعلق بظاهر الآيه فيقول: إنّ طهوراً فعول، و هو صفة للماء فيجب أن يدل على الكثره و المبالغه فى الحكم الذى يجب فى فعول إذا كان صفة لأنّ فعولا قد يكون كالفطور فلا يدل على الكثره، و لأنه قد يجوز أن لا يكون صفة للماء بل يكون بدلا و تفسيراً، و يسقط التعلّق بظاهر الآيه.

و أما قوله تعالى: وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ [سوره البقره، الآيه: ١٦٤] فيستدلّ به على الاقتدار على ما لا يتأتى للعباد إن ميسرها لأوان فقرهم إليها إن شاء جعلها السبب فى إهلاكهم بها، فهو مذكّر واعظ و مبشّر قادر، و معنى تصرفها تحوّلها من حال إلى حال و من جهه إلى جهه، و كذلك صرف الدهر تقلبه، و قال الحسن: الصّرف النافله، و العدل الفريضة.

قوله تعالى: وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ [سوره البقره، الآيه: ١٦٤] أصل البث التفريق، ثم توسع فيه فقيل بث فيه الشراب و السم، و يريد بالفلك السفن إذا أصعدوا فى البحر للتجارات و ما يجرى مجراها، و يقع على الواحد، و الجمع قال تعالى: فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* [سوره الشعراء، الآيه: ١١٩] و إذا أنث فلائنه أريد به الجمع، و أصله الدوران، و منه تفلكت الجاربه إذا استدار ثديها، و إنّما استوى الواحد، و الجمع فيه لأنّ فعلا- و فعلا يشتركان كثيرا كمثل قولهم: العرب العرب، و العجم، و العجم، و البخل، و البخل، فمن قال: فى أسد أسد، قال: فى فلك فلك، فجمعه على فعل، و مثل هذا قولهم: هجان لأن فعلا و فعلا يشتركان فى الجمع، كقولك: قضيب و قضب، و كتاب و كتب، فمن قال: كريم و كرام، و طويل، و طوال يلزمه أن يقول: هجين، و هجان. فإن قال قائل: لم جمعت الليل و لم يجمع النهار؟ قلت: النهار بمنزله المصدر، فهو كقولك: الضياء و الظلام، فوقع على القليل

و الكثير، و الليله مخرجها مخرج الواحد من الليل على أنه قد جمع في الشذوذ على نهر قال:

لو لا الثريد إن هلكنا بالضمثرريد ليل و ثريد بالنهر

و أصل التسخير: التذليل، و المراد إنَّ الله يمسكه، و تسكين الأجسام الثقال بغير دعامة و لا علاقه فعل من لا شبيه له و لا نظير، فهو القادر الذي لا يعجزه مراد قوله تعالى: لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سوره البقره، الآيه: ١٦٤] يريد أن هذه البراهين على التوحيد، و بطلان التشبيه يستدل بها العقلاء، فيصلون إلى العلم بما يلزمهم، ثم العمل بها ففيه مدح المفسرين المتأملين، و ذم لمن سلك غير طريقهم، فأهملوا مع المهملين.

و منه قوله تعالى في سوره النمل: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ [سوره النمل، الآيه: ٥٩] إلى قوله:

بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ [سوره النمل، الآيه: ٦٦].

اعلم أن هذه الآي تشتمل على فوائد كثيره و مسائل جمه عجيبه. فمنها بيان الفائدة في قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، و كيف جعل قرآنا متلوا؟ و الظاهر أنه من كلام جبرائيل مخاطبا للنبي صلى الله عليه و سلم عند أداء المنزل إليه، و منها: كيف مورد قوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سِلامٌ عَلَى عِبَادِهِ [سوره النمل، الآيه: ٥٩] و القصد إلى تبيكيت المعاندين و إنذارهم و جمع الحجّه عليهم و قل إنكارهم بدلالة قوله: اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ [سوره النمل، الآيه: ٥٩] إلى غير ذلك مما سنبينه شيئا بعد شيء إن شاء الله تعالى، فنقول و بالله التوفيق.

أما لفظه قل: فحيث ما جاء في التنزيل مبتدأ كان، أو متوسطا، فهو أماره كونه من كلام الله خطابا للنبي صلى الله عليه و سلم تبصيرا عند افتتاح القول، و تهذيبا، أو إسقاطا للسؤال، يوجهه المعاندون نحوه امتحانا، فكان النبي صلى الله عليه و سلم ينتظر في مثل هذه الأحوال ما يلقنه من وحى فيدفع به مضرتهم، أو يبطل به حجّتهم، أو يتوضّل به إلى تعجيزهم و رد كيدهم في نحورهم، أو يستظهر به داعيا عند طلب السّلامه عليهم ظهر الابتداء المعقب بقل و الله يمدّه بما يعلو به أمره، و يشتد به أزره فلا يجي ء لفظه قل في القرآن إلّا و هو تلقين للنبي صلى الله عليه و سلم و كموعد ينتظر إنجازه على هذا قوله تعالى: يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [سوره الإسراء، الآيه: ٨٥] و قوله تعالى: مَا كُنْتُ بِدَعَاً مِنَ الرُّسُلِ [سوره الأحقاف، الآيه: ٩]، و كقوله تعالى: قُلِ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ [سوره ص، الآيه: ٦٥] و قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ [سوره الكافرون، الآيه: ١] و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [سوره الإخلاص، الآيه: ١] و قُلْ أَعُوذُ* [سوره الفلق، الآيه: ١] و ما أشبهها.

و أما قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ فَإِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا تَقَرَّرَ الْكَلَامَ عَلَيْهِمْ وَ اسْتَمَرَّ رَاهِمَ فِي لُزُومِ الْجُحْدِ وَ مَبَايِنَتِهِمْ لِنَهْجِ الْحَقِّ جَعَلَ اللَّهُ ابْتِدَاءَ الْكَلَامِ خُطْبَهُ عَلَىٰ عَادَةِ الْعَرَبِ فِي مَقَامَاتِهِمْ وَ عِنْدَ تَصَرُّفِهِمْ فِي مَنَافِرَاتِهِمْ لِأَنَّهُمْ يَبْدُءُونَ فِي مَقَارِضَاتِهِمْ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَ الصَّيْلَةِ عَلَىٰ رَسُولِهِ يَأْخُذُونَ فِي مَآرِبِهِمْ وَ يَسْتَقَرُّونَ فِي وَجْهِ الْقَوْلِ مَدَارِجَهُمْ لِتَكُونَ طَرِيقَ الْبَيَانِ بِهَا أَوْسَعُ، وَ بَرَاهِينَ الْمَوْجِبَاتِ فِيهَا أُثْبِتَ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَيَّ ابْتِدَاءٍ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ فِيمَا آتَاكَ مِنْ فَضْلِهِ وَ اخْتَصَّكَ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى إِخْوَانِكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ اللَّهُ كَمَا اصْطَفَاكَ، وَ حَمَلَهُمْ مِنْ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ مِثْلَ مَا حَمَلْتَكَ، ثُمَّ سَلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنَازِعُونَكَ الْأَمْرَ، وَ يَرَادُونَكَ فِيمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْقَوْلَ، وَ قُلِ اللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا تَجْعَلُونَهُ شُرَكَاءَ.

و مثل هذا من الكلام يستعمل مع من حقت عليه الشّماتة و لزمت الحجة و تبرأت منه المعذرة فيقرع لسوء اختياره به و يرى بعد ما بين أمره فيه، ثم أخذ تعالى في إحصاء نعم الله التي تفرد بإنشائها يقرّرهم على ما يضطرون إلى تسليمها و نقص يد المنازعة فيها من خلق السماء و الأرض و إنزال الغيث الذي تنبت به الحدائق، و يحيى به الموات، و يعيش منه الناس و الأنعام كما قال تعالى في موضع آخر: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ [سورة الزمر، الآية: ٢١] الآية. يقول: انظر كيف أنزل الغيث، و كيف أحى به الأرض؟ ثم جعله فيها ينابيع إلى أن أخرج به المرعى فجعله غثاء أحوى.

و وجه التقرير بهذا تأنيسهم بما كانوا لا ينكرونه لأنهم كانوا معترفين بأن ما يدعونه من الشركاء لم ينبثوا شجرها، فكيف ما عداها، و أن مثل الشركاء في العجز عنها مثلهم في أنفسهم لا تباين و لا تمايز لتساوى أحوالهم و تقارب آماد قواهم، فقال ذات بهجه، و لم يقل ذوات لأنه لَمَّا كَانَتِ الْجُمُوعُ مَوْثِقَةً بِالْتَأْنِيثِ عَنِ الْجَمْعِ وَ مِثْلَهُ الْقُرُونُ الْأُولَى، وَ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سورة النمل، الآية: ٦٠] أَمْ فِيهِ لِتَحْوُلِ الْكَلَامِ، عَنِ حَالِ إِلَى أُخْرَى فَهِيَ أَمْ الْمُنْقَطِعَةُ لَا الْمَعَادِلَةَ، وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ هِيَ الْمَعَادِلَةُ وَ الْمَفْسَرَةُ بِأَيٍّ، وَ فِي كُلِّ مِنْهُمَا تَبْكِيتٌ شَدِيدٌ وَ تَعْنِيفٌ بَلِيغٌ وَ إِنْ اخْتَلَفَ طَرِيقَاهُمَا لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ [سورة النمل، الآية: ٦٠] مَمْتَرَجٌ بِوَعِيدٍ وَ تَعْجِيبٍ. وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: اللَّهُ خَيْرٌ [سورة النمل، الآية: ٥٩] مَمْتَرَجٌ بِتَسْخِيرٍ وَ لَوْ قِيلَ إِلَيْهَا بِإِضْمَارِ فَعَلٍ جَازٍ. وَ مِثْلُهُ:

أَعْبَادًا حَلَّ فِي شَعْبِي غَرِيبًا لَوْ مَا لَا أَبَا لَكَ وَ اغْتَرَابًا

وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ [سورة النمل، الآية: ٦٠] حَكْمٌ بِأَنَّ الْكَلِمَةَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ لِعِبَادَتِهِمْ أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَابِعٌ بَيْنَ الْبَرَاهِينِ الشَّاطِعَةِ وَ الْإِلْزَامَاتِ الدَّامِغَةِ، فَأَخَذَ يَسْأَلُهُمْ عَنِ

الأرض و مصيرها قرارا للخلق و ما فى خلالها من الأنهار، و ما ثبت بها من الجبال، و عن البحرين و الحاجز بينهما، و عن إجابته المضطر، و إغاثته الملهوف من يقيمها فيقول: من أنشأها و جعلها كذلك تكزّر التفرّيع، و مثل هذا من القول مع المصر الجاحد أبلغ من كل وعيد، و أوعظ من كلّ نكير. قوله تعالى: قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ [سوره النمل، الآية: ٦٢] يجرى مجرى الالتفات فى كلام البلغاء لأنه تعالى بعد تعداد آلائه عليهم و على جميع الخلق معهم، و بعد إظهار الآيات البينه و ذهابهم عن المناهج المستقيمه و أنّهم لا يرجون بالنذر و لا يراعون للعبر.

قال: بلغت المقال فى نكوصهم إليهم و يقبح فيما يؤثرونه من صوابهم لديهم: قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، و هو لا يثبت بالقليل شيئا و إنما هو نفى خالص فكأنه قال: لا تذكرون شيئا، و يجوز أن يكون انتصاب قليلا على الظرف و على أن يكون صفة لمصدر محذوف قوله تعالى: أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ [سوره النمل، الآية: ٦٣] يريد من يسيّركم و يرشدكم إلى القصد و السمّت فى تلك الحال، وَ مَنْ يُزِيلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ [سوره النمل، الآية: ٦٣] أى أمام الغيث ناشره، أو مبشره، فقد قرئ نشرا بالنون، و بشرا بالباء، و معنى النشر ضد الطى أى تفتح الأرض، و تعرج أطباقها للمطر و الثبات كما قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ [سوره الحجر، الآية: ٢٢]، و ختم الكلام بإعادته التّبكيث لأنّ هذه المسائل لا أجوبه لها تعالى الله عما يشركون، ثم قال تعالى: أَمَّنْ يَبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [سوره النمل، الآية: ٦٤] جعل الخطاب فى هذا الفصل، و فى فصلين قبله و هما: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ [سوره النمل، الآية: ٦٢] و أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ بلفظ المستقبل بعد أن ساق فى أول الفصول الكلام على بناء الماضى فقال: أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سوره النمل، الآية: ٦٠] و أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا [سوره النمل، الآية: ٦١] لأنّ بعض أفعاله لعدم و حصل محصل المستكمل المفروغ منه، و فعل ما يساء فى خلقه حالا بعد حال، فهو كالمتمصل الدائم لذلك خالف الآخر الأول، و قال بعد المسائل التى ربّتها معجزاتها: قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ [سوره النمل، الآية: ٦٤] على مقالتم، و استأنف تعليم النّبى صلى الله عليه و سلم بما يورده عليهم فى إنكارهم البعث و استعجالهم من النشور بعد الموت لما قالوا: أِذَا كُنَّا تُرَابًا [سوره النمل، الآية: ٦٧] وَ آبَاؤُنَا أِإِنَّا لَمُخْرَجُونَ [سوره النمل، الآية: ٦٧] لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [سوره النمل، الآية: ٦٨] فقال تعالى: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ [سوره النمل، الآية: ٦٥] فما غاب عنكم كيف تحكمون عليه بالبطلان و الامتناع، و قد استوى المخلوقون فى استبهاهم أمر الساعه عليهم فلا يشعرون متى يبعثون أ لا تسمع قوله تعالى: يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنْما عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتِهَا إِلاَّ هُوَ [سوره الأعراف، الآية: ١٨٧] و إذا

كان القيامه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه لما تعلق بخفائه من مصالح المكلفين، فالمتكلم فيه آمن الكفار واقف من مطلوبه موقف الخزى و الخيبه، و الزاجع من مرتاد القيامه يفوت السلامه.

قوله تعالى: بل أدرك علمهم فى الآخرة استهزاء بهم جعل علمهم كالثمر المنتظر ينعه و تكامله، فإذا تم بلوغه قيل أدرك، و قرئ بل إدراك علمهم، و المعنى تدارك، و هو أبلغ فى المعنى لأن تفاعل بناء لما يحصل شيئاً بعد شىء على هذا قولهم: تداعى البناء و تلاحق القوم و ما أشبهه، ثم قال مرزياً بهم و مبطلا لظاهر ما أعطاهم: بل هم فى شك منها بل هم منها عمون [سوره النمل، الآية: ٦٦] فانظر كيف ارتجع منهم ما بذله و على أى ترتيب رتبته لأنه قال: بل أدرك علمهم بلسان التهكم و الهزاء، ثم حطهم عن تلك الرتبة فقال: بل هم فى شك منها فضعف علمهم و إدراكهم بالشبهه العارضه لهم إذ كان الشك لا يحصل إلا لعارض شبهه، ثم قال: يجهلهم و يردهم إلى أسوأ منازل الباحث، فقال: بل هم منها عمون، و قال بعض أصحاب المعانى: بلغنى عن ابن عباس أنه قرأ: بلى إدراك يستفهم، و يشدد الدال، و هو وجه جيد لأنه أشبهه بالاستهزاء بأهل الجحد كقولك للرجل بكذبه و العمى المذكور وإنما هو من الرى دون البصر، و هذا بين و الحمد لله.

و منه قوله تعالى: الله نور السموات و الأرض [سوره النور، الآية: ٣٥] إلى و الله بكل شئ عليم [سوره النور، الآية: ٣٥] أراد بقوله تعالى: الله نور السموات و الأرض أن الآيات الباهره الداله عليه و على أنه لا نظير له و لا شبيهه، و أن العباده لا تحق إلا له مبينه مضيقه لعذر من شبهه بخلقه ظاهره ظهور المصباح لذى وصفه فى المشكاه التى بين أمرها إذا كان الله تعالى خالق الظلم و الأنوار، ثم جعل المصباح فى زجاجه صافيه تشرق إشراق الكوكب المضىء الوقاد، و قد استصبح ذلك السراج بزيت من شجره زيتون قد بورك فيها ثابته على خط استواء لا شرقيه، فيكون خطها منها العشيات فقط بل تستوفى قسطها مما ينمىها و يربىها كل وقت حتى إن عصيرها إذا اعتصر يقرب من أن يشرق و إن لم تمسه نار، ثم قال: نور على نور [سوره النور، الآية: ٣٥] يعنى نور المصباح، و نور الزجاجه، و نور الزيت يدل على أن أسبابه متعاونه فى الإضاءة فكل موادها نور مفرد لو اكتفى به فى الإشراق لأغنى عن غيره، فيقول: إن هذه الأنوار المجتمعه المترادفه مثل آيات الله فى وضوحها، و الدلاله على وحدانيته، فلا شبهه تعرض لناظر و لا مريه يتسلط على خاطر فكل من ضل عما دعى إليه فإنما أتى من قبل نفسه و سوء تأنيه، أو من هو يجذبها إلى الضلال فيرديه. فإن قيل: هل تعرف فى نظوم كلامهم مثل هذا التركيب، و التلفيق؟ أو هل تعرف فى الأمثال المضروبه لتأكيد القصص و الأخبار ما أسس هذا التأسيس؟

قلت: هم يقولون مثل هذا إذا قصدوا التنبية على تناهى الشىء و بلوغه أقصى مأخذه حتى يستغرق أكثر أوصافه على ذلك قول الأعشى، و هو يهول أمره و يعظمه فيما قاساه فى الغزل حتى بلى فيه بما لا مزيد على شأنه فقال:

علقتها عرضاً و علقت رجلاً غيرى و علق أخرى غيرها الرّجل

و علقتة فتاه ما يخاف لها من قومها ميت يهذى بها و هل

و علقتنى فتاه ما تلا يمنى فاجتمع الحبّ حبا كله تبل

فكلنا هائم يهذى بصاحبه قآب و دان مخبول و مختبل

فهذا من الباب الذى نحن فيه، و قد فعل الله مثل ذلك فيما ضربه من المثل للكفر و الضلال فقال تعالى: **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ آيَةٍ، فَكَمَا ضَرَبَ لِلْهَدَى الْمَثَلُ بِالنُّورِ عَلَى ذَلِكَ الْحَدِّ مِنَ التَّأْكِيدِ ضَرْبٌ لِلْكَفْرِ مِثْلُهُ وَ عَلَى حَدِّهِ.**

فأما قوله: **يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** [سوره النور، الآية: ٣٥] فإنه يحتمل وجهين:

(أحدهما) أن يكون مثل قوله تعالى: **أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صِدْرَهُ لِلْبِإْسَامِ** [سوره الزمر، الآية: ٢٢] و قوَى بصيرته و نور منهاجه و قصده، و يجوز أن يريد بالنور الذى يهديه له ما يفعل الله بالمؤمنين من إرشادهم إلى طريق الجنة، كما قال فى صفتهم: **نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيْمَانِهِمْ** [سوره التحريم، الآية: ٨]، و مثل قوله تعالى: **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ**، قوله تعالى فى صفه النبى صلى الله عليه و سلم: **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا*** [سوره الفتح، الآية: ٨] الآية، و هذا واضح بين.

قوله تعالى: **وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ إِلَىٰ شِهَابًا رَّصِيدًا** [سوره الجن، الآية: ٨] يقال لمس و التمس بمعنى طلب و حمل عليهما المس أيضا، فالحجه فى الأول قوله الام على تبكيه فلا- أجده يكشف ذلك قوله: فلا أجده، و فعل، و افتعل يتصاحبان كثيرا، و أما المس و خروجه إلى معنى اللمس فقد استشهد له بقوله:

مسسنا من الآباء شيئا و كلنا إلى حسب فى قومه غير واضح

فقيل المعنى طلبنا فى نسب آبائنا هل فيه ما يقتضى ما أنكرناه من أخلاقهم لأنّ المس بالجارحه لا- يتأتى فى الأنساب، و الأحساب، ثم حمل قوله تعالى: **لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** [سوره الواقعة، الآية: ٧٩]، و قيل معناه لا يطلب النظر فى أدله الله المنصوبه فى كتابه العزيز للاقتباس من آدابه و حكمه، و الاعتبار بأمثاله، و حججه إلا المطهرون من دنس الشرك و دغل الكفر، و يكون على هذا التأويل الكلام خيرا.

وقيل فيه أيضا: إنَّ المس هو التناول باليد، ويكون على هذا اللفظ لفظ الخبر، والمعنى معنى التَّهْي كَأَنَّهُ نَهَى الْحَائِضَ وَالْجَنبَ، و من جرى مجراهما من تناول المصاحف تنزيها لها، و تعظيما لشأنها، و الوجهان قريبان، فأما الآية فهي إخبار عن الجن المسترقه للسمع و أنهم كانوا قبل الإسلام يقعدون من السِّمَاءِ مقاعد تقرب الاستماع إلى الملائكة و تسهله في السِّمَاءِ الدُّنْيَا، فكانوا يلتقطون من تجاورهم و تذاكرهم بما يوحى إليهم امتحانا لهم ما يلقونه على ألسن الكهنة حتى يتصوروا للناس بصورة من يعلم الغيب، فيؤمنوا بهم و ذلك من الإضلال، و فساد الأدله ما لا خفاء فيه، فقالوا: قد كان هذا فلما بعث النبي صلى الله عليه و سلم منعنا من ذلك بما أرصد لنا من ثواقب النجوم.

و قد اعتقد قوم أن انقضاض الكواكب ظهر في الإسلام لأنها جعلت رجوما للشياطين فيه، و قد جاء في الشعر القديم تشبيه المسرع من الخيل و غيرها بمنقض الكواكب، فالأقرب في هذا أنه كثر في الإسلام، و من قبل كان يتفق نادرا، أو يكون جعلها رجوما إسلاميا و فيما تقدم من الزمان لم يكن لذلك من الشأن فإنه تعالى قال: وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ [سورة الملك، الآية: ٥] و قوله تعالى لا يبدل و لا يدخل التسمح بل هو الوحي المحقق و الخبر المصدق.

فإن قيل: من أين لك أن الملائكة كان يرد عليهم الوحي فيتدارسونه بينهم و يجاذبونه حتى توصلت الشياطين منه إلى الاستماع. قلت: يدل على مثل ذلك قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا [سورة البقرة، الآية: ٣٠] الآية، فتبين أنه قدم إلى الملائكة خبر ما أراده من آدم عليه السلام و ما كان من ذريته في الأرض امتحانا لهم. قوله تعالى: فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا [سورة الجن، الآية: ٨] يعني الملائكة فدعاهم حرسا لما كان منهم من منع الشياطين من السمع. و الحرس جمع حارس، و مثله غائب، و غيب. و الشهب جمع شهاب، و هو النار و لو لا فعل الله تعالى ذلك لكان الوحي إلى النبي يتخلله الفساد، بما يكون من الجن فله الحمد و الشكر على نعمه في كل حال و سيجي ء من الكلام من بعد فيه ما تزداد به هذه الجملة انشراحا إن شاء الله تعالى.

و منه قوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ [سورة التوبة، الآية: ٣٦] الآية، بته الله تعالى على عدد الشهور العربية، و هي التي تسمى شهور القمر. و ميزان السنة اثنا عشر شهرا لأن القمر يجتمع مع الشمس في مدة هذه الأيام اثنتي عشرة مره، ألا ترى قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً، وَ الْقَمَرَ نُورًا وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ [سورة يونس، الآية: ٥] و كذلك فعلت الفرس بقسمه أيام السنة باثني عشر قسما، و جعلوا أيام كل شهر ثلاثين يوما، و زادوا في آخر (ماه ابان) خمسه أيام سموها اللواحق، و المسرقة،

و سموها الكبيسه و إنما زادوا ذلك لستم سنه الشمس.

و كذلك زادت الزوم فى أيام شهرهم و نقصت، و كبست ليكون أيام سنتهم موافقه لأيام سنه الشمس، و هى ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع يوم، و ذكر بعضهم أن العرب كانت تعمل الكبيسه أيضا لثلاثه تنغير أحوال فصول سنتهم، و كان شتاؤهم أبدا فى جمادى الأولى، و جمادى الآخرة، و يجمد الماء فى هذين الشهرين و لذلك سموهما بهذا الاسم، و يكون صيفهم فى شهر رمضان، و شوال، و سموا رمضان بهذا الاسم لشده الحر فيه، و وجدوا أيام السنه القمرية ثلاث مائه و أربعة و خمسين يوما، و تنقص عن أيام السنه الشمسية نحو أحد عشر يوما، و أحبوا أن تكون فصول سنتهم على حال واحده لا تتغير، و كانوا يكسبون فى كل ثلاث سنين شهرا، و يجعلون سنتهم ثلاثه عشر شهرا و يسمونها النسى إلى أن بعث محمد صلى الله عليه و سلم، و أنزل الله تعالى هذه الآية: **إِنَّمَا النَّسِيءُ** [سوره التوبه، الآية: ٣٧] الآية فلم يكبس بعد ذلك، فصار شهر رمضان يتقدم فى كل سنه نحو أحد عشر يوما، و يدور على جميع فصول السنه فى نحو ثلاثين سنه، و لا يلزم نظاما واحدا، و هذا الذى حكاه هذا الإنسان يطله ما ذكره الله تعالى، و رواته نقله الأخبار، و سأبينه من بعد.

ف قوله تعالى: **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ** [سوره التوبه، الآية: ٣٦] فالكتاب هاهنا هو الحكم و الإيجاب أ لا- ترى قوله تعالى: **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ*** [سوره البقره، الآية: ٢١٦] و **كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** [سوره الأنعام، الآية: ١٢]، و المعنى إن الواجب عند الله أن عدد الشهور على منازل القمر و أن أعياد المسلمين و حجهم و صلواتهم فى أعيادهم و غير ذلك تدور و أنه أجراها على هذا المنهاج: **يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**، [سوره التوبه، الآية: ٣٦] ثم قال تعالى: **مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ** يريد من الأشهر، أى جعل لها حرمة كما جعل البلد الحرام، و البيت الحرام ذلك الدين القيم [سوره التوبه، الآية: ٣٦] يريد دين الإسلام قوله تعالى: **فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ** [سوره التوبه، الآية: ٣٦] أى لا تدعوا مقاتله عدوكم إذا قاتلوكم فى هذه الأشهر، فتكونوا معينين على أنفسكم و ظالمين لها بكشف هذا قوله تعالى: **يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** [سوره البقره، الآية: ٢١٧]، و المعنى عن قتال فى الشهر قتل قتال فيه كبير [سوره البقره، الآية: ٢١٧] و قد تم جواب السؤال لكن الله تعالى زاد فى الكلام ما انشرح به القصة و أتى من وراء القصة، فقال: **وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِيْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ** عِنْدَ اللَّهِ [سوره البقره، الآية: ٢١٧]، فقاتلوهم فإنكم معذورون، و معنى قوله تعالى:

كأفهم جميعا، و محيطين بهم و مجتمعين. و انتصابه على الحال، و مثل كاهه قولهم: قاموا معا لا يدخلها الألف و اللام، و كذلك قاموا جميعا، و قال الزجاج: اشتقت من كفه الشىء

و هي حرفه و كأنها مأخوذه من كف لأين الشىء إذا انتهى إلى ذلك كف عن الزيادة و لا- يثنى و لا يجمع لأنها مصدر فى الأصل كالعاقبه، و قم قائما، و كقولهم: العامه و الخاصه.

و من هذا قولهم: لقبته كفه كفه، و المعنى كفه ككفه، أو كفه إلى كفه، قوله تعالى:

وَ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [سوره التوبه، الآيه: ٣٦] ضمان منه يقال لنصره المؤمنين قوله تعالى: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ [سوره التوبه، الآيه: ٣٧] النساء، التأخير، و قال: نسا الله فى أجله، و منه النسىء فى تأخير الدين يقول: فالذى يفعله الكافرون فى تقديم الأشهر الحرم على أوقاتها التى جعلها الله لها و تأخيرها زياده فى كفر الكافرين، و استمرار فى ضلالهم و ذهاب عن الواجب عليهم و إنما كانوا يفعلون ذلك فيحلون الشهر من هذه الشهور فى بعض الأعوام و يحرمونه فى العام الآخر ليوافقوا بالتحليل تحريم الله تعالى فيحلوا الحرام و يحرموا الحلال.

قوله تعالى: زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ [سوره التوبه، الآيه: ٣٧] أى استحسنا من ذلك ما هو سيئ و أتى بلفظ الخبر، عن المفعول و لا فاعل، ثم و مثله قولهم: أعجب بنفسه، و عنى بكذا و هذا كان من عادتهم كما كانوا يفعلونه فى البحيره و السائبه، و الوصيله، و الحامى حتى أبطلها الله تعالى بما أنزل فيه: (و البحيره) كانت الناقه إذا انتجت خمسه أبطن، و كان آخرها ذكرا شققوا أذنها، و امتنعوا من ركوبها و نحرها، و لا تمنع عن ماء و كلاء و لا يركبها المعى إذا لقيها.

و السائبه: كان الرجل إذا نذر لقدم من سفر، أو برء من عله يقول: ناقتى سائبه، أو عبدى سائبه فلا يستعان بعد ذلك به و لا يحادث عما يريد.

و الوصيله: هى الغنم إذا وضعت أنثى كانت لهم و إن وضعت ذكرا جعل لآلهتهم، و إن ولدت ذكرا، و أنثى قالوا؛ وصلت أخاها فلم يذبوا الذكر لآلهتهم.

و الحامى: كانوا إذا نتجت من صلب الفحل عشره أبطن قالوا: حمى ظهره فلا يحملون عليه و لا يمنعونه من ماء و مرعى.

فصل فى بيان النسىء

فيما قاله الناس نقله الأخبار و المفسرون ذكروا أنه كان قوم من بنى كنانه يقال لهم بنو فقيم يتولون ذلك إذا اضطروا إليه عند اتفاق حرب عظيمه و داعيه خطب قويه يرى فى الواجب عليهم الاشتغال فى المحرم به، فكان فى ذى الحجه إذا اجتمعت العرب لموسمهم يقوم مناد فينادى: الآن استنسانا، و استفرضنا إلا أن المحرم صفر، و أن صفر هو المحرم

الأكبر، فكانوا يحلون في المحرم ما كان فيه من قتال و سفك دم و استباحه حريم، و يحرمون في صفر ما كان مباحا عندهم و في مذهبههم ليواطئوا العده، و يبلغوا فيما رأوه من الإراده، و المواطاه: الموافقه.

و حكى ثعلب أنّ الكنانى كان يقال له: نعيم بن ثعلبه، و كان رئيس الموسم فى الجاهليه فيقوم إذا أرادوا الصّيدر عن منى فيقول: أنا الذى لا أعاب و لا أخاب، و لا يرد لى قضاء فيقولون: صدقت انسينا شهرا، و يريدون أحرّ عنا حرمة المحرم، و اجعلها فى صفر فيفعله، و لهذا ذكره أبو عبيده معمر بن المثنى أنّ الأشهر الحرم كانت فى الجاهليه عشرون.

من ذى الحجه، ثم المحرم، ثم صفر، و شهر ربيع الأول، و عشر من شهر ربيع الآخر، و فى الإسلام هى ذى القعدة، و ذى الحجه، و المحرم، و رجب ثلاثه متناسقه، و واحد منفرد، و كانت العرب تعظم رجا، و تسميه منضل الأسنه، و منضل الآل لأنهم كانوا ينزعون الأسنه من الحراب و الرّماح توطينا للنّفوس على الكف عن المحظور فيه فى مذهبههم و يسمونه أيضا شهر الله الأصم لأنه كان لا يسمع فيه تداعى القبائل و لا قعقه السلاح.

قالوا: فلما قام الدّين لمحمد صلى الله عليه و سلم أنزل الله فى النسيء ما أنزل و لتأكيد الأمر فيه ذكره صلى الله عليه و سلم فى خطبه الوداع فقال: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السّماوات و الأرض السّينه اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثه متواليه ذى القعدة، و ذى الحجه، و المحرم، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان». ثم انتسب الناس بعد فراغه مما أراد تأكيدا للقول فيه فقال: فى أى يوم يخطب؟ و من أى شهر هو؟ حتى أجابوه فأشهد الله على ما فعل فقال: «ألا هل بلغت اللهم فاشهد».

فهذا الأمر النسيء، و معنى قوله عليه السلام: قد استدار كهيئته هو أنهم كانوا يحلون المحرم و يحرمون صفرا كما ذكرنا.

ثم كانوا يحتاجون فى سنه أخرى إلى تأخير صفر إلى الشّهر الذى بعده كحاجتهم فى المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع، ثم يمكنون بذلك دعه، ثم يحتاجون إلى مثله، ثم كذلك، و كان يتدافع شهرا شهرا حتى دار التّحريم على شهور السنه كلّها. و قد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه الله به و ذلك بعد دهر متناول، فكان النّبى صلى الله عليه و سلم أراد رجعه الأشهر إلى مواضعها و بطل النسيء.

و روى عن مجاهد أنه قال: كانت العرب فى الجاهليه يحجّون عامين فى ذى القعدة، و عامين فى ذى الحجه، فلمّا كانت السّينه التى حج فيها أبو بكر رضى الله عنه كان الحج فى السنه الثانيه من ذى القعدة، و هى حجه قراءه براءه قرأها على كرم الله وجهه على الناس، ثم

حج النبي صلى الله عليه وسلم فلما كانت السنه التي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم عاد الحج إلى ذى الحجه، فذلك قوله: «إِنَّ الزَّمانَ قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض».

ثم قال لما فرغ من خطبته: «أى يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: «أى شهر هذا» قالوا: شهر حرام. قال: «أى بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام، فقال: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمه يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا اللهم هل بلغت».

و مراد النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد ثبت الحج فى ذى الحجه على ما كان عليه فى أيام إبراهيم عليه السلام، فهذا أيضا طريقه، والأول أشبه وأشهر وجميع هذا، أو أكثره حكاة أبو عبيد القاسم بن سلام أيضا. وقيل: إنما قيل رجب مضر لأنها كانت تعظمه، و تحرمه، و لم يكن يستحلّه العرب إلّا حيان خثعم و طى ء فإنهما كانا يستحلان الشهور، فكان الذين ينسئون الشهور أيام الموسم يقولون حرما عليكم القتال فى هذه الشهور إلّا دماء المحلين.

فصل فى تأويل أخبار مرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و الصحابه و بيان ما يحمى و يذم من معتقدات العرب فى الأنواع و البوارح

و هذا الفصل لائق بما قدّمناه من التنزيل، فلذلك جعلناه من تمامه. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاث من أمر الجاهليه الطعن فى الأنساب، و النياحه، و الاستسقاء بالأنواء». فالاستسقاء بها منكر، كما قال صلى الله عليه وسلم إلّا أنّ العرب مختلفون فيما يراعونه من قسمه الأزمان و الفصول و الحكم على الأحداث الواقعه فى الأحوال و الشهور، و لهم فى ذلك من صدق التأمل، و استمرار الإصابه ما ليس لسائر الأمم، يدل على ذلك أنّ كل ما حكموا به قديما عند طلوع هذا المنازل من تحت شعاع الشمس بالغدوات فى ناحيه المشرق و سقوط نظائرها فى المغرب من أحوال فصول السنه، و أوقات الحر، و البرد، و مجىء الأمطار و الرياح فإنّها تجرى على ما حكمت به إلى أن لا يتغير و لا يتبدل إلّا على طريق الشذوذ، و على وجه لا يحصل به الاعتداد و على ذلك فهم مختلفون.

فمنهم من اعتقد أن تلك الحوادث من أفعال الكواكب، و أنها هى المدبره لها و الآتيه بها حتى صارت كالعلة فيها و الأسباب؛ و أنّ للأزمنه تأثيرا فى أهلها كما أنّ للأمكنه تأثيرا فى أهلها و لذلك أخذ قرن عن قرن الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم، قالوا: فتصاريق الأزمان تؤثر فى الخلق و الأخلاق و الصور و الألوان و المتاجر، و المكاسب و الهمم و المآرب و الدواعى و الطباع و اللسن؛ و البلاغات و الحكم و الآداب، فذمّ الله تعالى طرائقهم و نعى عليهم عقائدهم، و قال حاكيا عنهم: ما هى إلّا حياتنا الدنيا نُموتُ وَ نَحيا وَ ما يُهْلِكُنَا إلّا الدَّهْرُ [سوره الجاثيه، الآيه: ٢٤] الآيه، و هذا تجهيل من الله تعالى لهم، و ذكر بعضهم أنّ

الذى يدلّ على أنّ شأنهم كان تعظيم الرّجال و الاستسلام للمنشأ و الذّهاب مع العصبية و الهوى ما نجد من اعتقاد أكثر أهل البصرة و سوادهم لتقديم عثمان، و اعتقاد أهل الكوفة لتعظيم على، و من اعتقاد أكثر الشاميين لدين بنى أميه و حب بنى مروان حتى غلط قوم فزعموا أنّ هذا لا- يكون إلّا من قبل الطالع، أو من قبل التربة، كما تجد لأهل كل ماء و هواء نوعا من المنظره و الرّأى و الطّبيعه و اللّون و اللّغه، و النّشوء و البلده و لو كان ذلك كما ظنّوا لما حسن الأمر و النّهى و لا كان لإرسال الرّسل معنى، و لما جاز الثّواب و العقاب بلى لاستماله النّاس بالترغيب و التّرهيب و الاصطناع و التّقريب؛ و الذّهاب مع المألوف شأن عجيب.

و ذكر بعض المفسرين و هو عبد الله بن عباس فى قوله تعالى: وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ٨٢] أنه القول بالأنواء و قرأ على، و تجعلون شكركم أنكم تكذبون، فأما قوله تعالى: إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [سوره البقره، الآيه: ٧٨] فَإِنَّ للاف و العاده سلطانا على النّفوس و القلوب قويا و أخذنا بالبصائر، و العيون عزيزا. و كانوا إذا استهجنوا مستكرما، و استقبحوا مستحسنا، و عدلوا عن مألوف إلى متروك، و عن معمول إلى مرفوض و تنقلت بهم الأحوال و تبدلت لهم الأبدال طلبوا المعاذير و العلل، و صرفوا الفكر فى الأسباب و الدّواعى من جوانب الالف و العاده لا من نواحى النّظر و التّدبر لطلب الإصابه، فرضوا بأن يعملوا الظّنون، و الأوهام، و تحمّلوا تلك الأفاعيل على الأسماء فضلا عن الدّوات ثقه بما يشاهدون و اغترارا بأرائهم فيما يحكمون لذلك قال النّبى صلى الله عليه و سلم: «لا تسبوا الدّهر فإنّ الله هو الدّهر» لأنه رآهم يقولون لذلك الاعتقاد الفاسد: أباد بنى فلان الدّهر، و أفناهم الليالى كقول بعضهم شعرا:

يا دهر قد أكثرت فجعتنا إذابساتنا و وقرت فى العظم

و سهلتنا ما لست تعقبنا به يا دهر ما أنصفت فى حكم

و كقول الآخر:

و إنّ أمير المؤمنين و فعله لكالدّهر لا عار بما فعل الدّهر

و معنى قوله صلى الله عليه و سلم لا تسبوا الدّهر أى لا تسبوا الذى يفعل هذه الأشياء فإنكم إذا سببتم فاعلها فإنما يقع السّب على الله تعالى. و منهم من اعتقد أنّ تلك الحوادث من فعله تعالى لكنّه أجرى العاده بأن يفعلها عند طلوع تلك النّجوم، أو أفولها لأنّهم مختلفون فى ذلك أيضا كأنهم يعدّون تلك التّغيرات أوقاتا لها، و أمارات و سمّوها الأنواء باتّفاق منهم لأنّ النّوء يكون السّقوط و الطّلوع، و هذا قريب فى الدّين و العقل لا إنكار فيه، و على هذا يحمل قول عمر للعبّاس حين استسقى: يا عمّ رسول الله كم بقى من نوء الثّريا. فإنّ العلماء بها يزعمون أنّها تعرض فى الأفق سبعا لأنّ هذا أمر عيان على مجار قائمه و مسير مركب، و قد جعل الله

تعالى فى علم هذا و ما أشبهه مما ضمّنه هذا الفلك عبرا كثيره، و آيه مبصره، و دلالة صادقه عم بجليله أكثر هذا الخلق، و خصّ بلطيفه خصائص منهم مدحهم حين تبينوه و أقاموا الشكر عليه فقال تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن يَتَذَكَّرُ أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْكٰفِرِينَ وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ مَبْرُورًا ۗ أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْكٰفِرِينَ الْكٰفِرُ أَلْمُذَكَّرُ ۗ وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن يَتَذَكَّرُ أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْكٰفِرِينَ [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] الآيه، و قرأ بعضهم مبصره فيكون مثل قول عترة: و الكفر مخبئه لنفس المنعم.

و إذا وضعت مفعله فى معنى فاعل كفت من الجمع و التأنيث يقولون: الولد مجبئه، و هذا العشب مليئه مسمنه فاعلمه.

و قال فى آيه أخرى: وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ [سوره الأنعام، الآيه: ٩٧] الآيه، و قد علمنا أنّ خلقا كثيرا هلكوا بتفويض التّديبير إلى النّجوم و لإفراطهم فى الأنواء قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما أنعمت على عبادى من نعمه إلا أصبحت طائفه منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا فأما من آمن بى و حمدنى على سقياى فذلك الذى آمن بى و كفر بالكواكب».

و روى عنه أيضا من وجه آخر: «لو أن الله عز و جل حبس المطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله لأصبحت طائفه بها كافرين يقولون مطرنا بنوء المجدح» و مما يدل على ذلك قول الشاعر شعرا:

يا سحم من نتج الذّراعين أنأقت مسائله حتّى بلغن المناجيا

المناجاه المكان المرتفع لا يبلغه السّيل.

و قال آخر شعرا:

و أخلف نوء المرزم الأرض قرّهلها شيم فيه شفيف و جالد

و قال آخر:

تربّع من جنبى قنا فعوارض نتاج الثّريا نوؤها غير مخدج (١)

و لو كان مرادهم بقوله: مطرنا بنوء كذا: أى مطرنا فى نوئه على التّشبيه بقول الناس:

مطرنا فى غره الشّهر لم يكن مكروها، و كذلك مذهبهم فى تأمل الغيث أن لو كان على نحو توقّع الناس أياما للأوقات المعروفه بالمطر لم يكن به بأس، لأنّ الناس جميعا يعلمون أنّ للحر و البرد و المطر و الرّيح من السنه وقتا جرت العاده بتقدير الله تعالى أن يكون فيه أكثر ما

يكون، و إن كان الله تعالى يأتي به إذا شاء لو لا ذلك ما عرفوا وقت حرث و لا بذر و لا ركوب بحر و لا بر، و لا انتظر حين لمجيء شئ و لا - لانصراف شئ، و لكانوا و من يعاملهم كذلك في أجهل الجهل فمما هو ظاهر في زوال المكروه عنه قولهم: إذا طلعت الشعري سفرا و لم يروا مطرا فلا تعدون أمره و لا أمرا، لأنهم وجدوا ذلك مستمرا في العاده و منه قول الشاعر شعرا:

إذا ما قارن القمر الثريا الخامسة فقد ذهب الشتاء

لأن مقارنة الثريا في الليلة الخامسة من مهله لا يكون أبدا إلّا في قبل الدجفاء و كقول الآخر شعرا:

إذا كبد النجم السماء بشقوه على حين هز (١) الكلب و الثلج خاسف

لأنه موافاته كبد السماء في أول الليل يكون في صباره الشتاء و مما يكون على العكس من هذا في موافقه المكروه قول الآخر شعرا:

هنأناهم حتى أعان عليهم عوافى السماك ذى السجال السواجم

قال أبو حنيفة الدينوري: هذا الشعر لجاهلي و اتبع أثره بعض الإسلاميين فقال:

هنأناهم حتى أعان عليهم من الدلو أو عوا السماك سجالها

قال و هنوء القوم أن يكفهم مئونه و قد يجيء من كلامهم ما يغمض، فيرد بالتأويل إلى كل واحد من الناس، و للقائلين بالأحكام في النجوم مضاهاه للقوم في إثباتهم السعد و النحس بمقتضيات الكواكب إلا من عصمه الله تعالى و لله الأمر و الحكم يفعل ما يشاء، و يحكم ما يريد لا راد لأمره، و لا مناص من قضائه.

و قد روى عنه صلى الله عليه و سلم: «من تعلم بابا من النجوم تعلم بابا من السحر و من زاد استزاد».

كما روى عنه صلى الله عليه و سلم في بعض خطبه أنه قال: «ما بال أقوام يقولون إن كسوف هذه الشمس، و خسوف هذا القمر و زوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال قد كذبوا». الزوال، و الزولان بمعنى و هذا يمكن حمله على قوله: إن من البيان لسحرا، فيكون الكلام مدحا لهذا العلم، و للمشتغلين به إذا تبرءوا من الحول و القوه و مما يدخلهم في الإشراك بالله و التسليم إلى الكواكب.

و قال ابن عباس لعكرمه مولاة اخرج فانظر كم مضى من الليل؟ فقال: إنى لا أبصر النجوم فقال له ابن عباس: نحن نتحدى بك فتیان العرب و أنت لا تعرف النجوم، و قال:

١- هزّ الكلب: صات دون نباح.

وددت أنى أعرف هفت، و دوازده يريد النجوم السبعة السيّاره، و البروج الاثنى عشر، و قال معاويه لدغفل بن حنظله العلامه و قد ضمه إلى يزيد علمه العربيه و الأنساب و النجوم: أ ترى هؤلاء حصوا على الضلاله، و رغبوا فى السّفاهه، فتأمل ما ذكرته فإنه واضح.

فإن قيل: إذا كان القول فى قضايا النجوم على ما ذكرته فما وجه قول إبراهيم عليه السلام مخاطبا لقومه و هم يعبدون الأصنام ليقرّبهم إلى الله زلفى: فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ [سوره الصافات، الآيه: ٨٧-٩٠] قلت: قد تكلم الناس فى هذا فقال بعضهم النجوم جمع نجم، و هو ما نجم من كلامهم لما سألوه أن يخرج معهم إلى عيدهم، و نظر نظره معناه تفكر ليدبر حجه فقال: إني سقيم يريد سقيم من كفرهم و إيمانهم بغيره، و هذا كما يقال أنا مريض القلب من كذا و إنما تخلف عنهم لما أضمر من كيد أصنامهم لأنّ حجه عليهم فى تعطيل عيدهم فلما غابت عيونهم جعلها جذاذا.

و سئل ابن الأعرابى عن معنى قوله تعالى: سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ [سوره الأنبياء، الآيه: ٦٠] معنى يذكرهم يعيهم و أنشد:

لا تذكرى فرسى و ما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجر

قال أبو إسحاق الزجاج: قال ذلك لقومه، و قد رأى نجما فقال: إني سقيم يوهمهم أنّ به الطّاعون، فتولّوا عنه مدبرين فرارا من أن يعذبهم الطّاعون، و إنما قال: إني سقيم لأنّ كل أحد و إن كان معافى لا بدّ له من أن يسقم و يموت. قال تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [سوره الزمر، الآيه: ٣] أى أنك ستموت فيما تستقبل فكذلك إني سقيم أى سأسقم لا محاله.

و روى فى الحديث لم يكذب إبراهيم عليه السّلام قط إلا فى ثلاث و إنّ هذه الثلاث وقعت فيها معارضه. و ذلك قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا عَلَىٰ مَعْنَىٰ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ [سوره الأنبياء، الآيه: ٦٣] فقد فعله كبيرهم، و قوله فى ساره: هى أختى فى الإسلام. و قوله: إِنِّي سَقِيمٌ [سوره الصافات، الآيه: ٨٩] على ما فسرناه، و قال أبو مسلم: عطف بالفاء هذا الكلام على ما تقدم من أمره فى مخاطبه قومه بقوله: ما ذا تعبدون، قال: و نظره فى النجوم هو الذى أخبر الله تعالى به عنه إذ يقول الله: وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ [سوره الأنعام، الآيه: ٧٠] إلى و ما أنا من المشركين [سوره الأنعام، الآيه: ٧٩] فكانت نظره تلك للتبين.

فلما أراه الله الآيات فى نفسه، و فى الآفاق كما قال الله تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمُ الْآيَةَ، قال لقومه: أ إِفْكَآ إِلَهَهُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ [سوره الصافات، الآيه: ٨٦] و ذلك حين قال: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سوره

الأنعام، الآية: ٧٩] الآية، و كان قوله: إِنِّي سَيِّئِمٌ قَبْلَ التَّبِينِ، و أراد بالسَّيِّئِمِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى يَقِينٍ وَ لَا شَفَاءَ مِنَ الْعِلْمِ وَ يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَ عَنْهُ وَ بَيَّنَّ لَهُ: شَفَانِي فَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ وَ الْيَقِينُ شَفَاءً صُلِحَ تَسْمِيهِ الْحَالِ الَّتِي قَبْلَ كُنْهِ الْبَيَانِ سَقَمًا.

وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْمٍ لَمْ يَكُونُوا عَلَى إِيمَانٍ مَحْضٍ: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ * [سورة البقرة، الآية: ١٠]، وَ هَذِهِ الْحَالُ الَّتِي انْتَسَبَ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّيِّئِمِ هِيَ الْحَالُ الَّتِي فِيهَا الْبُلُوغُ، وَ وَقُوعُ التَّكْلِيفِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَزُومُ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ، وَ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

فَتَوَلَّوْا فَاءَ عَطْفٍ أَيْضًا يَنْعَطِفُ بِهَا مَا هِيَ مَعَهُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ: أَلِفِكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ عِبَادَةَ مَا يَعْبُدُونَ دُونَ اللَّهِ تَوَلَّوْا عَنْهُ مَدْبِرِينَ.

وَ زَعَمَ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَبَ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْهَا، وَ حَاشَ لِلرَّسُولِ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا أَنْ يَكْذِبَ، أَوْ يَأْتِيَ بِالْقَبَائِحِ، وَ الَّذِي تَوَجَّهَ التَّلَاوُحَ وَ شَهَادَةَ بَعْضِ الْقُرْآنِ لِبَعْضٍ، وَ يَحْسَنُ فِي أَوْصَافِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَ صِفَوْتِهِ مِنْ عِبَادِهِ هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَ تَلْخِيصُ مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْذُ ابْتِدَاءِ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَيْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِأَنَّهُ وَافَقَ نُوحًا فِي الْإِيمَانِ وَ الْإِحْلَاصِ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ سَلِيمٍ الْقَلْبَ لثَلَاثِ شُرَكَائِهِ بِهَ شَيْئًا وَ أَنَّهُ نَظَرَ فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ النُّجُومِ فَاسْتَدَلَّ عَلَى خَالِقِهَا بِهَا وَ تَبَيَّنَ لَهُ بِالتَّأَمُّلِ لَهَا أَنَّ إِلَهًا وَ آلِهَةً وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَ خَالِقُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى مِثْلِ مَا أَرَادَ اللَّهُ، وَ هَدَاهُ لَهُ وَ زَرَى عَلَيْهِمْ، وَ عَابَ اخْتِيَارَهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ لَا تَسْمَعُ وَ لَا تَبْصُرُ وَ لَا تَعْنِي عَنْهُمْ وَ لَا عَنْ أَنْفُسِهَا شَيْئًا، فَتَوَلَّى الْقَوْمَ عَنْهُ مَدْبِرِينَ عِنْدَ ذِكْرِهِ رَبَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخِيدَهُ وَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا [سورة الإسراء، الآية: ٤٦] وَ قَالَ تَعَالَى: فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ [سورة المدثر، الآية: ٤٩] الآية. وَ قَالَ تَعَالَى: وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخِيدَهُ [سورة الزمر، الآية: ٤٥] الآية. وَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ النَّظَرِ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَاهُمْ يَعْتَمِدُونَ فِيمَا يَعْزَمُ لَهُمْ وَ يَحْدُثُ فِيمَا يَسْتَأْنِفُونَ مِنْ مَبَادِئِ الْأُمُورِ، وَ مَفَاتِحِهَا عَلَى النَّظَرِ فِي النُّجُومِ وَ أَحْكَامِهَا، فَاقْتَدَى بِهِمْ تَأْنِيْسًا لَهُمْ وَ أَحْذًا بِعَادَتِهِمْ لَيْسَكُنُوا إِلَيْهِ بَعْضُ السُّكُونِ وَ إِنْ لَمْ يَرْكُنُوا كُلَّ الرُّكُونِ.

قَوْلِهِ: إِنِّي سَيِّئِمٌ، وَ إِنْ قَالَهُ مُتَأَوَّلًا، فَبِهِ اسْتِبْنَاءٌ، وَ رَجَاءٌ رَفَقَ مِنْهُمْ إِمَّا لَعَلَّهُ، وَ إِمَّا لِلتَّرْبِصِ بِهِ حَتَّى يَأْمَنُوا شَرَّهُ، وَ يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ: فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ [سورة الصافات، الآية: ٩٠] وَ هَذَا حَسَنٌ قَرِيبٌ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: قَوْلُهُ تَعَالَى: فَتَنَظَّرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ [سورة الصافات، الآية: ٨٨] يَعْنِي بِهِ مَا يَنْجَمُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ كَانَ يَقْلِبُ الْأَدْوِيَةَ مُتَخَيِّرًا مِنْهَا مَا يَقْرَبُ الشَّفَاءَ عِنْدَهُ، وَ قِيلَ

أيضا أراد نظر فيما كان ينزل عليه من نجوم الوحي كيف يتوصّل إلى ما يهمهم به في آلهتهم، و بما ذا ابتدئ و من أين مخلصه إذا أقدم و يكون قوله: إِنِّي سَيَقِيمُ اخْتِدَاعًا مِنْهُمْ و إيدانًا مِنْهُ بأنه مشغول بنفسه تارك لما كان لا يؤمن من مكايده، و هذا نهايه ما يقال. فأما قوله تعالى: فَارَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ [سوره الصافات، الآية: ٩٣] يريد مال عليها بالضرب، كما تقول: التقى الفريقان فراغ أحدهما: أى عزل عن الحرب يقال دار فلان رائغه عن الطريق أى عدله، و قوله: باليمين قيل: بيده اليمنى، و قيل: هى يمين كان حلف بها، و هى قوله تعالى: تَاللّٰهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ [سوره الأنبياء، الآية: ٥٧] و قيل بالقدره كما قال:

إذا ما رايه رفعت لمجد تلقاها عرابه باليمين

و قيل: راغ معناه أقبل مستخفيا كروغان الثعلب، و كذلك قوله: فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ أَيْ لَمْ يَرِدْ أَنْ يَشْعُرُوا بِهِ.

فصل آخر [فى بيان معنى الرؤيه لله تعالى الوارده فى القرآن]

و ذكر أبو على الفارسى فيما سمعته منه أنّ قول النبى صلى الله عليه و سلم: «ترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر لا تضامون فى رؤيته» [سوره الذاريات، الآية: ٢٦] أنّ هذا ليس من الرؤيه التى هى إدراك البصر بل هى بمعنى العلم و ساغ حذف المفعول الثانى الذى تقضيه تلك لأنّ الكلام قد طال ما هو بمعنى المفعول الثانى لو أظهر، ألا ترى أنّ قوله: كما ترون القمر ليله البدر تأكيد، و تشديد للتيقن، و تبعيد من اعتراض الشبهه على العلم به تعالى، و إذا كان بمنزله ما بمنزله المفعول الثانى إذا جرى ذكره فى الصيغلات نحو: علمت أنّ زيدا منطلق، و أحسب الناس أن يتركوا فلما سدّ ما جرى فى الصلتين مسد المفعولين، و من قال: إنه يضم فى الموصولين مفعولا ثانيا كان قياس قوله: أن يضم هنا مفعولا ثانيا كأنه ترونه متيقنا، و نحو ذلك و أن يقال: إنّ ما ذكر سدّ مسد المفعول الثانى أقيس.

ألا ترى أنّ ما جرى فى صله أن بعد لو فى قولك: إنك لو جئتني قد سدّ مسدّ المفعول الذى يقع بعد لو حتى لم يظهر ذلك الفعل معه، و اختزل فكذلك المفعول مع الموصولين فى هذا الباب، و مثل هذا قوله: أ عنده علم الغيب فهو يرى لأنّ القول فى يرى أنها التى تتعدى إلى مفعولين لأنّ علم الغيب لا يوجب الحسن حتى إذا علمه أحسّ شيئا، و إنما المعنى عنده علم الغيب مثل ما يشهده لأنّ من حصل له علم الغيب يعلم ما يغيب كما يعلم ما يشاهد.

فإن قلت: فكيف حذف المفعولين جميعا؟ قيل: المعنى أ عنده علم الغيب، فهو يرى الغيب مثل المشاهد و المبتدأ و الخبر قبل دخول رأيت عليه كان الغيب فيهما مثل المشاهده، ثم حذفنا للدلاله عليهما و قد قال الأعشى:

فأثبت قيساً و لم أبله كما زعموا خير أهل اليمن

و قال الكميت: (ترى حُبهم عارا على و تحسب)، فالدلالة من الفحوى و المعنى فى الآية على المفعولين المحذوفين كالدلالة عليهما فى البيتين لجرى ذكرهما فيهما و إنما ذكرنا ما قاله لغرابته.

فصل آخر فى جواب مسائل للمشبهه من الكتاب و السنه مما تستدل به المشبهه

أنهم قالوا قال الله تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [سوره غافر، الآية: ٧] و قال: وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ [سوره الزمر، الآية: ٧٥] ثم قال: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [سوره طه، الآية: ٥] و قال: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ * [سوره يونس، الآية: ٣] كما قال: وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ [سوره يونس، الآية: ١٠٠] و لا- فصل بين الكلامين و قال أيضا: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ [سوره البقره، الآية: ٢٥٥] و الكرسي و العرش بمعنى و مما جاء فى الخبر قول النبى صلى الله عليه و سلم حيث حكم فى بنى قريظه: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات» (و عنه) حين قال: «فأقوم على يمين العرش» و لا- يكون يمين إلا- لما له يسار، قالوا فقول الله: وَ مَنْ حَوْلَهُ وَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ فيه دلالة على أن العرش مطاف يطاف به، و دوار يدار عليه و هذه المواضع و أشباهها عمدهم.

و الجواب عنها أن للعرش مواضع عدده فى كلام العرب منها الملك و العز و قوام أمر الرجل و ملاكه و يشهد له قولهم ثل عرش فلان إذا أزيل و حطت رتبته و منها سرير الملك و يشهد له قوله تعالى: وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ [سوره النمل، الآية: ٢٣] و قوله: أ هَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ [سوره النمل، الآية: ٤٢] و يجمع على العرشه و الا-عراش. و منها سقف البيت و ما يستظل به و العرش كذلك، و منه قيل عرش المكرم فهو عرش و قالوا عرش السماك لكواكب أربعة تشبها به لأنه على صوره النعش. و منها طى البير بالخشب بعد ما يطوى موضع الماء منها بالحجاره، و يقولون عرشوا ببركم و إذا ثبتت هذه الوجوه حقيقه و تشبها فى لفظه العرش، فالواجب حملها حيث جاءت على الأليق بالمعنى مع قرائنه و الأقرب فى الاستعمال و الأشبه فى قضيه السمع و العقل و هذا الذى ذكرناه هو الميزان عند طلب الرجحان حيث حصل الاشتراك فى الألفاظ و غيرها.

فأما الخبر المروى و هو: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات» فقولته من فوق ظرف لقوله حكم الله و متعلق به فهو كما يقال حكم الله العالى المكان الرفيع المحل

و القدر و أنت تصف الحكم و لا- يجوز أن يكون متعلقا بلفظه الله لأنه تعالى لا تحويه الأماكن و لا تحيط به الأقطار و الجوانب و المعنى بحكم يشبه حكم الله الذى محله و مكانه من الإصا به و الغلبه و العلو فوق سبع سماوات و قوله تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ [سوره غافر، الآيه: ٧] و منهم من يطوف به و كلهم يسبح لله بالحمد له و الاعتراف بنعمه و الإيمان بجميع ما تعبد الله به خلقه و يستغفرون لمن فى الأرض إلى الشفاعة التى قال الله تعالى ما حالهم و لا يشفعون إلا لمن ارتضى و قوله تعالى: وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ [سوره الحاقه، الآيه: ١٧] يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [سوره الحاقه، الآيه: ١٨] يريد أن جميع من خلق الله من البشر فى ذلك اليوم يعرضون بأعمالهم و أقوالهم، و كل ما أعلنوه و أسرّوه أيام حياتهم فيحاسبون عليه، و ذلك كما يستعرض السلطان جنده بأسلحتهم و دوابهم و آلاتهم، فأما العدد المذكور فهو مما استأثر الله به و مثله مما رأى الله تعالى إيهام الأمر فيه و الكف عن بيانه كثير، و ذلك لتعلق المصلحه بأن يكون حازما و سائر ما سألوا عنه إذا أجملناه.

فإننا نقول فى جوابهم الشامل لمقالهم المسقط لكلامهم لما أن كان أسفل الأشياء الثرى و كان أعلى الأشياء السماء السابعة ثم الكرسى ثم العرش فكان الله تعالى قد جعل للأعلى فى القلوب من التعظيم و القدر و الشرف ما لم يجعل للأسفل، كما عظم بعض الشهور و بعض الأيام و بعض الليالى و بعض الساعات، و بعض البقاع و بعض المحال، و كان قد جعل للعرش ما لم يجعل للكرسى و جعل للكرسى ما لم يجعل للسماء السابعة ذكر العرش و الكرسى و السماء بما لم يذكر به شيئا من سائر خلقه فذكر مره العرش و الكرسى و السماء فى جملة الخلق، و أنه عال على جميعها بالسلطان و القدره و القوه حيث قال تعالى:

أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [سوره البقره، الآيه: ١٠٦] و حيث قال تعالى: وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا [سوره الكهف، الآيه: ٤٥] و قد يقول الرجل فلان شديد الإشراف على عماله و ليس يذهب إلى اشراف بدنه و رأسه، قد خبر الله أنه على كل شىء قدير و مقتدر و حافظ و ظاهر، و قد قال: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سوره الحديد، الآيه: ٣] و العرش شىء هو عال عليه بالقدره، و الظاهر عليه بالسلطان و إنما خصه بالذكر إذ كان مخصوصا عندنا بالتباهه و أنه فوق جميع الخلق فذكر مره فى الجملة و مره بالإبانه قال تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [سوره البقره، الآيه: ٢٥٥] فخير أنه عال عليه و حافظ له و مانع له من الزوال و قوله كُرْسِيُّهُ كقوله بيته و لو كان متى ذكر أن له كرسيا و عرشا فقد أوجب الجلوس عليهما كان متى ذكر بيته فقد أوجب أنه ينزله و يسكنه و ليس بين بيته و عرشه و كرسية و سمائه فرق، و لو كنا إذا قلنا: سماؤه فقد جعلناه فيها كنا إذا قلنا أرضه فقد جعلناه فيها قال تعالى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ

وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ [سورة البقره، الآية: ٩٨] فأدخلهما في جملة الملائكة ثم أبانهما إذ كانا باثنين من سائر الملائكة، وكذلك سبيل القول في العرش والكرسى والسماء والأرض والحوت، والثرى، لأن الكرسى إذا كان مثل السماوات والأرض والعرش أعظم منه فمتى ذكر أنه عال على العرش وظاهر عليه فقد خبر أنه على كل شىء قدير، وقد يكون العلو بالقدره والاعتلاء، فمره يذكر العرش، و مره يذكر الكرسى دون العرش، و مره يذكر السماء دون الكرسى و مره يقول: وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ [سورة الأنعام، الآية: ٣] بعد أن قال: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ وَ تَرَكَ ذَكَرَ الْأَرْضَ فَلَوْ كَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّمَاءَ دُونَ الْأَرْضِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ كَانَ فِي ذَكَرَهُ أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ وَقَدْ قَالَ: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ [سورة الملك، الآية: ١٧] و مره يذكر معاذم الأمور، و جلائل الخلق، و كبار الأجسام و أعالي الأجرام، و مره كل شخص كيف كان و حيث ما كان كقوله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ [سورة المجادله، الآية: ٧] الآية. و قد قال أيضا على هذا المعنى: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَقَالَ: نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ [سورة الواقعة، الآية: ٨٥].

فإن زعم القوم أنه إنما ذهب إلى معنى القدره و العلم لأن قربه منهم كقربه من العرش قلنا: فقد صرتم إلى المجازات و تركتم قطع الشهاده على ما عليه ظاهر الكلام، فكيف نعيتم ذلك علينا، حين زعمنا أن تأويل قوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [سورة طه، الآية: ٥] ليس على كون الملك على سريره بل هو على معنى العلو و القدره و الحفظ و الإحاطه و الظهور بالسلطان و القوه و هذا بين و الحمد لله.

فإن قالوا: ما تأويل استوى؟ و ما فائده على؟ قلنا: قد زعم أصحاب التفسير عن ابن عباس و هو صاحب التأويل و الناس عليه عيال، أن تأويل قوله: استوى استولى، و قد قال تعالى لنوح: فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ [سورة المؤمنون، الآية: ٢٨] و لم يرد الله تعالى أنهم كانوا مائلين فاعتدلوا، و إنما معناه فإذا صرتم في السفينه فقل: كذا و كذا، و قد يقول الرجل: قلت كذا و كذا ثم استويت على ظهر الدابة بعد أن لم أكن عليها فقلت كذا و قال تعالى: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا [سورة يوسف، الآية: ٢٢] و إنما يريد: فلما انتهى و بلغ جعلناه حكيما، و كما يقال للغلام المقدود: هذا غلام مستوفى قالوا: قد عرفنا هذه الوجوه و لكن ما معنى قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ [سورة فصلت، الآية: ١١] قلنا معناه: ثم عمد إلى السماء فخلقها كما قال ابن مقبل شعرا:

أقول و قد قطعنا بنا شرورى عوامد و استوين من الضجوع

أى خرجن، و قال الآخر:

استوت العير إلى مروان مسير شهر قبله شهران

و لفظه على تختلف مواقعها، فمنها قوله تعالى: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ [سورة الغاشية، الآية: ٢٥] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [سورة الغاشية، الآية: ٢٦] و قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ [سورة القيامة، الآية: ١٧] فإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [سورة القيامة، الآية: ١٨-١٩] و قوله تعالى: وَ عَلَى اللَّهِ قَضُ السَّبِيلِ وَ مِنْهَا جَائِزٌ وَ الْمَرَادُ فِي الْجَمِيعِ اللَّزُومِ وَ الْوَجُوبِ وَ مِنْهَا قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ شِعْرًا:

و لو أنى ملكت يدى و نفسى لكان علىّ للقدر الخيار

و إنّما قال هذا حين ندم على تطليق امرأته نوار و أوله:

ندمت ندامه الكسعى لَمَّا غَدَت مَنَى مَطْلَقَهُ نَوَارِ

و المعنى لو ملكت أمرى فكان علىّ أن أختار للقدر، و لم يكن علىّ القدر أن يختار لى، و منها قوله تعالى: فَإِذَا اسْتَيْوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْمِكِ [سورة المؤمنون، الآية: ٢٨] و قوله تعالى: وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ [سورة هود، الآية: ٧] و هذا كما أنّ السَّمَاوَاتِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، و يجوز أن يكون عليه على جهه الالتراق. و منها قوله تعالى:

وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٣] و هذا من قولهم: على فلان نذر، و عليه حتم و عليه يمين. و منها قوله:

سلام الله يا مطر عليها و ليس عليك يا مطر السلام

و منها قول الآخر شعرا:

و لا الحى على الحدثان قومى على الحدثان ما تبني السقوف

يقول: لا ألوم قومى أن يحنوا علىّ و أن يحدثوا الأحداث. فعلىّ احتمال ذلك بنى بيت السؤدد. و منها قوله تعالى: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا [سورة البقرة، الآية: ٢٥٩] فمعنى مر على قريه مر بجنابتها، و لم يرد أنّه مر فوقها، و قوله: هى خاويه على عروشها: يريد و هى خاليه على عروشها أى هى على ما بها من السقوف خاليه كما يقال: زيد على كثره محاسنه متواضع. و قال بعضهم: أراد بقيت حيطانها لا سقوف لها و ما قلناه أشبه. و قال أبو عبيده، هى الخيام و بيوت الأعراب، و منها قولهم: عليك الجاده و الطريق الأعظم فى الإغراء بها و فى القرآن: عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا- يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [سورة المائدة، الآية: ١٠٥] هذا ما حضر من مواضع على.

فصل آخر و هو بيان قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [سوره الأنعام، الآية: ١٢٤]

و بيان قول القائل: الله أعلم بنفسه من خلقه و الفصل بينهما.

أما قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [سوره الأنعام، الآية: ١٢٤] فلا يجوز أن يكون انتصاب حيث على حد انتصابه إذا كان ظرفاً لأن علمه تعالى في جميع الأماكن على حد واحد لا يدخله التزايد و التناقص، و إذا لم يسقم حمل أفعل على زياده علم في مكان فيجب أن يحمل على انتصابه انتصاب المفعول به، و يكون العامل فيه فعلاً مضمراً يدلّ عليه قوله: (أعلم) و يحصل الاكتفاء بقوله: اللَّهُ أَعْلَمُ ثم أعلم يدل على يعلم مضمراً أو التقدير الله أعلم العالمين يعلم حيث يجعل رسالاته فيختار لأدائها من يصطفيه و مثل هذا قول الشماخ شعراً:

و جلاهما عن ذى الأراكه عامر أخو الحضرمي حيث تكوى النواجر

فقوله: حيث مفعول لأنه هو المرمي إذ لم يجر أن يكون المعنى يرمى شيئاً في ذلك المكان و هذا مثل قول الآخر:

أكروا حمى للحقيقه منهم و اضرب منا بالسيوف القوانسا

انتصب القوانس بفعل مضمراً دلّ عليه قوله و اضرب منا.

و أما قول القائل: الله أعلم بنفسه من خلقه حتى قيل: لم يزل معلوماً لنفسه فاعلم أنّ هذا الكلام له منصرفات بعضها يجوز و يحسن في وصفه تعالى، و بعضها يمتنع، فإن أردت بقولك نفسه صفه لأنه به حسن، و جاز و يكون هذا كقوله في صفه قدرته و تدبيره و عظّمته و إرادته و كرمه و رحمته: يَشِئُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [سوره الرحمن، الآية: ٢٩] و كذلك إن أردت أنّ علم العبد قد يعترض فيه الشك و يتسلط عليه النسيان و يعتريه الآفات كالغشى و النوم و الموت فتعطله و علم الله يدوم و يثبت على حد واحد كان صواباً و قائماً و صحيحاً (و إن أردت أنّ علمه بذاته متكامل فهو يسعها و علم خلقه بها متناقص فيعزّ عن الإحاطه بها كان غير لائق به و ممتنعاً من تجويزه فيه، و كذلك إن أجريت مجرى قول القائل إنّ جبرائيل أعلم بالله من الإنسان، تريد أنّ علمه أعلق به و ألزم له كما يزداد حبا على حب، و يكون تعين أثبت من تعين امتنع أيضاً و ذكر النفس ليس يثبت به شيء غير الذات و كذلك الوجه في قوله تعالى: وَ يَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ [سوره الرحمن، الآية: ٢٧] و ليس ذلك على ما ينسب إلى المحدثين من الأعضاء و كذلك العين إذا قلت عين الشيء و يصح أن يقال:

الله أعلم بنفسه من خلقه و يراد أنه أذكر لوجوه قدره و صنوف ما تدل عليه الحكمة و العظمه

و لجميع صفاته العلى و أسمائه الحسنى فلا أمد لعلمه، و لا نهايه و لا مدد و لا غايه. و شاهد هذا قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ [سوره لقمان، الآيه: ٢٧] الآيه، و هذا لأنّ العبد لا يكون ذاكرا من وجوه القدره و الحكمه كلّها إلّا ما علم منها و الله تعالى ذاكر لها كلّها، و يكون هذا كما يقال فلان أعلم بالله من فلان، و يراد أنه قد عرف أنّ الدّنيا محدثه من وجوه عده، و أنّ الآخر لا يعرف ذلك إلا من وجه واحد، و قد ظهر بما بيّناه الفصل بين ما يسأل عنه فى الموضوعين جميعا.

فصل فى تبيين المحكم و المتشابه

من قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ و الحكمه فى إنزاله مقسما بين الوجهين المذكورين و الكلام فى المعارف و المعجز.

اعلم أنّ الله تعالى لما ابتلى العقلاء بتكاليف الدّين بعد إزاحه العلل و تسهيل السّبل و بعث الرّسل ربّ فى مراسمه مراتب، و جعل لكلّ مرتبه قدرا من الجزاء و المثوبه ترغيبا فى الاستكثار من طاعته، و حصّا على التّنافس فى أشرف المنازل لديه و من أجل تلك المراسم ما ندب إليه من تدبّر كتابه الحكيم الجامع للأوامر و النّواهي و أصول الحلال و الحرام، و المندوب إليه و المباح، و قصص الأمم السّالفه، و أخبار الأنبياء معهم، و المواعظ و الأمثال، و الحكم و الآيات و التّذر و المثالات، و العبر و الامتنان بأنواع النّعم، و الإخبار بالشىء، قبل كونه و التّنبيه على مغيبات الأمور و سرائر القلوب من دونه، هذا و قد أنزله علما لنبّيه يتحدى زمان الفصاحه، و أوان التّبلغ بالبلاغه جعل بعضه جليا واضحا و بعضه خفيا متشابها، ليعمل من تسمو نفسه إلى أعلى الدرجات فكره، فيمتاز فى العاجل بما يستنبطه و يثيره من جليل العلم و دقيقه عن غيره ممن لم يسع سعيه، و إن جاهد فى ربه و يجتاز فى الأجل عند الله من الزّلفه و جزيل المثوبه ما يقرب من غايات الأنبياء و ذوى العزم و النّصيحه فلولا حكمه الله فيما ذكرته لبطل التّفاضل فيما هو أشرف و تدانت الأقدار فيما هو أفخم.

ألا ترى أنّ الصّبر فى أعمال القلب و أعمال الفكر و كد الرّوح لنتائج النّظر ليس كالصّبر فى إتعاب الجوارح و إنصاب الآراب و المفاصل، لذلك قال تعالى: وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [سوره العنكبوت، الآيه: ٦٩] فأما ما روى من أن لكل آيه ظهرا و بطنا و مطلعا فالمعنى لكلها لفظ و معنى، و مأتى أى طريق يؤتى منه فيتبين علمه من ذلك الطّريق و قيل أيضا فيه: الظّهر للإخبار عن مخالفه الأمم و هلاكها و البطن يكون تحذيرا أى لا تفعلوا فعلهم فتهلكوا هلاكهم.

و حكى عن النظام أنه قال القرآن كله أو بعضه جاء على كلام العامه فى أمثالهم إياك أعنى فاسمعى يا جاره. و قد ظهر وجه الحكمه بما بيّناه فى تنزيله بعض الكتاب محكما و بعضه متشابها فأما التنبية على كل نوع منهما فإننا نقول و بالله التوفيق:

اعلم أنّ المحكم من الآى هو الذى لا- يحتمل إلا- معنى واحدا فيوافق ظاهره باطنه إذا تأوّل كأنه أحكم أمره و منع متدبره من تسليط الشبّهه عليه كما منع هو فى نفسه من أن يتورده الاحتمال، و أصل الأحكام المنع. و منه حكمه الدابه فإن قيل: إنّ الله تعالى قد وصف آيات القرآن كلّها بمثل هذه الصفه لأنه قال تعالى: الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [سوره هود، الآية: ١] و إذا كان كذلك فالمتشابهه محكم أيضا و يؤدّى ظاهر الآيتين إلى تناقض قلت: إنّ قوله: أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ معناه أتقنت و أتى بها على حدّ من الوثاقه فى النّظم و الإصابه فى المواضيع لا- يتخلّلها اختلال، و هذا كما يقال للبناء الوثيق محكم. و قد قال الله تعالى فى موضع آخر: الر تَلْعَكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [سوره يونس، الآية: ١] فجعل الكتاب حكيما بما تضمّنه من الحكمه و إذا وضح ذلك فقد سلم ما قلناه و لم يحصل بحمد الله تناقض، و يشهد لما تأوّلنا عليه المحكم أنه جعل فى مقابله المتشابهه.

و جوّز بعض المتأوّلين أن يكون معنى أحكمت آياته أجملت من حيث جاء بعده، ثم فصّلت إذ كان الإجمال و التفصيل يتعاقبان، و هذا الذى قاله لا يعرف فى اللغه، و المتشابهه هو الذى دخل فى شبهه غيره فيعتوره تأويلات أو أكثر، و من شرطه أن يرد إلى المحكم فيقضى به عليه، لهذا قال تعالى فى صفه ثمر الجنه: وَ أَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا [سوره البقره، الآية: ٢٥] فقيل المعنى يشبه بعضه بعضا فى الجوده و الحسن. و قال المفسرون: يشبه بعضه بعضا فى الصوره و مختلف الطعوم و قد وصف تعالى الكتاب كله بالمتشابهه كما وصفه بالحكيم، و كما وصف آيه بالإحكام فقال: كتابا متشابها و المعنى يصدّق بعضه بعضا فلا يختلف و لا يتناقض. و قل علىّ لابن عباس حين وجّه به إلى الشراه(١) قبل القتال لا تناظروهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه، و لكن ناظروهم بالسّنه فإنهم لا يكذبون عليها فقوله:

حمّال أى: يحمل عليه كل تأويل، و هذا يترجم عن معنى المتشابهه و مثال المحكم نحو قوله تعالى: اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [سوره النحل، الآية: ١٢٥] و كقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبُغْيِ [سوره النحل، الآية: ٩٠].

فأما وجوه المتشابهه فمختلفه، (منها) اتّفاق اللفظين مع تنافى المعنيين فى ظاهر آيتين كقوله تعالى: هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ [سوره فاطر، الآية: ٣] فهذا محكم لفظه استفهام

١- قال فى القاموس: الشراه الخوارج، و الجبل و الطّريق و جبل بنجد لطيّ.

و معناه نفى، و المراد لا- منشىء إلا- الله. ثم قال تعالى فى موضع آخر: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [سوره المؤمنون، الآية: ١٤] فقلنا الخلق فى كلامهم يكون الإنشاء و يكون التقدير يقال: خلقت الأديم إذا قدرته قال: و لأنت تعزى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يعزى، و الآية الثافيه تقضى على المثبتة بأن الخلق يكون فيه التقدير لا غير لأن الذى يخلص لله تعالى من معنى الخلق فلا- يشارك فيه هو الإنشاء و مثله قوله تعالى: وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ [سوره محمد، الآية: ١١] مع قوله تعالى: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ [سوره يونس، الآية: ٣٠] لأنّ المولى فى اللغة يقع على السيد و العبد و المعتق و الولى و الناصر و ابن العم، فمعنى لا مولى لهم: لا ناصر، و لا ولى و معنى مولاهم الحق الإله و السيد الذى لا شك فيه يوم يكون الحكم و الأمر له و هذا بين. (و منها): التنافى بين المعنيين فى ظاهر آيتين و إن لم يكن عن اتفاق لفظين مثل قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ [سوره الزلزله، الآية: ٦] مع قوله تعالى: وَ نَفِخْ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا [سوره الكهف، الآية: ٩٩] و هاتان حالتان إحداهما حاله الورود و هى عند البعث و النشور، و الأخرى حاله الصّيدور و الانسياق إلى المعد من الثواب و العقاب، و هذا معنى ليروا أعمالهم فالمحكمه التى يرد إليها يصدر الناس أشتاتاً قوله تعالى: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ [سوره الروم، الآية: ١٤] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضِهِ يُحْبَرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ [سوره الروم، الآية: ١٥-١٦] و هذا واضح و مثله قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ [سوره النمل، الآية: ٨٣] أى يدفعون و يستعجلون مع قوله تعالى: وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [سوره مريم، الآية: ٩٥] و معنى فرداً لا- عدد معه و لا عضد و لا عدّه و لا ذخيره و المحكمه التى ترد إليه هذه قوله تعالى: وَ نَرِيهِ مَا يَقُولُ وَ يَأْتِينَا فَرْدًا [سوره مريم، الآية: ٨٠] و إذا كان كذلك انتفى التشابه.

و منها استغلاق الآية فى نفسها و بعدها باشتباهها عن وضوح المراد منها و من جعل وجه التشابه هذا و ما يجرى مجراه استدلال بقوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ [سوره آل عمران، الآية: ٧] و جعل وجه الأحكام ظهور المعنى و تساوى السامعين فى إدراك فهمه و لذلك مثل كثير من أهل العلم المحكمات بالآى الثلاث التى فى آخر الأنعام و هى قوله تعالى:

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَالِيكُمْ [سوره الأنعام، الآية: ١٥١] إِلَى ذَلِكَمْ وَ صَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [سوره الأنعام، الآية: ١٥٣]، و المتشابهات بقوله تعالى: الم*، و الر*، و كهيعص، و طه و ما أشبهها. و منها ألا يعلم السبب الذى نزلت الآية فيه على كنهه و حقه لاختلاف قديم يحصل فيه بين الرّواه، و ادعاء بعضهم النسخ فيه و لغرابه القصه و قلّه البلوى بمثلها و الصواب عندى فى مثل هذا أن يؤثر ما يكون لفظه الكتاب أشهد له و ادعى إليه،

و مثاله قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ [سوره المائده، الآية: ١٠٦] إِلَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمِعُوا [سوره التغابن، الآية: ١٦].

و منها أن يروى فى تفسير الآية عن طرق كثيره و عن رجال ثقات عند نقاد الآثار و رواتها، أخبار يختلف فى أنفسها و لا يتفق و لا- يستجاز مخرها أو يستبعد، ثم تجد إذا عرضتها على ظاهر الكتاب لا تلائم من أكثر جوانبها و لا توافقه و ذلك مثل قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا [سوره الأعراف، الآية: ١٨٩] إِلَى فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [سوره الأعراف، الآية: ١٩٠] و مثل قوله تعالى:

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [سوره الأعراف، الآية: ١٧٢] إِلَى أَفْتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [سوره الأعراف، الآية: ١٧٣] و الوجه فى الآيتين و أشباههما عندى أن يراعى لفظ الكتاب بعد الإيمان به و يبدل المجهود فى انتزاع ما يتفق فيه أكثر الرواه من جهة الأخبار المرويه و ما هو أشبه بالقصه، و أقرب فى التدين، ثم يفسر تفسيراً قصد لا يخرج فيه عن قصه الزوايه و اللفظ و لا يترك الاستسلام بينهما للجواز و الانقياد للاستبشار لما عرف من مصالحنا فيما يمنعنا علمه أو يقنعنا عليه ألا ترى قوله تعالى فيما استأثر بعلمه: يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [سوره الإسراء، الآية: ٨٥] و قوله: وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا [سوره الأعراف، الآية: ٨] بعد قوله تعالى: لَوْ أَحَ لَلْبَشَرِ [سوره المدثر، الآية: ٢٩] عَلَيْهَا تَشِيْعَهَ عَشْرَ [سوره المدثر، الآية: ٣٠] و مثل هذا الاستبشار ما فعل الله من الصِّرفه ببعقوب و بنيه حين انطوى عليهم خبر يوسف و كان بينه و بينهم من المسافه ما كان بينهم. و يشبهه الصِّرفه التى ذكرناها ما يفعل الله من سلب الانبساط من الكفَّار فيكون ذلك سبباً للتسلى فيما يتلون به من العقاب و ذلك قوله تعالى: وَ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ [سوره الزخرف، الآية: ٣٩].

و منها الالتباس حال التاريخ أو ما يجرى مجراه فى آيتين تتعارضان أو آيه و خبر فتختلف فى النَّاسخه منهما و القاضيه على الأخرى و ذلك كما روى عن مجاهد فى قوله تعالى: وَ أَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ [سوره المائده، الآية: ٤٩] و هو أمر بالحكم فنسخت ما قبلها و هو: فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ [سوره المائده، الآية: ٤٢] و هو تخير. و روى السدى عن عكرمه فى قوله تعالى: فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ [سوره المائده، الآية: ٤٢] قال نسختها: وَ أَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ [سوره المائده، الآية: ٤٩] و هذا قول أهل العراق و يرون النظر فى أحكامهم إذا اختصموا إلى قضاء المسلمين و الأئمه، و لما روى من رجم النبى صلى الله عليه و سلم اليهوديه و اليهود، و أما أهل الحجاز فلا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون

إلى أنهم قد صولحوا على شركهم و هو من أعظم الحدود التي يأبون و يتأولون في رجم النبي صلى الله عليه و سلم اليهوديين على أن ذلك كان قبل أن يؤخذ منهم الجزية و المقاره على شركهم و في هذا القدر بلاغ للمتأمل.

فأما الكلام في المعرفة بالله تعالى و وجوبها و بيان فساد قول القائلين بالإلهام فإننا نذكر طرفا منه و نقول: اختلف الناس في ذلك فزعم قوم أن المعرفة لا يجب على العاقل القادر و أنها تحدث بإلهام الله تعالى و كل من لم يلهمه الله المعرفة به فلا حجه عليه و لا يجب عليه و قالوا: إن الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكونوا كفارا و إنما قتلوا على سبيل المحنة، كما يقتل التائب و الطفل و لا يجب عليهم عقاب لأن الله تعالى لا يجوز أن يغضب و على من لم يرد إغضابه.

و قال الجاحظ: إن المعرفة غير واجبه و لكنّها تحدث بالطبع عند النظر، و قال: إن الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم كانوا عارفين بالله معاندين و احتج بقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ [سوره النمل، الآية: ١٤] و قال لا يأخذ الله الإنسان بما لم يعلم و لا- بما أخطأ فيه أ لا تراه يقول تعالى: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ [سوره البقره، الآية: ٢٢٥] و استدلوا على صحه مذهبهم بأن قالوا إن الاعتقاد لا يعلم أنه حسن أو قبيح حتى يعلم أنه علم أو ليس بعلم فإذا علم أنه علم فقد علم المعلوم لأن العلم بالعلم علما هو علم بالمعلوم فإذا علم المعلوم فقد استغنى عن اكتساب العلم به و إن كان لا يعلم أنه علم فإذا لا يجب على هذا الإنسان فعل ما لا يأمن أن يكون قبحا.

و قال أكثر أهل العلم إن المعرفة واجبه و هي من فعل الإنسان و إن أول المعرفة يقع متولدا عن النظر و لا يجوز أن يقع مباشرة ثم ما بعد ذلك لا يجوز أن يقع مباشرة و أن كل من أكمل الله عقله و عرفه حسن الحسن و قبح القبيح فلا بد من أن يوجب عليه المعرفة به، و أن يكلفه فعل الحسن و ترك القبيح و بعضهم يضيف إلى هذه الجملة و قد جعل شهوته فيما قبحه في عقله و نفور نفسه عما حسنه في عقله.

و يستدل على وجوب معرفه الله فإنه لا يخلو من أن يكون قد كلفنا الله لحسنها و قبح الذهاب عنها أو لم يكلفنا و تركنا مهملين، فإن كان قد كلفنا فهو الذي يزيد، و إن كان تركنا سدى فإن الإهمال لا يجوز عليه. و يقال أيضا: نحن نرى على أنفسنا آثار نعم، و نعلم وجوب شكر المنعم، فإذا يجب أن نعرف المنعم لنشكره.

و اعلم أن المعجز هو ما لا يقدر عليه في صفته أو في جنسه، فأما لا يقدر عليه في جنسه فهو مثل إحياء الموتى و أمّا ما لا يقدر عليه في صفته فهو فلق البحر. لأننا نقدر على تفريق

الأجسام المؤتلفه، و لكن على تلك الصِّفه و تلك الحاله لا نقدر عليه، فأما الخبر عن الغيوب فليس بمعجز و لا وقوع المخبر على ما أخبر به معجز إذ يجوز على الخبر عن الغيب أن يكون صدقا أو كذبا و إذ قد ثبت أن يخبر الإنسان عن الشئ ء أنه يكون فيكون و ليس يعلم في حال الخبر أنّ المخبر به يقع على ما أخبر به عنه و لا يعلم أنه معجز و إنّما العلم بأنّ الشئ ء يكون قبل أن يكون يعجز بلى من سمع النبي صلى الله عليه و سلم يذكر أنه سيكون كذا و كذا و يخبر عن الغيب ثم يبقى إلى الحاله يكون فيها ما ذكره فحينئذ يكون ذلك دلاله و حجه عليه، فأما من لم يبق إلى تلك الحاله فهو ليس تقوم عليه الحجّه في وقت الإخبار و لا يصح الاستدلال بذلك بل يجب أن يدلّه الله بدليل آخر.

فإن قال قائل: كيف يصحّ أن يكون انقضا الكواكب رجما للشياطين و لا يخلو من أن يكون الذى يرمى به الشيطان ليحرقه كوكب فيجب أن يفارق مكانه و ينقص من عدد الكواكب و قد علمنا منذ عهدت الدنيا لم تنقص و لم ترد أو يكون الذى يرمى به شعاعا يحدث من احتكاك الكواكب و اصطكاك بعضها ببعض فيفصل ذلك الشعاع من الكواكب و يتصل بالجنى حتى يحرقه، إذ لو لم يتصل به لم يحترق و هذا أيضا لا يجوز لأنّ الكواكب لا تحتك. قيل له: إنّ كل ما ذكرت غير ممتنع قد يجوز أن يكون هناك كواكب لا تلحقها العين لصغرهما كما قال قوم فى المجره إنها كلها كواكب و لا تبين، فيجوز أن يحتك بخاران عظيمان فيحدث الشعاع و يحترق الجنى، و كلّ ذلك ليس بمستنكر و على هذا جاء فى القرآن.

و أما انشقاق القمر فإنّ الجاحظ كان ينفيه و يقول: لم يتواتر الخبر به و يقول أيضا لو انشق حتى صار بعضه فى جبل أبى قبيس لوجب أن نختلف التقويمات بالزيجات لأنه قد علم سيره فى كلّ يوم و ليله، فلو انشق القمر لكان وقت انشقاقه لا يسير، فأما قوله تعالى:

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ [سوره القمر، الآية: ١] فإنّما معناه سينشقّ و نحن نثبتته و نقول:

يكون ذلك دليلا خصّ به عبد الله بن مسعود رضى الله عنه و أنّ سائر الناس لم يردّه لأنّ الله حال بينهم و بين رؤيته بغمامه أو غيرها و يجوز أن يكون غير عبد الله رآه، فاقصر فى نقله على روايه عبد الله و على ما نطق به القرآن من ذكره.

فصل الاستدلال بالشاهد على الغائب

لأنّه الأصل فى معرفه التوحيد، و حدوث الأجسام و صدق الرّسل. قال الله تعالى:

الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [سوره البقره، الآية: ١-٣] قيل معناه يؤمنون بما غاب عنهم من أمر الآخرة و قيل: يؤمنون بما غاب من

البعث و النشور، و أخبرهم به النبي. و قيل: المراد يؤمنون بالله و رسوله و ما أنزل إليه، يظهر الغيب لا كالمناقين الذين يقولون للمؤمنين إنا معكم، و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم، إنما نحن مستهزئون، و مثله قوله تعالى: ذَلِكَ لِيُعَلِّمَ أَنَّى لَمْ أَخْتَهُ بِالْغَيْبِ [سوره يوسف، الآية: ٥٢] و قوله تعالى: الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ* [سوره الأنبياء، الآية: ٤٩].

و اعلم أن من لا يفعل ذلك لم يجر له أن يعرف شيئا إلا من جهة المشاهده أو ببداهه العقل، أو بخبر ممن شاهده و لو كان كذلك لسقط الاستدلال و النظر، و لما جاز أن يعرف الله و لا حدوث الأجسام، و لا صدق الرسل فيما أتت به من عند الله، لأنه يجوز أن يعرف الله بالمشاهده و لا ببداهه العقل لأنه لا يشاهد، و لأنه لو عرف ببداهه العقل لاستوى العقلاء في معرفته، فوجب بهذا أن لا يعرف الله إلا بدلاله المشاهده، و كذلك حدوث الأجسام، و لسنا نريد باستشهاد الشاهد أن يستدل به على ما لم نشاهده إلا بأن نشاهد نظيره، و مثله ألا ترى أنا لو شاهدنا في هذا البلد إنسانا لم نعرف بذلك أن في غير هذا البلد إنسانا آخر من غير أن نشاهده، و لكن هو أنا إذا وجدنا الجسم في الشاهد إنما كان متحركا لوجود حركته، ثم وجدنا حركته لا توجد إلا فيه، و متى بطلت حركته لم يكن متحركا دلنا ذلك على أن كل جسم متحرك فيما لم نشاهده لم يكن متحركا إلا لوجود حركته، و لا توجد حركته إلا فيه، و متى بطلت حركته لم يكن متحركا؛ لأنه لو جاز أن يكون متحركا في الغائب مع عدم حركته لجاز في الشاهد مثله، و كذلك إذا وجد الجسم في الشاهد إنما كان جسما لأنه طويل عريض عميق و متى عدم طوله أو عرضه أو عمقه لم يكن جسما لزمه أن يعلم بدلاله الشاهد أن الجسم الغائب إنما كان جسما لمثل ذلك.

و كذلك إذا وجد الجسم في الشاهد لا يكون في مكانين في وقت واحد لأن وجوده في أحد المكانين ينافي وجوده في المكان الآخر كان علينا أن نجرى القضييه في الغائب على حده. و كذلك القول في امتناع اجتماع الضدين، و الحركة و السكون و السواد و البياض، و الاجتماع و الافتراق بحسب أن يراعى حالها في الشاهد فيحمل الغائب عليها و إذا كان الأمر كذلك و جب أيضا أن يكون إذا وجدنا الفعل في الشاهد لا يوجد إلا من فاعل، و لا يحصل موجود إلا بفعله له، ثم وجدنا فعلا لم نشاهد له فاعلا أن نعلم بدلاله الشاهد أن له فاعلا و إن كنا لم نشاهده، و لا يجب إذا لم نجد إلا أجناسا من الأشياء أن لا يثبت في الغائب خلافا لما شاهدنا، لأن الأعمى الذي لم يشاهد الألوان قط لا يجوز له أن يثبت شيئا إلا من جنس ما شاهده بسائر جوارحه، إذ قد ثبت الألوان التي هي خلاف جميع ما شاهده، و إن كان هو لم يشاهد و كذلك الحياه و القدره و العلم لا يشاهد و لا شوهده نظائرها و لا يجب مع ذلك أن لا نثبتها مع وضوح الأدله عليها فلم يجب علينا لمن أراد منا نفى القديم إذ كنا لم

نشاهد له مثلاً و لا نظيراً أن نفيه من أجل ذلك إذ كان يجوز أن تثبت بالأدلة ما لا نظير له كما مثلناه.

و إنما يجب تكذيب من وصف الغائب لصفه الشاهد ثم أزال عنه المعنى الذى استحقَّ الشاهد به تلك الصفه، فأما متى أثبت فى الغائب شيئاً مثبتاً من غير أن يكون بصفه المشاهد الذى وجبت له هذه الصِّفه لعلّه، و قال مع ذلك: إنه غير مثبت لما شوهد لم يجر أن نبطل قوله بما شاهدنا، إذ كان يجوز أن يكون ما ادّعاه خلافاً لما شاهدناه، كما لم يكن للأعمى إنكار الألوان إذا أخبرناه بها من حيث كانت مخالفه لما شاهدته بسائر جوارحه، و لم يكن لأحد أن ينكر الحياه و القدره لأنهما خلاف ما شاهدته، و لكن يجب أن يطالب بالدّلاله على صحّه الدّعوى، فإذا ثبتت ثبت مدلولهما، و إلا سقطت الدعوى، و هذا أصل القول فى استشهاد الشاهد على الغائب فاعلمه.

فصل فى أسماء الله و صفاته و أحكامه (و بيان الأصوات كيف تكون حروفاً، و الحروف كيف تصير كلاماً)

اعلم أنّ الأصوات جنس من الأعراض تحته أنواع تعلم، فإذا توالى حدودها منقطعه بمخارج الفم و ما يجرى مجراها سمّيت حروفاً، لذلك قيل: الكلام (مهمل) و (مستعمل).

(فالمستعمل) ما تناولته المواضعه أو ما يجرى مجراها من توقيف حكيم، فجعل عبارته عن الأعيان أنفسها و عنها بأحوالها. (و المهمل) ما خالف ذلك، و إنما قلنا هذا لأنّ جنس الصّوت لا يقتضى كونه حرفاً و لا كلاماً متى لم تطرأ المواضعه عليها، و ما جرى مجراها، و المواضعه لا تصح إلا مع القصد إليها لذلك قيل: ما ينقسم إليه الكلام من الخبر و الأمر و النهى و الاستخبار لا يكاد يحصل مفيد إلا بإرادته غير القصد إلى المواضعه، لهذا متى ورد الكلام من سفيه لم يفد السامع شيئاً، كما يفيد إذا ورد من الحكيم على المخاطب العارف بالمواضعات لما تعذرت معرفه قصده و صار الصّيدق و الكذب يستوى حالتهما و تقام صور أنواع الكلام بعضها مقام الآخر حتى يوجب ذلك التوقف عن قبول الأخبار و ترك القطع على ما يسمع منها إلا مع البينه.

و اعلم أن الحاجه إلى المواضعه بالأصوات هى البيان عن المراد لما كان الكلام المستعمل تنبها عليه، فلذلك يستغنى الحكيم فيما عرف مراده عن الخطاب إلا عند كونه لطفاً فى فعل المراد و متى أمكنه بالإشاره و الإيماء بيان غرضه عدل عن الخطاب إلا أن يكون لطفاً كما ذكرناه. و لما كان الأمر على ذلك اختلفت العبارات لاختلاف المراد و احتيج إلى التبين بعد ذلك، إذ كان الكلام بنفسه لا يدل على ما وضع له و لا بالمواضعه أو التوقيف.

فإن قيل: فما الفرق بين (المهمل) و (المستعمل)؟ حينئذ قلت: الفرق بينهما أنّ الحكيم متى تكلم بكلام مستعمل صحّ أن يعرف السامع لكلامه مراده بما يقارنه من الدليل غير الكلام، و متى تكلم بكلام مهمل لم يجر أن يعلم مراده و إن قارنه ما قارنه و كان وجوده و عدمه بمنزله، و لو كان الكلام دليلا يجوز الاستطراق منه إلى ما وضع له قبلها، لأن الدلالة لا تحتاج في كونها دلالة يجوز الاستطراق منها إلى مدلولها إلى المواضعه و إنما يحتاج في تسميتها دلالة إلى المواضعه لأنهم يسمونها دلالة إذا أراد فاعلها عند فعلها الاستطراق منها إليه و لذلك لا يجوز أن يسمّى فعل اللص دلالة عليه، و كذلك فعل البهيمه، و إن جاز الاستطراق منها إليه، و لهذا جاز أن يعرف الله بدلائله من لا يعرف شيئا من المواضعات.

و اعلم أنّ الكلام لثمة وضع للإبانه عن مراد المخاطب للمخاطب، لأنّ الغرض فيه إعلامه حدوث الشئ ء إذ إعلامه أنّه يريد منه إحداثه أو إعلامه أنه يكره منه إحداثه، و الحدوث لا يكون إلا للدوات و لم يكن بدّ من إعلامه العبارات عن ذوات الأشياء ليجوز منه أن يفرق الحدوث بها على وجه المراد انقسم الكلام أربعة أقسام:

الأول: عبارته عن الأعيان أنفسها و هي الأسماء.

الثاني: عبارته عن حدوث الشئ ء و هو الخبر عنه.

الثالث: عبارته عن إرادته إحداثه و هي الأمر به.

الرابع: عبارته عن كراهيته إحداثه و هي النهى عنه.

و الأسماء على ضربين:

الضرب الأول: اسم وضع لتعريف المسمّى به و ليكون علما له دون غيره فيقوم مقام الإشاره إليه عند غيبته، أو لاشتمالها عليه، و يسمّى هذا الضرب لقباً و لا يفيد في المسمّى به شيئا و لذلك لا يدخله الحقيقه و المجاز إذ كان لا يتعلّق بفعله و لا بحاله و لا بشئ ء، مما يحلّه أو يحلّ بعضه، و لا يوجب الاشتراك فيها اشتراكا في غيرها كما لا يوجب الاشتراك في غيرها اشتراكا فيها و قال بعضهم هذا القبيل ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وضع تعريفا لآحاد الأشخاص كزيد و عمرو.

القسم الثاني: وضع تعريفا لآحاد أجمل الأشخاص و ليقوم مقام تعداد ذكر جميعها كقولك: إنسان و أسد و حمار و طائر، و لذلك لا يتعلّق بشئ ء من أوصافها و لا بما يحلّها، و يوجب الاشتراك فيها اشتراكا في الصورة دون غيرها و تسميه أهل اللغه الجسم جسما من هذا لأنه وجب له هيئته و تركيبه و لذلك لم يجر إجراءه على الله تعالى.

القسم الثالث: وضع تعريفا لآحاد جمل الأجناس المختلفه المشتركه فى باب التعلق بغيرها على وجه واحد، ليقوم مقام ذكر جميع الأجناس الداخلة تحتها، وهذا كاللون والكون والاعتقاد والسيهه و ما يجرى مجراها، وهذا النوع يسمى جنس الفعل و يلزم الاشتراك فيها اشتراكا فى نوعيتها.

الضرب الثانى: على وجهين:

الوجه الأول: اسم على المسمى به تعريفا لجنسه و للتمييز بينه و بين ما خالفه و إن شاركه فى التسميه غيره من طريق القياس لاشتراكهما فى الفئده، و رسم بأنه اسم جنس لما كانت المسميات به أعدادا كثيره مماثله و هذا كالسواد و البياض و الحمره و الخضره و الحلاوه و ما جرى مجراها، يوجب مماثله الموصوفين بها فلذلك استحال اشتراك المختلفين بالذوات فى اشتقاق الوصف بها.

النوع الثانى: اسم جرى على المسمى ليفيد فيه ما يفارق به غيره مما لم يشاركه فيه من غير أن يكون افتراقهم فى الوصف موجبا لمخالفتهم كما لم يوجب اشتراكهم فى ذلك مما يليهم فى اللفظ بل فى المعنى أوجب ذلك لكونه جواهر و رسم بأنه صفه، و إذا قصد به الإكرام فى التعلق قيل: إنها مدح كما إذا قصد بها الاستخفاف قيل إنها ذم، إذ كانت لا تخلو من الحسن أو القبح و هى على وجوه:

الوجه الأول: صفه تفيد فى الموصوف معنى حالا فيه و ذلك كقولك: متحرك و ساكن، و أسود و أبيض، و حلو و حامض، و رسمت هذه الصفات المعانى لأنها علل فى إجراء الوصف على محالها من طريق الاشتقاق، فلذلك أخذ الاسم من لفظها، و الاشتراك فى هذه الصفه يوجب الاشتراك فيما أفادته، و يقتضى مماثله الموصوفين فى المعنى لكونها جوهرا.

الوجه الثانى: صفه تفيد كون الموصوف فاعلا لمقدوره و الاسم يجرى عليه مشتقا من لفظ اسم فعله، و هذا كقولك: ضارب و شاتم و متكلم، و رسمت هذه الصفات لصفات الفعل و لا يوجب الاشتراك فى هذه الصفه تماثل الموصوفين لا بالمعنى و لا باللفظ كما أوجب فى الأولى.

الوجه الثالث: صفه تفيد الإضافه و النسبه و ذلك كقولك: هاشمى و بصرى و دار زيد، و غلام عمرو، فبإتصال الياء المشدده بالاسم صار صفه بعد أن كان علما أو غير صفه.

الوجه الرابع: صفه تفيد وجود الموصوف بها يجرى عليه هذه الصفه و يرجع إلى غيره و هذا كوصف الاعتقاد بأنه علم أو جهل، أو تقليد أو ظن. و وصف العلم بأنه غم أو سرور.

و وصف السَّيهو بأنه نسيان، و كوصف الكون بأنه حركة أو سكون، أو مجاوره أو مفارقة، و كوصف الحروف بأنَّها كلام و الكلام بأنه خبر أو أمر أو نهى. و وصف الإرادة بأنَّها عزم أو قصد أو خلق و كذلك جميع ما يجرى. و الاشتراك فى هذه الصِّفات يوجب اشتراك الموصوفين بها فيما أفادته دون غيرها مما يجرى مجرى تماثل ذواتها و اختلافها.

الوجه الخامس: صفه تفيد كون الموصوف بها على حال من الأحوال و هذا كوصف الشَّيء بأنه معدوم أو موجود، أو حى، أو قادر أو عاجز أو معتقد، أو عالم أو جاهل، أو ساه أو مرید، أو كاره أو سميع أو بصير. و على الأحوال التى إذا كان عليها إدراك المدركات يسمَّى به الشَّيء لتهياً ذكره و الإخبار عنه و هو قولهم شىء و نفس و عين و ذات. و كذلك الأسماء المضمرة و المبهمة نحو هو و أنت، و ذلك و هذا و الهاء فى ضربته و الياء فى ضربتى.

و فرقوا فى بعضها بين المذكَر و المؤنَّث و الواحد و الجمع. و هذه الصِّفات و الأسماء التى نوَّعناها و أشرنا إليها مقتصمه بين الحقيقة و المجاز، و سنبيِّن كيفية وضعها و استمرارها أو انقطاعها فى البابين إن شاء الله تعالى.

فصل آخر [فى أن اللغه لا يجوز أن يكون فيها غلط]

اعلم أن اللغه لا يجوز أن يكون فيها غلط و ذلك أنه إن كان الله تعالى واضعها على ما يذهب إليه أكثر العلماء، و على ما أخبر به عند قوله تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا [سوره البقره، الآية: ٣١] فلا يجوز أن يكون فيها غلط لأنَّ الحكيم الذى بيَّنَّها لعباده لا يجوز عليه الغلط و إن كان يجوز أن يكون قد ذهب عنهم بعض ما بينه لآدم عليه السلام و أحدثوا أبداً منه، أو زادوا عليه على حسب الدَّواعى و الحاجه، و لو كانوا فعلوا ذلك لما جاز أن يعلم أحد تغيرهم لذلك إلا بخبر من الله ينزله على نبي من أنبيائه لأنَّ اللغات لا تعرف إلا من جهه السَّمع و لا تعرف بدلاله العقل، و لو كانوا غيروها بأسرها لما أنزل الله القرآن بها على لسان محمد صلى الله عليه و سلم، و إن كان ابتداء اللغه من كلام العباد و تواضعهم على ما يقوله بعضهم فلا يجوز أن يقع فيها أيضا غلط لأنَّهم إنما سمَّوا الأشياء بأسماء جعلوها علامات لها لتعرف بها و ليكون التباين و التمايز منها، و إذا كان أصل كلامهم و لغتهم جروا فيه على ما بيَّننا فلا يجوز أن يكون فيها غلط لأنَّ الحكمة تلحقه و لا تفارقه فى الحالتين جميعا، و إذا ثبت ما بيَّننا من أمر اللغه و وجدنا انقسامها إلى الحقيقة و المجاز و الحقيقة ما وضع من الأسماء للمسميات على طريق اللزوم لها، و الاطراد فيها لأنَّها يحق لها عند التعبير عنها و أمثلتها ما قدَّمناه، و المجاز ما أجرى على الشَّيء و ليس له فى أصل الوضع، تجوزا على طريق الاستعاره، و تفاصحا منهم و افتنانا و يكون قاصرا عن الأصل و زائدا عليه و مماثلا له، و كيف اتَّفَق يكون

مستفاده أبلغ من مستفاد الحقيقة و لذلك عدل إليه نظرنا فوجدنا طريق استحقاق الموصوفين من وجوه أربعة:

الوجه الأول: طريق الاختصاص والاستبداد و هو المرسوم لصفات النفس ليفيد في الموصوف أنها مستبد بها، و مستغن بكونه عليها عن غيره و أنه مختص بها من غير أن يجعل نفسه كالعلة الموجبه للعلل، و لا قائمه مقامها و هذا كوصف المحدث بأنه موجود و حى و قادر و عالم و سميع و بصير و ما جرى مجراها، و لذلك رسمت بصفات التوحيد لما توحد الله بطريق استحقاقها فلم يشاركه فيها غيره مع جواز وصفهم بها لاستحقاقهم لها من غير هذا الوجه.

الوجه الثانى: طريق المعانى الموجبه لها و هو المرسوم بصفات العلل ليفيد في الموصوف بها أنه مستحق لها بالعلة الموجبه له عند تعلقها به دون غيره و هذا كوصف المحدث بأنه عالم و قادر و حى و سميع و بصير و وصف كل موصوف بأنه مريد و كاره، و كقولهم مشتة و نافر النفس و ما شاكل ذلك.

الوجه الثالث: من طريق القادرين و هو المرسوم بصفات الفعل ليفيد في الموصوف بها أنه مستحق لها بكون القادر قادرا عند فعله و إيجاد إياه دون غيره، و هذا كوصف المحدث بأنه موجود لما كان معدوما و مقدر القادر عليه و ليس فى الأحوال ما يتعلق بالقادر غير المعدوم الموجود.

الوجه الرابع: من طريق استحاله ضدّها على الموصوف بها و رسمت بالصفات اللّازمه ليفيد فى الموصوف بها أنه مستحق لها على طريق اللّزوم له من غير أن يكون محتاجا فى ذلك إلى غير ما يوجبها له، كالعلة و ما يجرى مجراها و من غير أن يكون مختصا به كصفات النفس و هذا كوصف الشىء بأنه معدوم، و معنى المعدوم أنه لا يجوز أن يحصل له من أحكامه التى تخصه و صفاته الجائزه عليه شىء، كما أن الموجود هو الذى يكون على حاله يلزمه جميع أحكامه به و الموجبه له، فلذلك قلنا إنه لا يكون معدوما بفاعل و لا بمعنى و لا بنفسه لما لم يكن له واسطه بين الوجود و العدم، فلذلك لزمه العدم عند استحاله الوجود عليه، فأما الأوصاف التى تتعلق بالأعيان ممّا لا يكون عباره عن أحوالها بل هى إخبار عنها و عن غيرها لا اختصاصها بها فى باب الحلول أو التعلق أو ما يجرى مجراها فليس لها عله و لا ما يجرى مجراها و لا يجوز أن يكون شىء من ذلك بالفاعل.

و اعلم أنّ أعمّ الأشياء قولنا شىء لأنه يتعلّق بالمسمّى لكونه معلوما فقط و مستحيل أن يكون ذات غير معلومه أو ذات على حال غير معلومه عليها أو غير جائز أن يكونا معلومين، فإن كان العلم لا يحصل بالحال التى عليها لأن العلم بالذات هو الذى منه يصل إلى العلم

بالحال، و لذلك كان الذات لا يخلو من الوجود و العدم معا إذ لو لم يكن الذات معلومه فى العدم للقديم تعالى لم يصح منه القصد إلى اختراعها و إيجادها و ليس قولنا شىء مثل قولنا موجود، بدلاله أنك تقول هذا شىء زيد، فتضيفه و يمنع أن يقال: هذا موجود زيد، و كان يجوز أن يحد القديم بأنه الشىء لم يزل و المحدث بأنه الشىء عن أول كما يقال هو الموجود لم يزل و الموجود عن أول، و إذا كان قولنا معلوم غير متعلق بفائده فيه و إنما تتعلق فائده بغيره فالواجب أن لا يكون قولنا شىء مفيدا من هذا الوجه.

و يمكن أن يقال: إنه يفيد الذات فكل ذات يسمى شيئا و كل شىء يسمى بذات، و يمكن أن يقال أيضا إنه يفيد المعلوم، فصلا بينه و بين ما يسمى محالا كاجتماع الصدين لأن مثل ذلك لا يصح علمه، قال و ليس يخرج الذات من أن يكون على حال مع كونه عليها يجوز أن يستحق غيرها و لا- يجوز، فإن كان يجوز عبر عنها بأنها موجوده، و إن كان لا- يجوز عبر عنها بأنها معدومه، فلذلك يسمى المعدوم بالشىء كما يسمى الموجود به لما كانا معلومين فى الحالين جميعا لذلك قلنا: المراد بقولنا موجود إفاده حال من أحواله أيضا و حاله له أخرى و هى العدم. و فائده قولنا معلوم أن عالما علمه لذلك جاز أن يقال معلوم زيد للشىء الذى هو مجهول عمرو، و الحال واحده و يستحيل أن يقال للشىء إنه موجود زيد أو معدوم عمرو على الأحوال كلها.

و اعلم أن الله تعالى لما أوجب فى حكمته عند تكليف المكلفين مداواه دائهم بالرّحمه لهم و العطف عليهم و الحلم عنهم، و طلب صلاحهم من حيث لا يدرون و يؤلفهم من جانب لا يشعرون رسم لهم فى تعييدهم الرجوع إليه فى مهماتهم و سوغ لهم دعاءه فى رفع مأربهم فقال: وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا [سوره الأعراف، الآية: ١٨٠] وَ إِذَا سَأَلْتَهُ عَنِّي فَاِنِّي قَرِيبٌ [سوره البقره، الآية: ١٨٦] الآية ثم أنزل فى محكم كتابه من أسمائه ما بصرنا و هدانا و من صفاته ما قوى إيماننا و إرشادنا، لو لا ذلك و التأسي بالتبى صلى الله عليه و سلم فى أفعاله و قبول أقواله التى بها إبطال الضلال، و إذا كان كذلك فإن ما أثبتته التلاوه يضاف إليه ما دونه الزوايه عن الصّحابه و التابعين و ما عدا ذلك مما لهج به ألسنه فصحاء الأمه و الصّالحين من أهل اللغه.

فقد روى فى التفسير أن قوله تعالى: وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ [سوره الأعراف، الآية: ١٨٠] أنه تسعه و تسعون اسما من أحصاها دخل الجنة، و جاء فى الحديث أن: «اسم الله الأعظم الله» و روى أبو هريره عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «لله مائه اسم غير واحد من أحصاها دخل الجنة» فيجب أن ينظر فيه فيما سبكه التحصيل، و كما ذكرنا و ينقى من درن الغباوه و يتلقى بالقبول فيما يجوز إطلاقه على القديم تعالى، و الباقي يتوقف فيه و الوصف و الصّفه

جميعا لا يكونان إلا كلاما و قولاً فهو كالوعد و العده. و سمعت شيخنا أبا على الفارسي يقول: أسماء الله تعالى كلها صفات فى الأصل إلّا قولنا الله و السّلام لأنّ السّلام مصدر، و لفظ الله بما أحدث من صفة و لزوم الألف و اللّام له، يعدّ من الصفات فصار متبوعا لا تابعا كالألقاب يريد يتبعه الصفات و يقدم به، و معناه الذى تحق له العباده، فإذا قلنا لم يزل إليها الذى حقّ له العباده من خلقه إذ أوجدهم. و قولنا إله نكره و يجمع على الآلهه قال تعالى:

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا [سوره القصص، الآيه: ٥] و اشتقّ منه تأله الرّجل إذا تنسّك، قال:

سَبَّحَنَ وَ اسْتَرْجَعَنَ مِنْ تَأَلَّهِ لِلَّهِ دَرَّ الْغَايَاتِ الْمُبْدِرَةَ

و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم: «أن عيسى عليه السّلام قال له رجل: ما الله؟ قال: الله إله الآلهه». و روى عن ابن عباس أنه ذو الألوهيه و العبوديه على خلقه أجمعين. و روى فى قوله تعالى: وَ يَذَرُكَ وَ آلِهَتَكَ [سوره الأعراف، الآيه: ١٢٧] أنّ معناه و عبادتك، فالأصل إله حذف الهمزه منه و جعل الألف و اللّام عوضا منه لازما و أدغم فى اللّام التى هى عين الفعل، فصار الاسم بالتعويض و الإدغام مختصا بالقديم حتى كأنه ليس من الإله فى شىء، قال سيبويه: و مثله أناس و الناس يريد فى حذف الهمزه لا فى التعويض بدلاله قوله:

إِنَّ الْمَنِيَا يَطْلَعْنَ عَلَى الْإِنْسَانِ الْآمِنِيَا

فجمع بين الألف و اللّام و الهمزه، و لو كان عوضا لما جاز الجمع بينهما، و قد قيل فى قوله تعالى: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا [سوره مريم، الآيه: ٦٥] إنّ الاسم الذى لا سمى له فيه هو قول القائل: الله بهذه البنيه الصفيه، و قولهم فى صفات الفعل: يا غياث المستغيثين، و يا رجاء المرتجيين، و يا دليل المتحيرين، موضوع موضع الاسم و كلّ ذلك مجاز و توسّع، و كذلك قولنا: قديم إنما وجب له هذا لتقدمه لا إلى أول، فهو صفة لذاته و ليس ثبت بهذا معنى يسمى قدما. و قوله تعالى: كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [سوره يس، الآيه: ٣٩] و فى آخر:

هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ [سوره الأحقاف، الآيه: ١١] يراد به تقدّم له و إن كان القصد إلى المبالغه.

فإن قيل: فهل يوجب إجراء لفظ القديم على الله تعالى و على الواحد منّا كما ذكرت تشبها به؟ قلت: لا و ذلك لأنّ الله تعالى قدم و تقدّم لنفسه و المحدث يقدم بأن الفاعل فعله فى الأوقات المتقدّمه، و إذا كان كذلك فقد اختلف موجب الصّفتين فلم يجب منهما تشبيه، و على هذا قولنا: عالم فى القديم و المحدث و قادر و سميع و بصير و حى و قدير و عزيز و ملك و مالك و مليك، على أنّه لو ساعدت عبارته لكان تفرد ما يستحق للذات بعبارته تلمزه، و يخالف بها غيره و كانت الحيطه فى ذلك، لكنهم استطالوا ذلك و كان يكتفى بعلم الذات من لا يعلم حالها المختصه بها، فاقصدوا فى عبارته كما اقتصدوا فى الأخبار فى بابى التذكير

و التأنيث، فأجروا ما لا يصح وصفه بالتذكير الحقيقي و لا التأنيث الحقيقي مجرى غيره فى العبارة.

و كذلك فى الاخبار عن الله تعالى و إضمار أسمائه فى الاتصال و الانفصال إذ قلت هو و أنت و إياك و رأيتك و رأيتك و مثل ذلك اقتصادهم فى صفات ما غاب عنا من أمور الآخرة و أهوال القيامة و طى السّماوات و تبديل الأرض غير الأرض إلى غير ذلك مما أخفيت حقائقه عنا فاقصروا فى بيانها على عبارات لا تستوفىها، و على كنهها لا يؤدبها، و هى ما نستعمله إذ عبرنا عما نشاهده.

فأما الفصل بين السّامع و السّميع حتى قيل: لم يزل الله سميعا و امتنع لم يزل الله سامعا فهو أنّ السّميع لا يقتضى مسموعا فيعدى إليه و السّامع لا بدّ له من مسموع، و المسموع لا يكون مسموعا حتى يكون موجودا و ذلك يدافع قوله: لم يزل و هذا كما يقول: هو عالم و عليم فى كل حال ثم تمنع من أن يقول: لم يزل الله عالما بأنه خلق زيدا إذ كان ذلك يوجب وجود زيد فى الأزل، و على ما ذكر من الاقتصاد و الاقتصار تركوا العبارة عن أشياء و إن أدركها الفهم لقله البلوى بها و ذلك تركهم وضع فى الصناعات المستجدّه ما أحدث من الأسماء و وضع فى الشّرع أو نقل ما وضع و نقل.

و أما الأسماء المشتقة من الأعراض التى ليست مهيأت كقولهم: فاعل و محدث و عادل و جابر و صادق و كاذب و مرید و كاره فإنها لا توجب تشبها و ذلك أن الإنسان قد يكون فاعلا لفعل لا يحلى به، و الفعل لا يختلف به هيئته عند أحد ممن يدركه، (أ- لا- ترى) أنّ هيئته لا- تختلف لما يفعل فى غيره من الحركات و التآليف و الافتراق و العدل و الجور و لا الإرادة و الكراهه و لا الأمر و النّهى فلم يجب أن تكون تسميتنا بهذه الأسماء للمسمّى بها إذا استحقها تشبها له، لأنّ التّشبه فى الشاهد لا يعقل إلا من وجهين اثنين، أحدهما: اشتباه بالهيئته كالأسود و الأسود و الطويل، أو يشبهان بأنفسهما و أن يكونا من جنس واحد نحو البياض و البياض، و التّقدم و التّقدم، و التّأخر و التّأخر، و ما جرى هذا المجرى من الأجناس المتفقّه بأنفسها، فلما كانت تسميتنا بالفاعل لا توجب جنسيته و لا- هيئته لم يوجب تشبها و هذا كقولهم أمر و ناه و قائل و معلوم و مذكور، فأما رحيم و رحمن فهما من الرّحمه و بناءان للمبالغه و حقيقه الرّحمه النعمه إذا صادفت الحاجه.

و ذكر بعضهم أنّ الرّحمن هو الاسم الذى لاسم القديم سبحانه فيه و ليس كذلك لأنهم قالوا لمسيلمه رحمن، و قالوا أيضا فيه رحمن اليمامة، و ذكر بعضهم أنه لمّا سمعوا النبى صلى الله عليه و سلم يذكر الرّحمن قالت قريش: أ تدرّون ما الرّحمن؟ هو الذى كان باليمامة، و إذا كان كذلك فما بقى إلا أن يكون لفظه الله هى التى لا سمّى فيها، فإن قيل: فقد نرى الفاعل هيئته يخالف

هيئه من ليس بفاعل و القائل منا له هيئته الساكت، قيل له: لم تخالف هيئته هيئه الساكت بالقول و إنما خالفت هيئتهما بالسكون الذى فى شفتى الساكت و بالحركات التى فى لسان المتحرك، لا بالكلام، فإذا كان الله يفعل الكلام و الأمر و النهى من غير أن تحل فيه حركه صحّ أنه لا تكون تسميتنا إياه آمرا و ناهيا أو متكلما تشبيها.

و على هذا قولنا: العالم و الحى و القادر و السميع و البصير لأن شيئا من ذلك لا يوجب تجنيسا و لا تركيبا و لا هيئه، فإن قال: أ ليس العالم فى الشاهد يحل العلم فيه أو فى بعضه، و كذلك الحى فلم زعمتم أن الحيزين لا يشتبهان لحلول الحياه فيهما؟ قلت: إن الحياه ليست بهيئه لهما فيشتبهان بها عند حلولها فيهما، و لو كانا مشتبهين بسائر هيئتهما، فإن قال: فيلزمكم أن لا يكون من وصف الله تعالى بأنه يحله العلم و الحياه مشتبهها بخلقه، قيل:

ليس هو بهذا القول مشبها، و لكن بتجويزه حلول الأعراض فيه يكون مشبها لأن ذلك يرجع إلى الهيئه.

و اعلم أنّ الصفه قد تجرى على الموصوف من وجهين فى أحدهما: يجب له عن اختصاص و استبداد فيكون للذات و يقترن بما لم يزل و فى الثانى: يقصر غايته فنقف دون موقف الأول، و ذلك كقولنا: بصير و مبصر لأنهما للذات، إلّا أنّ مبصرا يتعدى إلى مبصر موجود، و لذلك لم يجز أن يقال لم يزل مبصرا، كما قيل: لم يزل بصيرا و على هذا قولك رأى يتصرف على وجهين.

فإن أريد أنه عالم قلت لم يزل الله رائيا و إن أريد أنه مبصر للمبصرات امتنع منه؛ لأنّ المرئى المدرك لا يكون إلا موجودا، و على هذا قولك الصّمد إن جعلته بمعنى السيد قلت لم يزل الله صمدا، و إن قلت هو من الصّمد إليه من العباد و القصد امتنع أن يقال لم يزل صمدا.

و مثله كريم يراد به العز فيقال: لم يزل كريما و هو أكرم على، و يراد به الإفضال فيكون من صفات الفعل، و مثله حكيم يكون بمعنى عالم فيقال لم يزل حكيم و إن أريد به أنه يحكم الفعل لحق بصفات الفعل، و الصفات المستحقه من طريق اللغه الحقيقيه و المجازيه فإنها تجرى عليه تعالى متى لم يمنع مانع من جهه العقول و الشّرع، فإن التبس الحال يختار الأكرم فالأكرم و الأبعد من التشبيه فالأبعد، و ذلك لمجانبتنا لأنّ نصفه بأنه يعقل أو يحس أو يفقه و يستبصر و يتيقن أو يظن أو يفهم أو يشعر لما تتضمنه هذه الألفاظ من الأحوال التى حصولها لا يليق بالله تعالى.

فإن قيل: هو شاهد و شاهد كل نجوى و قريب مجيب و مطلع على الصّمائير قلت:

أجرينا عليه هذه الألفاظ مجازا و توسعا و لأنها بكثره دورانها فى ألسنه السلف الصالح، و الإشاره بها إلى ما لا يخيل و لا يلتبس من القصود السليمه انتفى عنها ما يلبس غيرها من

كل موهم، و لمثل هذا أجرى قوى فى صفة مجرى القادر و امتنع فى شديد و متين و ما أشبهه من أن يجرى مجراه، فأما قوله تعالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [سوره البقره، الآيه: ١٥] و سَيَخِرُّ اللَّهُ مِنْهُمْ [سوره التوبه، الآيه: ٧٩] و ما جرى مجراه فمثله فى البلاغه يسمى المجانسه و المطابقه و هو ضرب من المجاز سَمَّى الثَّانِي فِيهِ بِالْأَوَّلِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ جَزَاؤُهُ و قد أجرى إلى مثله، و المعنى يجازيهم جزاء الاستهزاء و السخرية و نحو قوله تعالى: وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا [سوره الشورى، الآيه: ٤٠] و الثانى لا يكون سيئه.

فإن قيل: فهل يجرى التهاتف و التهكم مجرى السخرية فتجيزه عليه اتساعاً؟ قلت: لا يجوز ذلك؛ لأن المجاز لا يقاس، ألا ترى أن أرباب اللغة مجمعون على أنه لا يجوز سل الجبل، و إن جاء سل القرية، و مثل هذا قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سوره النور، الآيه: ٣٥] و امتناعنا من بعد من أن تقول الله سراج السماوات، أو شمسها أو قمرها إذ كانت المجازاه لها انتهاء تجاوزها إلى ما ورائها محذور، هذا مع توافق الصفات، فكيف إذا اختلفت؟ و يقارب هذا قولهم فى الله لطيف و رحيم، و المراد به الإنعام، ثم امتنعوا فيه من رفيق و مشفق لرجوعهما إلى رقه القلب و استيلاء الخوف، فأما الغضب و السخط و الإراده و الكراهه و الحب و البغض و الرضاء و الطالب و المدرك و المهلك فمن صفات الفعل، و الله يحدثها لا فى مكان إذ كان جميعها لا يوجب تصويراً و لا تهيئته و لا تركيباً، و إنما تفيد عقاباً للمكلفين أو إثابه أو إيجاباً لإيقاع الفعل، أو نفيها له و إذا كانت كذلك انتفت عن المحال على أنه لو أحدثها فى المحال لعادت المحال الموصوفه بها.

فإن قيل: فهل يجوز أن تقع من إرادته لا فى محل؟ قلت: لا و ذلك أن أفعالنا تقع مباشرة، أو متولده عن مباشرة، فلا بد لها من محل و أفعال الله تعالى بخلافها. فإن قيل:

هل يجوز أن يوصف الله بأنه راع، و أنه خفير، و حارس كما وصف بأنه رقيب و حافظ؟

قلت: قد جاء رعاك الله و حرسك و حاطك فى دعاء المسلمين و معانيها صحيحه، لكن بناء اسم الفاعل منها فى صفاته لم يجىء و هم يستغنون بالشىء عن شبهه فى اللغة، فيذهب عن الاستعمال و مع ذلك فوصفه يجب أن يكون كريماً، و لفظه الحارس و الراعى و الحائط ليس مما يستكرم فيقرن بيا للاختصاص، فيقال يا حارس أو يا راعى، أو يا حائط و مما ينفر منه فيترك قول القائل فى الله يا معلم و إن كان قد جاء الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ [سوره الرحمن، الآيه: ١ - ٢] لاشتهاره فى صفات المحترفين به، على أن الفرق بين ما يجعل إخباراً و بين ما يجعل خطاباً و يصدر بحرف النداء ظاهر. و إذا كان كذلك فلفظ الخطاب بيا كالمترجم عن تواضع و فاقه فيجب أن يختار معه من الصفات ما يؤكّد الحال و يحزّر السؤال و يشبه ما نحن فيه أنهم قالوا فى صفاته علام الغيوب.

ثم امتنعوا من علامه و إن كانت تاء التانيث زائده فى المبالغه لما يحصل فى اللفظ من علامه التانيث و لا تنحط رتبته عن رتبه التذكير. و لأنهم جعلوا اللفظ مؤنثا لاقتران علامه التانيث فقالوا للبيضتين الاثنيان، و وصف بعضهم المنجنيق و هو مؤنث فى اللغه فقال و كل أنثى حملت أحجارا، فأما الخفير فمعناه لا يصح على الله لأنه من الستر و منه خفرت المرأه.

و قول القائل ثابت فى صفه الله قليل الاستعمال و معناه صحيح فيه و هو الكائن الذى ليس بمنتف، و قولهم: وتر، و فرد و فذ جميعه جائز عليه لأن معناه معنى التوحيد، إلا الفذ، لأن معناه القله. و قولهم إبراهيم خليل الله فمعناه الاختصاص، و لا يقال الله خليل إبراهيم، لأنه يخص الله بشىء و لا يقاس الصديق و لا الوامق و لا العاشق على الخليل، و لا على المحب، و لا يوصف الله بالكامل، و لا الوافر لأن معناه الذى تمت أبعاضه و توفرت خصاله و لا يوصف الله بالفرح، لأن الفرحة إنما يجوز على من يجوز عليه الغم على أنه مع ذلك متناوله مذموم و ليس كالسرور. يدل على ذلك قوله تعالى: إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخَوْرٌ [سوره هود، الآية: ١٠] و مما يقل استعماله وصفه بالسار و البار، و إن كان معناهما صحيحا إذا كان تعالى يسر أولياءه و يبزهم سمعه و طوله.

فإن قيل: أفيجوز أن يقال فى الله تعالى: إنه يمكنه أن يفعل، و يستطيع أن يفعل و يطيق أن يفعل؟ قلت: كل ذلك جائز إلا قولك: يطيق أن يفعل، لأن الطاقه استفراغ الجهد فيما يقصده الإنسان و قوله تعالى: ذِي الطَّوْلِ [سوره غافر، الآية: ٣] حسن جائز لأن معنى ذو الطول و له الطول واحد فاعلمه.

و اعلم أن قول القائل: ما زال زيد يفعل كذا من العبارات الداخلة على المبتدأ و الخبر يفيد الزمان دون الحدث، و إذا كان كذلك فزيد هو الذى كان مبتدأ و هو المخبر عنه، و الخبر ما بعده، و لا يستقل بنفسه كما أن المبتدأ لا يستقل بنفسه و ما زال مثل كان و أصبح و أمسى فى أنه أفاد الزمان، إلا أنه بدخول حرف النفي عليه عاد إلى الإثبات، لأن نفي النفي إثبات، و مما صدر بحرف النفي من إخوانه ما برح و ما فتى، و ما انفك، و قال سيبويه: تقول زايته مزايله و زيالا و التزاييل تباين الشىء، و زيلت بينهم فرقت.

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: ما زال زيد يقطع الكلام به، و المراد ثبت زيد. قلت:

إن أخرجته من جمله العبارات الداخلة على المبتدأ و الخبر و جعلته فعلا- تاما يستغنى بفاعله، و يفارق ما لا يتم إلا بخبره، لم يمتنع ذلك فيه، و حينئذ يصير مثل كان الذى يفسر يحدث و جاء فى القرآن: وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ [سوره البقره، الآية: ٢٨٠] و على هذا قوله تعالى:

فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ [سوره يوسف، الآية: ٨٠] لأن تقديره لن أبرح من الأرض لأن برح لا يتعدى مثل زال، و الأرض مخصوص لا يكون ظرفا، و هذا غير المستعمل فى قولهم لم يزل

الله واحدا سميعا بصيرا، ومثله أصبح الذى يمثل باستيقظ، وأمسى الممثل بنام.

وقد فسّر سيبويه ما برح بما زال، ولم يجعله من البراح إيذانا بالفرق بين ما جعل عبارته وبين غيره، وقال تعالى: لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ [سوره طه، الآية: ٩١] و فى موضع آخر: وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ [سوره الكهف، الآية: ٦٠] والمعنى لا أزال أسير حتى أبلغ، ولو جعل من البراح لدافع قوله حتى أبلغ، لأنّ الثابت فى موضعه لا يكون متبغا، ومما يشرح هذا الذى قلناه امتناعهم من قول القائل: ما زال زيد إلا كذا حتى ردّوا على ذى الرّمه قوله:

حراجيح (١) ما تنفك إلا مناخه

على الخف أو ترمى بها بلدا قفرا

وقالوا الاستثناء ممتنع هنا وإنّما هو حراجيح ما ينفك مناخه أى لا يزال شخوصا مجهوده، وحمل إلا على الكثرة والجنس، ومنهم من قال: ما تنفك من قولهم فككته فانفكّ كأنه يخرج من أن يكون مما يدخل على المبتدأ والخبر، ويجعله مستقلا بفاعله مثل كان التامه، ويكون المعنى لا ينخل قواه إلا فى هذه الحاله وعلى هذا ما فتى وفى القرآن:

تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ [سوره يوسف، الآية: ٨٥] أى لا تفتنوا ولا تزال.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن يوصف الله تعالى بأنه ذخر وسند؟ قلت: هذا لا يكون إلا مجازا وما لا يجب من جهة الحقيقه لا يجوز عندنا وصف القديم به إلا إذا كثر فى كلام أهل الدين وأخبار أرباب اللغه فيصير تبعا فيه لهم، وذلك أنّ الذخر ما يذخره الإنسان ويحرضه لنفسه وليوم حاجته، ويكون فى الوقت كالمستغنى عنه فيقال: أذخر هذا لطوارق الزمان ونوائب الدهر والأيام وعلى هذه الطريقه لا يجوز ذلك على الله لأنّ الحاجه إليه دائمه فهذا فى الذخر وكذلك السند فى الحقيقه هو ما أسند الإنسان إليه ظهره والله متعال عن هذه الصفه. فإن قيل: فهل يجوز أن يوصف الله بأنه نجى وولى؟ قلت: النجى فعيل ويراد به الذى ينجى، ووصف به الجمع فى قوله تعالى: خَلَصُوا نَجِيًّا [سوره يوسف، الآية: ٨٠] وإن كان على لفظ الواحد كما جاء فعول فى قوله تعالى: عِدُّوْ لِي * [سوره طه، الآية: ٣٩] وإذا كان كذلك فليس هو كالنكير والتذير لأنهما مصدران، ولكنه بمنزله العلى والولى ونحوه مما يكون، والوالى والولى بمعنى واحد، قال تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا [سوره البقره، الآية: ٢٥٧] وقال تعالى: مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ [سوره الرعد، الآية: ١١]، وكذلك النجى ومثله الصديق والخليط فى أنه بلفظ الواحد ووصف به الجمع، وقوله: إني إذا ما القوم كانوا أنجيه. فأنجيه كقولهم كثيب وأكثبه ورغيف وأرغفه شبه الصفه بالاسم فكسرت تكسيره

وقوله تعالى: وَإِذْ هُمْ نَجْوَى [سوره الإسراء، الآية: ٤٧] وصف بالمصدر كما وصف بالعدل والرضى، وإذا كان الكلام بيانا عن المعانى فعلى المتكلم أن يبين المعانى التى يخبر عنها بكلامه وإلا كان بمنزله من يلغز ويعمى كلامه لئلا يفهم، وفاعل هذا مختار عابث فأما قولنا: وكيل علينا أى متول لأمرنا وقائم، بحفظنا ونصرتنا، ولا يجوز أن يقال: وكيل لنا لأنّ الوكيل لنا هو النائب عنّا وخليفتنا فيما يليه لنا فأما قولنا: توكلنا على الله، فليس من الوكاله فى شىء وإنما معنى يتوكل يلتجئ ويعتمد وإذا كان كذلك فإننا نقول: الله وكيل علينا، ولا نقول: متوكل علينا.

فإن قيل: كيف جاز مجىء تفعل و تفاعل فى صفاته ومما من أبنيه التكلف والتكلف لا تجيزه على الله. قلت: قوله المتكبر والكبير المتعالى فى صفاته كالكبير والعالى والمباني كما يتفرد بالمعانى أو يكثر مجيئها لها فإنها قد تتداخل وتتشارك حتى لا تمايز ولا تباين، وإذا كان كذلك فقول القائل تعالى وتعالى وعلا بمعنى واحد قال: (تعالى الذى فى منته وتحدرا) بمعنى علا وحدر وقال شعرا:

و مستعجب مما يرى من إنا تناو لو زينه الحرب لم يترمرم

بمعنى عجب. وقال أوس:

وقد أكلت أظفاره الصخر كلما تعايا عليه طول مرقى توصلا

بمعنى أعياء، وهذا كثير ظاهر فاعلمه. ومنه قوله تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ [سوره الأعراف، الآية: ١٦٧] بمعنى آذن. واعلم وقد انتهى هذا الباب وكمل بما ضم إليه من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها، جامعا إلى الوفاء بما وعدته ومجيئه على المثال الذى خططته، أنى لم آل جهدا فى اختيار ما كانت الحاجه إلى بيانها أمس، والنفس إلى تبيينها أتوق، حتى بلغ حدا يمكن الاستعانه به، مع أدنى تأمل على فتح كثير مما يستغلق من نظرائه، وكل ذلك بعون الله وحسن توفيقه، وأنا الآن مشغول بالباب الثانى والكلام فى حقيقه الزمان والمكان، والرّد على من تكلم بغير الحق فيهما والله بحوله وقوته يعين على بلوغ ما نعرب منه وهو حسنا ونعم الوكيل.

الباب الثاني في ذكر أسماء ومعان للزّمان والمكان

إشاره

و متى تسمّى ظروفًا، و معنى قول النّحويين الزّمان ظرف للأفعال، و الرّد على من قال في بيانهما بغير الحق من الأوائل و الأواخر. و هذا الباب يشتمل على ما ذكر ماهيه الزّمان و المكان و حكاية أقوال الأوائل فيهما، محقّقهم و مبطلهم و إبطال الفاسد منها و ما يتعلق بذلك و فصوله أربعة:

فصل [في أن أسماء الزّمان و المكان إنما تسمّى ظروفًا إذا كانت محتويه لما هي ظروف لها]

اعلم أن أسماء الزّمان و المكان إنما تسمّى ظروفًا إذا كانت محتويه لما هي ظروف لها فإن لم تكن محتويه فليست بظروف، بل هي أسماء تبيّن ما وقعت عليه من غيره كسائر الأسماء، كقولك: مكانكم طيب، و خلفك واسع، و أمامك الصحراء، و يوم الجمعة مبارك، و شهر رمضان شهر طاعه و إنابه، فإنما هذا كقولك: عبد الله كريم، و زيد مبارك، و موضع كونها ظروفًا أن تقول: سرت يوم الجمعة و ضربت زيدا يوم السبت، فالיום مفعول فيه.

و سنذكر قطعه واسععه من الأزمنه تأتيا بأسمائها إلى أن نتمكن من شرح جملها و تفاصيلها، و نأتى على حقها و حقيقتها و يندس في أثنائها الكثير من مبهمات الأمكنه لأنها هي التي تكون ظروفًا دون محدوداتها، و اتّسع باب الأزمان، لأنّ الأحداث انقسمت بانقسامها فهي تتضمنها دون الجثث و الأشخاص، و لذلك قال سيبويه: المكان أشبه بالأناسي فلها صور تثبت عليها و حدود تنتهي إليها و تتباين بها.

فمن أسماء الزّمان: اليوم و الليله و البارحة الأولى و أمس و أول من أمس، و أول من أول من أمس، و إذ مضافه إلى جمله كالفاعل و الفاعل و الابتداء و الخبر و قط و عصر و زمان و دهر و وقت في الزّمان و المكان، و أسبوع و شهر و عام و سنه فيما مضى و حقب، و غد و أبد في المستقبل، و إذ مضافه إلى فعل و فاعل، و ذات مره، و ذات المرار، و لا يستعملان إلا ظرفًا، و ذات العويم و إبان و إبان و قبل و بعد، و لا يرفعان، و بعيادات بين، و كذلك، و ليس قبل و بعد و لا بعيد من أسماء الزّمان، و لا بعيادات بين، و لا من أسماء ساعاته.

و كذلك ذات مرّه لأن قبل و بعد يفيدان التقدّم و التأخر، و بعيدات جمع بعد مصغرا، و لذلك ضعفن، و ذو صباح، و ذو مساء و حرى دهر و ابنا سمير و الملوان و الجديدان و الأجدان، و ملء من الدّهر، و المرّه، كقولك: ضربه و ما كان اسما فى الدهر للظما و الرعى و غير ذلك مما يعتاد كالوجه و الغب و الرفه و التلث و الرّبع و الخمس و السّيدس ما كان ممرا فى اليوم، و الليله نحو سحر و بكر و غدوه و هو علم، و بكره و هو مجهول على عدد، و غداه و ضحوه و ضحى و الضحاء ممدود، و نصف النهار و سواء النهار و الهجير و الهاجره و الظهير و الظهيرة و دلوك الشمس، و غسق الليل، و العصر و قصر العشى و الأصيل، و استعمالهم إياه مصغرا تقريبا للوقت، نحو أصيل و أصيلا و أصيلان، و كذلك المغرب فى قولك مغربان و مغربانات و العتمه و الغداه و مقصر و ظلام و وهن و هدا و هداه و هدو و صباح و مساء و صباح مساء مبنيين، و سير عليه ذا صباح و شطر الليل و يومئذ و هذا مما حذف منه و صار التّونين بدلا من المحذوف فيه و حينئذ و ساعتئذ و يوم و حين مضافه إلى متمكن و إلى غيره، و السدف و السدفة و أى حين، و مذ و منذ و متى و أيان، و دخول كم على متى للعدد، و دخول حتّى و إلى للمنتهى على أسماء الزمن و قولك ربّما للتقليل، و ربما بما فى ذلك من اللغات، و قد التى بمعنى ربما، و الساعات و ألقاب أيام الأسبوع و تسميه العرب لها و ذلك قولهم للأحد أول و للاثنين أهون، و للثلاثاء جبار للأربعاء دبار، و للخميس المونس و للجمعه العروبه، و للست شيار و قولهم الوهن و الموهن، و تسميتهم سير الليل لا تعريس فيه إلا ساد، و سير النهار لا تعريج فيه التّأويب.

و قولهم: لا أكلمك السّيمر و القمر، و اختلاف الأزمنه كالصّيف و الخريف و الشّتاء و الرّبيع و ما ينسب إليها من نتاج أو عشب، و تسميتهم بالحر شهرى ناجر، و الشّهرين الموصوفين بالبرد شهرى قماح و قماح، و ما نفع من المصادحين نحو: مقدم الحاج، و خفوق النّجم، و خلافه فلان، و وقعه فلان، و التواريخ، و تقديمهم الليله على اليوم، و قولهم بعد فنك من الليل، و هزيع و الأناء و ما واحدها، و أيام الأسبوع و الفصل بينها و الأوان و الآن.

و صفات الزّمان: كقولهم حول كريت و قميط و مجرم و فعله قليلا- و كثيرا و طويلا- و قصيرا، و قولهم النسى ء فى الأزمنه و النسيئه (١) فى الدّين و اليمين و الشّمال و أعلى و أسفل و خلف و قدّام و أيام العجوز، و هذه تجرى مجرى المقدمات و سيأتى التّفسير عليها منوعه.

فصل فى ماهيه الزمان

ذكر بعض القدماء أن الزمان هو دوران الفلك، و قال أفلاطون: هو صورة العالم متحركه بعد صوره الفلك. و قال آخر: هو مسير الشمس فى البروج حكى جميع ذلك التوبختى، و وجوه هذه الأقوال تتناسب. و حكى أبو القاسم عن أبى الهذيل أن للزمان مدى ما بين الأفعال، و أن الليل و النهار هما الأوقات لا- غيره. و زعم قوم أنه شىء غير الليل و النهار، و غير دوران الفلك، و ليس بجسم و لا- عرض، ثم قالوا: لا- يجوز أن يخلق الله شيئاً إلا فى وقت، و لا يفنى الوقت فيقع أفعال لا فى أوقات، لأنه لو فنى الوقت لم يصح تقدم بعضها على بعض، و لا تأخر بعضها عن بعض، و لم يبين ذلك فيها و هذا محال.

و قال بعض المتكلمين: الزمان تقدير الحوادث بعضها ببعض، و يجب أن يكون الوقت و الموقت جميعاً حادثين، لأن معتبرهما بالحدوث لا غير، و لذلك لم يصح التوقيت بالقديم تعالى ثم مثل، فقال: أ لا ترى أنك تقول: غرد الديك وقت طلوع الفجر، و تقول: طلع الفجر وقت تغريد الديك، فيصير كل واحد من طلوع الفجر و تغريد الديك وقتاً للآخر و مبيناً به للمخاطب حدوثه و هذا على حسب معرفته بأحدهما و جهله بالآخر، لأن ذلك فى التوقيت لا- بد منه. و قال المحصل من النحويين الزمان ظرف الأفعال و إنما قيل ذلك لأن شيئاً من أفعالنا لا يقع إلا فى مكان و إلا فى زمان و هما الميقات.

قال الخليل: الوقت مقدار من الزمان و كل شىء قدرت له حيناً فهو موقت، و كذلك ما قدرت له غايه فهو موقت، قال تعالى: إلى يوم الوقت المعلوم* [سوره الحجر، الآيه: ٣٨] و الميقات مصير الوقت قال تعالى: فتَمَّ ميقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً [سوره الأعراف، الآيه: ١٤٢] و الآخرة ميقات الخلق و مواضع الإحرام مواقيت الحج و فى التنزيل: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ [سوره البقره، الآيه: ١٨٩] و الإهلال ميقات الشهر و فى القرآن: وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتِ لَأَيَّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ [سوره المرسلات، الآيه: ١١-١٢] و إنما هى وقتت و يقال: وقت موقوت و موقت. و الزمان قد يعلم باسمه. و قد يبين بصفاته، فالأول كالتسبب و الأحد و رمضان و شوال، و الثانى كقولك الخميس الأذننى، و الجمع الآتية، و قد يبين بقربنه تضاف إليه كقولك: عام الفيل، و وقت ولايه فلان. و قد يقصد المتكلم بيان قدر الوقت أو صورته أو اتصاله أو انقطاعه بما يكون نكره كقولك فعلته ليلاً و ثابت عليه حولاً، و أقمت عنده شهراً.

و فى الاتصال و الانقطاع يقولون: فعلته ليلاً و نهاراً أو غدواً و عشياً و زرته ذات مره و بعيدات بين. فأما قول من قال: هو الفلك بعينه فقد أخطأ، لأن الأفلاك كبيره فى الحال و ليست الأزمنه كبيره فى الحال، لأن الزمان ماض و مستقبل و حاضر، و الفلك ليس كذلك،

و هذا ظاهر، و ذلك قول من قال: حركات الفلك هي الزمان لأن أجزاء الزمان إذا توهمت كانت زمانا، و أجزاء الحركة المستديره إذا توهمت لم تكن حركه مستديره، و لأنّ الحركه فى المتحرّك و فى المكان الذى يتحرّك إليه المتحرّك، و الزمان ليس هو فى المتحرّك و لا فى المكان الذى يتحرك إليه المتحرّك، بل هو فى كل مكان ثم قد يكون حركه أسرع من حركه، ألا- ترى أنّ حركه الفلك الأعلى أسرع من حركه زحل و البطاء و السّرعه لا يكونان فى الزمان لأنّ الحركه السّريعه هي التى تكون فى زمان يسير و البطيئه هي التى تكون فى زمان كثير.

و حكى حنين بن اسحاق عن الاسكندر أنه قال فى حد الزمان: إنه مده بعدها حركه الفلك بالمتقدّم و المتأخر. قال و العدد على ضربين: عدد يعدّ غيره و هو ما فى النفس، و عدد يعدّ بغيره، و الزمان مما يعد بغيره و هو الحركه لأنّه على حسبها و هيئتها و كثرتها و ثباتها، و إنما صار عددا من أجل الأول و الآخر الموجودين فى الحركه، و العدد فيه أول و آخر فإذا توهمنا الحركه توهمنا الزمان، و إذا توهمنا الزمان توهمنا الحركه، و إنما صار عدد حركه الفلك دون غيرها لأنه لا حركه أسرع منها، و إنما يعد الشىء و يذرع و يكال بما هو أصغر منه. قال: و الزمان عدد و إن كان واحدا لأنه بالتوهم كثير فيكون أزمه بالقوه و الوهم لا بالوجود و العمل.

و هذا يقارب ما حكاه أبو القاسم عن أبى الهذيل فى حدّ الزمان، لأن قوله: مدى ما بين الأفعال، و إن الليل و النهار هما الأوقات إذا حصل يرجع إلى معنى قوله مده بعدها حركه الفلك بالمتقدّم و المتأخر، و إن كان لفظ أبى الهذيل أجزل و أغرب، ألا ترى أنّ الاسكندر قال: و البرهان على أن الزمان ليس بذى كون و لا ابتداء و لا انتهاء و الفرقه التى زعمت أن الزمان شىء غير الليل و النهار، و غير دوران الفلك، و ليس بجسم و لا عرض إلى آخر الفصل، فإنّا سنتكلم به على الملاحظه و الخارجين من التوحيد إلى وراء التشبيه إن شاء الله تعالى.

اعلم أن العبارة عن الوقت قد حصلت من القديم تعالى و لا فلك يدور و لا شمس فى البروج تسير، و عبر أيضا عن أوقات القيامه فمره قال تعالى: فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة [سوره المعارج، الآية: ٤] و مرّه قال تعالى: فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون [سوره السجده، الآية: ٥] و قال تعالى: خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام* [سوره الحديد، الآية: ٤] و قال تعالى فى صفه أهل الجنة: و لهم رزقهم فيها بكرة و عشية [سوره مريم، الآية: ٦٢] و لا بكره ثم و لا عشية، فجميع ذلك أجرى لأوقات مؤقته لمعاني قدرها الله تعالى على أحوال رتبها و مراتب صورها فمنها ما هو أطول، و منها ما هو أقصر، على حسب آماذ الأمور المقدوره فيها، فمثل كلاً بما تقرّر به النفوس غايته و أمده و مقداره و موقعه ممّا

كُنّا نعرفه و نألفه و نشاهده و نتصرّف فيه، و إذا كان الأمر على ما ذكرنا و حصل من الحكيم التّوقيت على ما بيّنا ظهر كثير من عاداتهم فيه و أنهم تخيّرنا ما كان في الاستعمال أبين و في العرف أمتن، و على المراد أدل، و في التّمثيل أتبّه و أجل.

و اعلم أنّ الحادث متى حصل فقد حصل في وقت، و المراد أنه يصحّ أن يقال فيه: إنه سابق لما تأخر عنه، و إنّ وقته قبل وقته، أو متأخر عما تقدّمه و إنّ وقته بعد وقته أو مصاحب لما حدث معه، و إنّ وقته هذا هو المراد فقط، و لسنا نريد أنه حدث معه شيء سميّ زمانا له، أو سبقه أو احتاج في الوجود إليه، فلو تصوّرنا أوّل الحوادث و قد اخترعه الله مقدّما على المحدثات كلّها لصلح أن يقال فيه: إنه سابق لها و إنه أول لها، و هذا توقيت، و لو تصوّرنا أنه بقي مفردا بعد حدوثه لم يتبع بغيره لكان يصحّ تقدير هذا القول فيه و توهمه، إذ كان الله تعالى قادرا على الإتيان بأمثاله و أغياره معه و قبله و بعده.

و هذا معنى قول النّحوى: الفعل ينقسم بانقسام الزّمان ماض و مستقبل و حاضر، و إذا كان الأمر على هذا فقد سقط مئونه القول في أنّ الوقت حادث لا- في وقت، و أنه لو احتاج الوقت إلى وقت لأدى إلى إثبات حوادث لا نهايه لها. و أما من قال: إنّ الزّمان تقدير الحوادث بعضها ببعض و تمثيله بأن القائل يقول: غرد الديك وقت طلوع الفجر، و طلع الفجر وقت تغريد الديك فإنّ كل واحد من التّغريد صار وقتا للآخر، فإنّه جاء إلى فعلين وقعا في وقت واحد، فعرف الوقت مره بالإضافه إلى هذا، و جعل ذلك الآخر موقتا به، و مره بالإضافه إلى ذلك، و جعل هذا مؤقتا به، و لم يتعرّض للزّمان و كشف حده و ضبطه و هذا كما يقال: حججت عام حج زيد و حج زيد عام حججت.

و من الظاهر أن العام غير الحجين و أنهما إنما وقعا فيه، و هذا بين على أن ما أتى به و اشتغل بتمثيله هو من قبيل ما يكون زمانا و هو ما يصلح أن يكون واقعا في جواب متى و لم يستوفه أيضا، و ترك ما يخرج في جواب كم رأسا، و ذلك كقولهم: يصوم زيد النّهار و يقوم اللّيل، و ما فعلته قط، و لا أفعله أبدا، و أقمت بالبلد شهرا و هجرت زيدا يوما إلى كثير مما ستره في أبواب هذا الكتاب و فصوله.

و اعلم أنّ الزّمان و إن كان حقيقه ما ذكرنا، فإنّ الأمم على اختلافها أولعوا في التّوقيت بذي اللّيلالي و الأيام، و الشّهور و الأعوام، لما يتعلّق به من وجوه المعاملات و الآجال المضروبه في التجارات، و من تقرير العداات، و إدراك الزّراعات، و آماد العمارات، و من فعل أهل الوبر في المحاضر و المزالف و المناجع و المجامع، و إقامة الأسواق، و توجيه المعاش، و من اشتغال أرباب النّحل بما افترض عليه عندهم من تقربّ و عباده، و دعوا إلى الأخذ به في دينهم من فرض و نافله، و أمروا بالتوجه إليه من سمت و قبله، و لما أجرى الله

تعالى العاده به فيه من حدوث حر و برد، و جزر و مد، و تبدل خصب و جذب، و رخاء عيش و بؤس، و من ظهور نبات و أوان لقاح، أو ولاد و صبوب أمطار و هبوب أرواح لذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم: «تعلموا من النجوم ما تعرفون به ساعات الليل و النهار، و هدايه الطرق و السبل» فقدّر أكثر الناس أنّ الزّمان لا يكون غيرها و لا يعدوها إلى ما سواها، و لهذا الذی تبيته، أو أشرت إليه ذكر أبو الهذيل بعد تحديد الزّمان اللّيل و النهار هما الأوقات لا غير.

و اعلم أنّ الذين زعموا أنّ الزّمان شىء غير اللّيل و النهار، و غير دوران الفلك و ليس بجسم و لا عرض، ثم قالوا: لا يجوز أن يخلق الله شيئاً إلّا في وقت و لا يفنى الوقت، فيقع أفعال لا في أوقات لأنه لو فنى الوقت لم يصح تقدّم بعضها على بعض و لا تأخر بعضها عن بعض، و لم يتبين ذلك فيها، و هذا محال قولهم داخل في أقوال الذين يقولون: إنّ الزّمان و المكان المطلقين، و يعرب عنهما عند التحقيق بالدّهر و الخلاء جوهران قائمان بأنفسهما، و الكلام عليهم يجىء بعد تنويع فرقهم و بيان طرقهم فنقول: بالله الحول و القوه من زعم أنّ الأزلى أكثر من واحد أربع فرق:

الأولى: الذين يقولون هما اثنان الفاعل و الماده فقط و يعنى بالماده الهيولى.

الثانية: الذين يدعون أنّ الأزلى ثلاثة الفاعل و الماده و الخلاء.

الثالثة: الذين يدعون أنه الفاعل و الماده و الخلاء و المدّه.

الرابعة: الفرقه التى زعيمهم محمد بن زكريا، المتطبب لأنه زاد عليهم التّفنّس الناطقه، فبلغ عدد الأزلى خمس بهديانه.

و شرح مذهبهم أنه لم يزل خمس أشياء، اثنان منها حيّان فاعلان و هما: البارى و النفس، و واحد منفعل غير حى و هو الهيولى الذى منه كوّن جميع الأجسام الموجوده، و اثنان لا حيّان و لا فاعلان و لا منفعلان و هما الخلاء و الماده، إلى خرافات لا تطيق اليد بيانها بالخط، و لا اللسان تحصيلها باللفظ، و لا القلب تمثيلها بالوهم، فمما يزعمه أن البارى تام الحكمة لا يلحقه سهو و لا غفله، و تفيض منه الحياه كفيض النور عن قرصه الشّمس، و هو العقل التام المحض، و النفس تفيض منه الحياه كفيض النور، و هى مترجحه بين الجهل و العقل كالرّجل يسهو تاره، و يصحو أخرى، و ذلك لأنها إذا نظرت نحو البارى الذى هو عقل محض غفلت و أفقت، و إذا نظرت نحو الهيولى التى هى جهل محض غفلت و سهت، و أقول متعجبا لو لا الكرى لم يحلم و هذا كما قال غيرى، أليس من العجائب هديانه فى القدماء الخمسه، و ما يعتقد من وجود العالم لحدوث العلّه و ما يدّعيه من وجود الجوهرين الأزليين أعنى الخلاء و المدّه لا فعل لهما و لا انفعال، فلولا خذلان الله إياه، و إلا

فما ذا يعمل بجوهر لا فاعل ولا منفعل؟! ولم يضع الأرواح المقدّسه قبالة الأرواح الفاسده، و لم يحدث العله من غير نقص و لا آفه و لم يذكر شيئا ليس فيه جدوى و لا ثمره و هذا الفصل إذا أعطى مستحقّه من التأمل ظهر منه ما يسقط به سخيف كلامهم، و إن لم يكن مورده مورد الحجاج عليهم.

ألا ترى أنّ من لم يثبت القديم تعالى فيما لم يزل واحدا لا ثانى له، و عالما بالأشياء قبل كونها و بعده، و قادرا على كل ما يصح أن يكون مقدورا، و حيا لا آفه به، و غنيا لا حاجه به إلى غيره فى شىء من إرادته، و حكيما لا يبدو له فى كل ما يأتيه و يفعله، فننقل إلى ما هو أعلى منه، بل لا يفعل إلا ما هو حسن و واجب فى الحكمه و الصواب، فقد جعله قاصرا ناقصا، تعالى الله و جلّ عن صفات المخلوقين، و هذا كما أنّ من الواجب أن يعلم أنّ القديم لو لم يبدع العالم أصلا لاستحال أن يتوقّف على وجوده، أو يتوصل إلى إثباته، لأن ذاته لم تكن ظاهره للعيان، و لا مستدركا بالحواس، و أنّ الشىء قد يصح إثباته من طريق أفعاله كما يصح إثباته من جهه ذاته، و الأسباب و إن كانت متقدمه لمسبباتها بالوجود فلا يمتنع أن يكون فى العقول أسبق إلى الوضوح.

و إذا كان كذلك فالعالم بثبات هذا العالم المحسوس موصول إليه من طريق الإدراك و المشاهده، و العلم بصانعه من طريق النظر و المباحثه، و قد تكلم الناس فى المعرفه بالله تعالى و اختلفوا فزعم قوم أن المعرفه لا تجب على القادر العاقل و أنها تحدث بإلهام الله، فكل من لم يلهمه الله المعرفه فلا حجه عليه، و لا يجب عليه عقاب، لأن عذر من ترك الشىء لأنه لم يعلم كعذر من ترك الشىء لأنه لا يقدر عليه، و الذى يدل على أن المعرفه لا تكون ضروره لأننا يمكننا التشكك فيه. ألا ترى أنه كلما اعتقدنا الشىء بدليل فاعترضت شبهه فى أصل الدليل يخرج من العلم بذلك الشىء حتى تثبت حجه بمحل تلك الشبهه، و لو كانت بالضروره لم يكن التشكك، و كان العقلاء كلهم شرعا واحدا فى العلم، كما صاروا شرعا واحدا فى أخبار البلدان المتواتره عليهم، فبان بذلك أنها ليست بضروره، و أكثر الناس على أنها واجبه و هى من فعل الإنسان، و إنما يقع أولها متولّدا عن النظر.

قال البغداديون مستدلين: لا يخلو من أن يكون قد كلفنا الله معرفته أو لا يكون كلفنا و تركنا مهملين، و تركنا سدى، و إهمالنا لا يجوز عليه و يقال لهم فى ذلك: إنّ الإهمال هو تضييع ما يلزم حفظه، و ترك مراعاة ما يجب مراعاته، ألا ترون أنّ من لم يحفظ مال غيره لا يقال أهمله، لما كان لا يلزمه حفظه فثبتوا أولا أن المعرفه بالله واجبه، ثم ادّعوا الإهمال إذا لم يكلفناها. و قالوا أيضا: نحن نرى على أنفسنا آثار نعم و نعلم وجوب شكر المنعم، فإذا يجب أن يعرف المنعم لشكره.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن نعلم القديم تعالى من طريق الخبر؟ قلت: لا، لأنّ الخبر على قسمين: فمنه ما يضطر السامع إلى العلم بالمخبر به كالخبر عن البلدان والأمصار، وقد علمنا أنه لا يجوز أن نعلم الله من هذه الجهة، لأننا وجدنا العقلاء يشكون من أنّ لهم صنعا مع إخبار المخبرين به، ولو كان يعلم من طريق الخبر لكان لا فرق بين خبر من زعم أنّ الصانع واحد وبين من قال اثنان أو ثلاثة، على أنّ الخبر إنّما يضطر إذا كان المخبر يخبر عن مشاهدته، لأنه لا يجوز أن يكون حال المخبر يعلم ضروره و من الخبر ما يعلم من طريق الاستدلال، كخبر النبي صلى الله عليه وسلم، و لا- يجوز أن يعلم الله من هذه الجهة، لأنّ القائل بهذا القول أحد رجلين، إمّا أن يقول لا- يعلم الله إلا من جهة الخبر، فيلزمه أن يكون النبي لا يعرف الله إلا بنبي آخر و ذلك يوجب التسلسل إلى ما لا نهايه، و إمّا أن يقول: إنه يعلم من جهة النبي و من جهة أخرى أيضا، و هذا فاسد لأنه ليس في النبي أكثر من إظهار المعجزات و المعجزات لا- تدل على حكمه فاعلمها، فكيف يكون خبر النبي طريقا إلى العلم بالله و إذ قد ذكرنا وجوب معرفه الله تعالى و الطريق إليه هاهنا، و ممّا تقدّم فإننا ننكر الكلام على الملحد و المتحيرين.

فصل [في بيان أنواع الضلال]

اعلم أنّ أنواع الضلال ثلاثة: المعانده و الحيره و الجهاله.

فالمعانده على الإطلاق ينبغي أن لا- يحصل لأحد ممّا علم حقيقى و لا- معرفه تفضى إلى يقين، و إنما هي ظنون و خواطر لا تسكن النفس إليها، و تسميتها لها و أمثالها بالعلوم توسع و مجاز. و الوجه في مدافعتهم أن يقال لهم: أتقولون ما ذكرت عن خلوص علم، أو تسلط ظن؟ فإن ادّعوا العلم فقد ناقضوا، و إلّا حصلوا على عناد، و قد ذكر أبو عثمان الجاحظ في الكفار الذين قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم أنّهم كانوا عارفين بالله معاندين.

و اعترض عليه فقيل: إنّ العناد يجوز على العدد اليسير، فأما الجماعه الكثيره فلا يصح عليها ذلك، و نحن نعلم من أنفسنا و قد كنا على مذاهب فتر كناها لفسادها أنّا لم نكن في حال اعتقادنا معاندين و لا كاذبين لأنفسنا، و إنّما تركنا الاستدلال، فكذلك أولئك الكفار قد علموا فيما أظهره النبي صلى الله عليه وسلم أنّها معجزات، لكنهم تركوا الاستدلال بها على ثبوته و صدقه.

و المتحيرون هم الذين يزعمون أنّ العلم بالمحسوسات قد يصح، و لكن ما عداها مما يحال فيه على العقل نحن شاكون فيه و متوقفون، و الكلام عليهم طريقه أن تقلب عليهم نفس ما أوردوه فيقال: تدفعون مقتضيات العقول بالمشاهدات أو بحجج العقول و لا فلاح لهم أى الطريقين سلخوا.

و الجاهلون الملاحده و الخارجون من نور التوحيد و الاستقامه إلى ظلمه الشرك فرق، و الضلاله فى عددهم فى ازدياد و وفور، و إفسادهم وجوه و فنون و قد فسدت فليل: ربما كانت من الحضانه و التربيه و قله الخواطر و غباوه الخليلط و جهد المجاوره، و ربّما كان من تعظيم الأسلاف، أو من وجه الآلاف، أو من غباوه الدّاعيه و نسل صاحب المقاله، و كونه صاحب سن و سمت و إخبارات و طول صمت، و لله تعالى الحجّه البالغه عليهم، و على طوائف المبتدعه من أهل الصّلاه على اختلاف أهوائهم، و سيعلم الجافى على نفسه كيف ينقلب و قد فاته الأمر. ذكر بعضهم حاكيا عن قوم من الأوائل، أنّ الدّهر و الخلاء قائمان فى فطر العقول بلا استدلال، و ذاك أنه ليس من عاقل إلا و هو يجد و يتصور فى عقله وجود شىء للأجسام بمنزله الوعاء و القراب، و وجود شىء يعلم التّقدم و التأخّر، و أنّ وقتنا ليس هو وقتنا الذى مضى، و لا الذى يكون من بعد بل هو شىء بينهما، و أن هذا الشىء هو ذو بعد و امتداد.

و قال: قد توهم قوم أنّ الخلاء هو المكان، و أنّ الدّهر هو الزّمان، و ليس الأمر كذلك بإطلاق، بل الخلاء هو البعد الذى خلا منه الجسم، و يمكن أن يكون فيه الجسم، و أمّا المكان فالسّطح المشترك بين الحاوى و المحوى، و أما الزّمان فهو ما قدرته الحركه من الزّمان الذى هو المده غير المقدره، فصرفوا معنى الزّمان و المكان المضافين إلى المطلقين، و ظنوا أنّهما هما و البون بينهما بعيد جدا، لأنّ المكان المضاف هو مكان هذا المتمكّن و إن لم يكن متمكّنا لم يكن مكانا، و الزّمان المقدر بالحركه يبطل أيضا ببطلان المتحرك و يوجد بوجوده، إذ هو مقدر حركته، فأما المكان بإطلاق فهو المكان الذى يكون فيه الجسم و إن لم يكن، و الزّمان المطلق هو المده قدرت أو لم تقدّر، و ليس الحركه فاعله المده بل مقدرته، و لا المتمكّن فاعل المكان بل الحال فيه، قال: فقد بان أنّهما ليسا عرضيين بل جوهرين لأنّ الخلاء ليس قائما بالجسم لأنّه لو كان قائما به لبطل ببطلانه، كما يبطل التّربيع ببطلان المربع.

فإن قال قائل: إنّ المكان يبطل ببطلان المتمكّن قيل له: أما المضاف فإنّه كذلك لأنّه إنّما كان مكان هذا المتمكّن، فأما المطلق فلا، ألا ترى أنا لو توهمنا الفلك معدوما لم يمكننا أن نتوهم المكان الذى هو فيه معدوما بعده، و كذلك لو أنّ مقدر قدر مده سبت كان، و لم يقدر مده يوم آخر، لم يكن فى ترك التقدير بطلان مده ذلك اليوم الذى لم يقدر، بل التقدير نفسه، فكذلك ليس فى بطلان الفلك أو فى سكونه ما يبطل الزّمان الحقيقى الذى هو المده و الدّهر، فقد ينبغى أنّهما جوهران لا عرضان، إذ كانا ليسا بمحتاجين إلى مكان و لا إلى حامل فليسا إذا بجسم و لا عرض، فبقي أن يكونا جوهرين.

و زاد على هذا الوجه الذى حكيناه بعضهم فقال: طبيعه الزّمان من تأكيد الوجود فى

ذاتها وقوه الثبات في جوهرها، بحيث لا يجوز عدمها رأسا و لم تكن قط معدومه أصلا، فلا بدء لها، و لا انتهاء، بل هي قاره أزلية.

ألا ترى أنّ المتوهم لعدم الزّمان لم يخلص له وهمه إلا إذا ثبت مدته لا زمان منها، و المدته هي الزّمان نفسه، فكيف يوهم عدم ما تأكّد لزوم جوهره؟ و يفنى العقل الصّحيح تصور عدمه و تلاشيه؟ أو كيف يسوغ إلحاق عدمه بالممكنات؟! و وجوده من الواجبات الأزليات؟ فهذا ما حكى عن الأوائل. و ابن زكريا المتطبّب يحوم في هذيانه عند حجاجه حول ما ذكرناه عنهم و لم يبين بيانهم و لا بلغ غايتهم، فلذلك جعل تابعا لهم و إذ قد أتينا على مآلهم بأنهم استقصاء، فإننا نشتغل بالكلام عليهم، و إن كان فيما قدّمناه قد صورنا خطأهم تصويرا يغنى عن مقايستهم و محتجتهم.

ذكر بعض المنطقيين أنّ الزمان في الحقيقة معدوم الذات، و احتج بأنّ الوجود للشيء إمّا أن يكون بعامه أجزاءه كالخط و السطح أو بجزء من أجزائه كالعدد و القول، و ليس يخفى علينا أنّ الزمان ليس يوجد بعامه أجزاءه إذ الماضي منه قد تلاشى و اضمحلّ، و الغابر منه لم يتمّ حصوله بعد و ليس يصح أيضا أن يكون وجوده بجزء من أجزائه إذ الآن في الحقيقة هو حدّ الزمانين و ليس بجزء من الزمان، و كيف يجوز أن يعد جزءا و لسنا نشك أنّ حقيقة الجزء هو أن يكون مقدارا له نسبة إلى كلاً، كأن يكون جزءا من مائه جزء، أو أقل أو أكثر، فأما أن يتوهم جزء على الإطلاق غير مناسب لكلاً فممتنع محال و ليس الآن في ذاته بذى قدر مناسب لما يفوض من الزمان الآتي و الماضي، و لو وجد له قدر ما لصلح أن يجعل قدره عيارا يمسح به الكلّ حسب جواز ذلك على كاهه ما يعد جزءا من الشيء و إذا لم يكن الآن في جوهره ذا مقدار أصلا، و الجزء من الشيء لا يجوز أن يعرى من المقدار، فليس الآن بجزء من الزمان، و إذا كان الأمر على ذلك فالزّمان إذا ليس يصح وجوده لا بعامه أجزاءه و لا ببعض أجزائه، و إن شيئا يكون طباعه بحيث لا يوجد بأجزائه كلاًها و لا ببعض منها فمن المحال أن يلحق بجمله الموجودات، و إذا كان ذات الزّمان غير موجود أصلا فليس بجائز أن نعهده في الكميات، فإنّ ما لا وجود له لا آتية له، و الذي لا آتية له لا يوصف بوقوعه تحت شيء من المقولات.

و قولهم في الزّمان هو المدته التي تفهم قبل و بعد أجلها، فإن كان المراد أنّ قول القائل: قبل و بعد يفيد أنّ تقدّم المذكور و تأخره من غير أن ثبت بهما جوهران ليسا بجسم، و لا- يفنيان و لا- يجوز أن يخلق الله شيئا من دونهما فهو صحيح، و يكون سبيلهما سبيل لفظ مع إفادتهما معنى الصّحبه إذا قلت زيد مع عمرو، و كما تقول للأعيان أحوال ثم لا تصفها بأكثر من تميز بعضها عن بعض بها، و إن أريد بقبل و بعد غير ذلك فقد تقدّم القول في بطلانه

و بطلان ما قالوه فى الخلاء و المكان، على أنا نقول معيدين عليهم إن أردتم أنّ المكان يكون المتمكن و إن لم يوجد الجسم لم يوجد المكان لأنه قائم بالجسم، و ليس بشىء ذى وجود فى نفسه فهو صحيح، و إن أردتم للمكان جوهرًا يبقى إذا ارتفع المتمكن، و أنّ الذى بطل بارتفاعه هو النسبه إليه و الإضافة، و يبقى المكان المطلق مكانًا كما كان و هو الخلاء الفارغ و ليس فيه جسم فهذا إحاله على شىء لا الإدراك يثبتته و لا الوهم يتصوره. فإن قالوا: المكان حينئذ يكون مكان ما يمكن أن يكون فيه كالزق الخالى من الشراب، فإنه مكان الشراب الذى يمكن أن يكون فيه.

قلنا: صور فى وهمنا من الخلاء مثل ما نتصوره إذا توهمنا الزق و الشراب و ذلك مما لا يقدرّون عليه، لأنّ كلامهم فارغ لا يفضى إلى معنى محصل، و أيضا فإنّ الأجسام لا يخلو من أن تكون ثقيله فترسب، أو خفيفه فتطفو، و الخلاء عندهم ليس بثقيل و لا خفيف، فيلزمهم أن يكون النقطه هى الخلاء لأنها ليست بثقيله و لا خفيفه، و يلزمهم على قولهم بأن المتحرك لا يتحرك إلا فى الخلاء أن يتحرك أبدا و لا يستقر إذا لم يوجد شىء يضاده أو يسكن دائما فلا يتحرك إذ لا سبب هناك يوجب تحركه، أو إذا تحرك فى الخلاء أن يتحرك إلى جميع الجهات و لا يختص بجهه دون جهه لأنّ الخلاء كذلك. فإن قالوا: إن الذى تسميه خلاء هو الهواء، أسقط قولهم بأن الهواء يقبل اللون و يؤدى الصوت و الخلاء ليس كذلك و هذا بين.

و أعجب من هذا أن البارى مخترع لجميع ما خلقه و أنه لا يعجزه مطلوب و لا ينكاده معلوم، ثم أقاموا معه فى الأزل الهبولى و هو الماده، و رتبوا معه الصوره ليكون جميع ذلك كالنجار و الخشب و النجاره و الله تعالى يقول: قُلْ أَيْنَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ [سوره فصلت، الآيه: ٩] إلى قوله: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [سوره فصّلت، الآيه: ١٢] و لم يقل ذلك إلا و أهل العلم إذا فكروا فيه أدركوا منه الآيه البيّنه و الحجّه الواضحه، و بينوا أنه ليس فى العالم شىء إلا و هو منتقص غير كامل، و ذلك هو الدليل على أنه مقهور لا يستغنى به، و لا بدّ له من قاهر لا يشبهه و لا يوصف بصفاته على حدّها، لأن ذلك آيه الخلق و آيه الخلق لا تكون فى الخالق.

فصل آخر يزداد الناظر فيه و العارف به استبصارا فيما وضع الباب له

اعلم أنّ الاستدلال بالشاهد على الغائب هو الأصل فى المعرفه بالتوحيد و حدوث الأجسام لا يعرف ببداهه العقل و لا بالمشاهده لأنه لو عرف ذلك لاستوى العقلاء فى معرفته كما استوتوا فيما شاهدوه، و إنما يتهيا أن يعرف بما علم من تعاقب الأعراض المتضاده عليها، و إنما لا تنفك منها على حدوثها إلا بمشاهده الأجسام و إذا ثبت حدوث الأجسام فلا

بدّ لها من محدث لا يشبهها، و إذا ثبت ذلك صح أنّ الفاعل للأجسام لا تحلّه الحوادث و أنه سابق لها غير مشبه لها و الحوادث غير مشبهه له.

ثم دلّ خلقه للأجسام أنه قادر حيّ كما دلّت أفعال الأجسام في الشاهد أنّها حيّه قادره عالمه و أنّها لو لم تكن كذلك لم تكن فاعله فلما لم يدلّنا على أن الأجسام حيه قادره إلا أفعالها، إذ كانت حياتها و قدرتها لا تشاهد، دلّتنا أفعال الله تعالى أيضا على أنه حي قادر، و وجب أن يكون عالما لوجود أفعال محكمه، إذ كانت أفعال الأجسام في الشاهد إذ كانت محكمه دلّت على أنّها عالمه و لا يدل على علمها غير أفعالها، إذ كان العلم لا يدرك و لا يشاهد.

و لما دلنا جواز الموت على الأجسام نفى الشاهد و العجز و الجهل دلّنا ذلك على أنهم كانوا أحياء قادرين بحياه و قدره، و عالمين بعلم، و هذه الأشياء هي غيرهم فلهذا جاز زوالها عنهم و حدوث أضدادها بدلا منها فيهم. و لما كان القديم تعالى لا يجوز شىء من ذلك عليه و جب بدلاله الشاهد أنه حيّ بنفسه عالم و لما كان الجسم في الشاهد بالتأليف يصير جسما، و نعلمه جسما لم يجز أن يكون جسما فصّح بهذا أن التوحيد لا يعرف إلا بدلاله الشاهد، و كذلك طريق صدق الرّسل لأنه لا يعرف بالمشاهده و لا ببداهه العقل، و لو عرف بذلك لاستوى الناس جميعا فيه، و إذا كان كذلك فإنما يعرف بالآيات المعجزات، و لا يعرف ذلك إلا باعتبار أمر الشاهد و حمل الغائب عليه فاعلمه.

و استدللّ أبو القاسم البلخي على أنّ القديم واحد بأن قال: قد ثبت أنّ المحدثات لا بدّ لها من محدث، فمن هذا الطّريق قد بان أنّ هاهنا صناعا لا بدّ منه و لا أقل من واحد فلذلك نعلمه يقينا و أنّه واحد، و أمّا ما عداه مشكوك فيه فلا يتخطاه إلّا بدليل و هذا قريب صحيح.

انتهى الباب و الله محمود على ما سهّله و وفقنا له من تحقيق ما أردنا تحقيقه من شرح فضائهم و إثارة مقابحهم، و الرّد عليهم في أصول دعاويهم و فروعها و مسئول إيزاعنا شكر نعمته وصله سعينا بمرضاته.

الباب الثالث و يشتمل على بيان الليل و النهار

اشاره

على فصول من الأعراب يتعلّق بهما و هى ظروف

الفصل الأوّل [فى بيان معنى الليل و النهار]

قال الأصمعى أتيته ليلا- و قعلته نهارا. قال تعالى: وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ [سوره الصافات، الآيه: ١٣٧] فقوله: بالليل خلاف الإصباح. و اعلم أنّ قوله:

وَ بِاللَّيْلِ موضعُه نصب على الحال كأنه قال: تمرّون عليهم مصبحين و مظلمين أى داخلين فى الظلام، فأوقع الليل على الجزء الذى فيه الظلام من الليل، و إن كان فى الحقيقة للجنس. و اليوم بإزاء الليله يقال: جئتكم اليوم و أجيئكم الليله و يقال: أتيته ظلاما أى ليلا و مع الظلام. و قال يعقوب: الظلام أول الليل و إن كان مقمرا. و حكى بعضهم أتيته ظلاما أى عند غيوبه الشمس إلى صلاه المغرب و هو دخول الليل، و هذا يؤيد ما حكاه يعقوب و كأنه جعله الوقت الذى من شأنه أن يظلم، و يقولون: عم ظلاما، كما يقولون: عم صباحا و يقال: نهار أنهر و ليل أليل و ليله ليلاء و قال الفرزدق: و الليل مختلط الغياطل أليل. و أنشد المفضل:

مروان مروان أخو اليوم اليمى

قال سيبويه: أراد اليوم فقلب و قدّم الميم و قيل: بل حذف العين تخفيفا و أطلق الميم إطلاقا.

و قال شيخنا أبو على الفارسى: وقت قراءتى عليه هذا الموضع من الكتاب و فى حاشيه نسختى: أخى اليوم اليوم، فاستغربه و قال: يريد أنه بطل يبارز أقرانه و يقول لهم: اليوم اليوم أو هو صاحب هذا اللفظ فى ذلك الوقت و فى هذا الوجه قلب أيضا و قولهم: يوم فى أبنيه الأسماء غريب نادر، لأن فاءه ياء و عينه واو و مثله فى المبانى يوح اسم للشمس و باب اليون بالشام.

و قد ذكره ابن الرّقيات فى قصيده يمدح بها عبد العزيز بن مروان أعنى ابن ليلى عبد

العزیز. باب الیون تغدو جفانه ردما. و قال همیان بن قحافه: فصدقت تحسب لیلا لایلا.

فقال لأیل و إنما یصفون بما یشتق من لفظ الموصوف بیانا للمبالغه و تنبها علیها علی ذلك قولهم ظلّ ظلیل، و داهیه دهیاء و ما أشبهها. و یقال استأجرته میاومه و ملایله إذا قدر أجرته یوما یوما و لیله لیله.

و حکى أبو عبیده أنّ العرب لا- تقول إلا- مشاهره، فأما معاویه و میاومه و ما أشبههما فلیست من کلام العرب، و إنما هی قیاس علی المسموع منهم، و یقال: یوم و آیام، و الأصل آیوام لكن الواو و الیاء إذا اجتمعا فأیّهما سبق الآخر بالسکون یقلب الواو یاء و یدغم الأوّل فی الثانی، إلا أن یمنع مانع علی ذلك قولهم سیّد و میّت لأنّهما فیعل من ساد و مات، و الأصل سیود و میوت هذا فیما السّابق فی یاء و مما السّابق فی و او قالوا کویته کیا، و لویته لیا لأنّ الأصل کوی و لوی و كذلك قولهم أمنيّه و ازبیّه و قولی إلا- أن یمنع مانع احتراز من مثل قولهم: دیوان لأنّ أصله دووان، ففرّوا من التّضعیف و أبدلوا من إحدى الواوین یاء. فلو طلبوا الإدغام للواو لعادوا من التّضعیف مثل ما فروا منه، و مثله سویر و بویع و مثله لوی و رویه إذا خفف همزتاها، لأنّ الواو فی جمیعها لا یلزم، فلم یعتدوا بها و او.

ألا- ترى أنّها سویر، و بویع منقلبه عن الألف فی سائر و بائع. و فی رویه و نوى مبذلتان من همزه و تلك الهمزه ثابتة فی الثیّه، و إذا كان كذلك فحکم الواو فیها حکم الألف و الهمزه، فأما ضیون و حیوه فشاذتان عن الاستعمال و متبّهتان علی أصل بالباب المرفوض علی عاداتهم فی أمثالها و التّهار و اللیل لا یجمعان إلا أن یذهب إلى بیاض کلّ یوم، و سواد کلّ لیله، فتصورت بینها خلافا لأنّک حینئذ تجمع للاختلاف الدّاخل فی الجنس فیقال: ألیال و ألیل و أنهر و نهر و علی هذا قول الشاعر شعرا:

لو لا الثریدان هلکنا بالضمّ ثرید(١) لیل و ثرید بالنّهر

و الذى یکشف لك أنّ اللیل و التّهار لا یجمعان أنّ سیویه قال: لا یجوز أن یقول القائل: إذا كان اللیل فاتنی و لا أن یقول: إذا كان التّهار فاتنی لأنّهما لا یكونان ظرفین إلا أن ینى بهما کلّ اللیل و التّهار. و إذا كانا كذلك فسیلها سبیل الدهر فکما لا تقول: إذا كان الدهر فاتنی كذلك یمتنع فی اللیل و التّهار و یقال: رجل لیلی و رجل نهاری إذا نسبت، و نهری أيضا و هذا کما بنوا للتّسبه فاعل و فعال مثل تاجر و لابن و بزّاز و ثمار و أنشده:

لست بلیلی و لکنی نهرمی أتى الصّبح فإنی منتشر

لا أدلج (١) الليل و لكن أبتكر و يقال: ليله و ليال فكأنها جمعت على ليالات و إن لم يستعمل و مثله أهال في جمع أهل و إنما هو في تقدير أهلى، و على هذا قالوا في التصغير ليله و القياس في جمع ليله ليلاء ليال ليل و الأصل لول لأنه فعل مثل حمراء و حمر، لكنهم حاموا على الياء لثلا- يلتبس بنات الياء بنات الواو، و مثله قولهم بيض و عين في جمع بيضاء و عيناء و ما أنشده الكسائي من قول الكميت:

و لدنك و البدر ابن عائشه التي أضاء ابنها مستحلكات الليال

فإنه أراد الليالى، فقلب، و قدم الياء فلما و ليت الألف همزت كما قيل: صحايف و مثله فيما قلبوه ترقوه و ترائق و الأصل تراقى.

و اعلم أنهم يتوسعون في ذكرهم اليوم، و الليله أ لا تراهم يقولون: فلان اليوم يعد من الرؤساء و كان في الدهر الأول على كذا، و اليوم هو خلافه، و إنما يعنون الزمان و كما قال تعالى: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سوره السجده، الآية: ٥] يعنى القيامة، و ليس ما أشار إليه من صورته ما نعدّه في شىء و قال الشاعر:

يومان يوم مقامات و أنديهو يوم سير إلى الأعداء تأويب

فقسم دهره يومين، و يقال: الناس أغراض الليالى و يراد الأحداث و مثله من الذى يسلم على الليالى و الأيام فأما قوله تعالى: وَ مَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا الْمُتَحَرِّفًا [سوره الأنفال، الآية: ١٦] فاليوم يعم أجزاء الليل و النهار، و الزجر به حاصل في كل جزء من أجزاء الزمان و على هذا قوله:

يا حبذا العرصات يوما في ليال مقمرات

يريد وقتا و زمانا في ليال و كذلك قوله تعالى: وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ [سوره آل عمران، الآية: ١٤٠] أى نجعل الدول في الأزمان فتحول و تنقل بين الناس على حسب استحقاقهم أو سببا لامتحانهم. و قد سمّت العرب وقعاتها أياما فيقولون لنا: يوم كذا و يوم كذا، و ساغ ذلك لوقوعها فيها.

فصل آخر [في بيان قوله الليله ليلتك التي أنت فيها، و البارحة ليله يومك الذي أنت فيه]

يقال: الليله ليلتك التي أنت فيها، و البارحة ليله يومك الذي أنت فيه، و قد مضت

و هي من برحت أى انقضت، و منه ما برحت أفعل كذا، و أصله البراح، من المكان و قال الفراء: برحت بالفتح مضت و يقال: برح الخفاء أى زال و منه البارحة و قال قطرب: لا- يقال بارحة الأولى لأنّ الشىء لا يضاف إلى نفسه، و لا إلى نعته و الجمع البوارح.

و ذكر بعض شيوخنا أنّ قوله: لا أبرح بمعنى لا أنال و لا يجوز أن يكون أصله من البراح من المكان بدلاله قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرُحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ [سورة الكهف، الآية: ٦٠] أ لا ترى أنّه محال أن يبلغ مجمع البحرين و هو لم يبرح من مكانه قال: و إذا لم يستعمل أبرح إلا على أحد هذين الوجهين و بطل أحدهما ثبت الآخر، و يمكن أن يقال فى جوابه معنى لا أبرح حتى أبلغ أى لا أتجاوز هذا الطريق و لا أعدل عن سلوكه و سمته حتى أبلغ هذا المكان، فحذف الطريق و هذا كما يقال: لم أبرح بلد كذا حتى فعلت كذا و إن كان ينقل فى البلد لأنّ المعنى لم أتغيب و يشهد لهذا أنه لا يستعمل ما برح فى الله تعالى لأنّه لا يقال: لم يبرح الله قادرا فلو كان لم يبرح بمعنى لم يزل حتى لا فرق بينهما لما امتنع مما دخله، و إذ قد امتنع فلائنه لا يجىء إلا و أصله البراح من المكان ذكر أو لم يذكر و ذلك لا يجوز على القديم تعالى.

و اعلم أنّ هذه الكلمه فى اللغه مدارها الأكثر على التّجاوز، من ذلك قال الأعشى:

أبرحت ربا و أبرحت جارا أى جاوزت ما عليه أمثالك فى الخلال المرضيه، و البارحة الأولى التى قبل البارحة، و جمع البارحة البوارح، و لم يتجاوزوا ذلك. و أمّا الفائده فما يستقبل بعد ليلتك التى أنت فيها و كأنها مأخوذه من الاستقبال و يقال: قبلت الوادى أقبلة إذا استقبلته و يقال: آتيك القابله و المقبله كما يقال: عام قابل و مقبل و أنشد:

أقبلتها الخلّ من حوران مجتهدا إني لأزرى عليها و هى تنطلق

و يقال فعلته ليلا و نهارا أى ضياء و ظلما، غير مخصوص بوقت معلوم، و فعلته يوما و ليله يريد أنّ من جمله الزّمان ما تنحصر بهذا القدر و ربما جعل بعض أجزاء الليله ليلا و جعل الليل ليله واحده قال:

و ودّ الليل زيد إليه ليل و لم يخلق له أبد النهار

و لم يرد الجنس لأنّ الجنس يستوعب الأوقات، فلا يزداد للأمثله و كذلك قوله: إني إذا ما الليل كان ليلتين، أراد كل واحد من الشّاعرين ليله واحده و أنها فى طولها كانت أوقاتها و ساعاتها لتطاولها و امتدادها و مقاساه ما يعانى منها كليتين. و غرض الشاعر أن يصف طول ليلته أى كأنها فى طولها مضاعفه متزايد، و إذا جعل الليل جنسا فسد المعنى أيضا؛ لأنّ الليل المستوعب لأجزاء جنس الليل إذا قيل فيه كان ليلتين و حصر بما يقع فيه التّنبيه من

أجزائه عاد نقصانا لا تضعيفا و قوله تعالى: وَ سَبَّحُهُ لَيْلًا طَوِيلًا [سوره الإنسان، الآية: ٢٦] المراد به أجزاء ليله طويله من الليل لأنه لو أريد الجنس لما صح فيه ذكر الطول و للزم التسبيح ليله طويله دون ليله قصيره، و إذا أريد الجزء من الليل فى كل ليله فهو أمر بالتسبيح جزءا طويلا و أجزاء طويلا.

و قال بعضهم فى قوله تعالى: وَ ذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ [سوره إبراهيم، الآية: ٥] أى بنعمه، و الكوفيون رووا الليل ليلك، و اليوم يومك، و يراد به الوقت وقتك، و يقال: الليل ليلك و اليوم يومك، فيجعلون الأولى ظرفا للثانيه، و جعلوا الثاني جزءا منه لأن الظرف وعاء مستوعب، فيجب أن يكون أوسع من ذى الظرف ليوعبه و يشتمل عليه كما يحوى الوعاء ما ضمنه، و أما قوله تعالى: فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا [سوره الدخان، الآية: ٢٣] و قد علمنا أن السرى لا يكون إلا ليلا، فالمراد فى جوف الليل، و لو قال: فأسر بعبادى، و لم يقل ليلا- لكان مطلقا فى أول الليل و آخره و ما بينهما، أ لا ترى أنك تقول: جاءنى فلان البارحة بليل، فيكون المعنى فى استحكام الليل، و قد يجىء ما لا يحتاج فيه إلى تأكيد، تقول: أدلجت فيكون المعنى سرت فى أول الليل، و لو قال: أدلجت فى أول الليل لساغ فيكون تأكيدا كتكرير الاسم أو الفعل قال زهير شعرا:

بكرن بكورا و استحرن بسحرفهن لوادى الرّس كاليد للفم

فقوله بسحرفه بكور على وجهين: أحدهما أن يكون الإدلاج لآخر الليل و بكرن للسحر و غيره، فإذا قال بسحرفه فقد بين أى الوقت من آخر الليل، و يكون توكيذا محضا قال تعالى:

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ* [سوره هود، الآية: ٨١] على هذا و العرب يقول: أتيتك بقطع من الليل، و بعد وهن من الليل إذا دخلت فى استحكامه، فأما قول ضميره شعرا:

بكرت تلومك بعد وهن فى التدى سهل عليك ملامتى و عتابى

فقال: بكرت ثم قال بعد وهن، و الوهن لا- يكون إلا- ليلا فالمعنى أول ذلك الوقت و قولهم: بكر عليه إذا لم يسمّ الوقت فإنما يعنى جاء فى أوله ليلا كان أو نهارا، و بها سميت الباكوره من الثمر و إن لم تذكر وقتا، و قلت أتاننا بكره فإنما تأويل ذلك أول النهار لا غير، هذا المستعمل بلا شرط، و ما تقدم فإن تذكر ما يدل عليه و كذلك اليوم إذا كان مطلقا إنما تعنى به النهار دون الليل و الألف و اللام يدل على يومك، إلا أن وصله بغيره فتقول: رأيت اليوم الذى مضى.

فصل آخر [فى بيان معنى البكره و العشى]

قوله تعالى: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا [سوره مريم، الآية: ٦٢] يريد على ما

اعتادوا في الدنيا و البكره ما اتصل بما قبله من الليل، و العشى ما يتصل به الليل و لا ليل في الجنه و لكن على ما ألفوا في الدنيا و تعودوه من الأوقات و مثله قوله تعالى: كَلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [سوره الإسراء، الآية: ٩٧] و لا خبو لنار المعاد و لكن عند ما علم من خبو نار الدنيا و انقضاء تصرّمها يجدد لأولئك العذاب، فأما قولهم المبكر فهو ما جاء في أول الوقت و ليس هو من بكور الغداه. و منه قوله عليه السلام: «بكروا بصلاته المغرب» و التبكير أول أوقات الصلاه. و منه قوله عليه السلام: «من بكر و ابتكر» فبكر يكون لأول ساعات النهار و يكون لأول وقت من الزوال و ابتكر لا يكون لأول ساعات النهار.

قال أبو العباس ثعلب: يجوز في قوله: ابتكر أسرع إلى الخطبه حتى يكون أول دان و سامع، كما تقول ابتكرت الخطبه و القصيده أى اقتضبتها و ارتجلتها ابتداء لم أرد فيه و قول الفرزدق: إبتكار كرم تقطف فالمراد حملت أول حملها و أنشدنى شيخنا أبو على، قال أنشدنى أبو بكر السراج لعنتره العبسى:

إن كنت أزمعت الفراق فإنما زمت جمالكم بليل مظلم

قال يقول: إنك ابنه ملك فلا- ير حل بك إلا ليلا فلذلك خفى. قال: و يجوز أن يكون المعنى إن كنت أظهرت رحلتك الآن فإنما وقع العزم عليه ليلا، كما قال الحارث بن جلزه شعرا:

أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضواء

كان المراد أمرهم فى الارتحال دبر بليل و لم يكن فلتته. و قول الشاعر عمرو ابن كلثوم شعرا:

و أيام لنا غرّ طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

أراد الأوقات لأنّ معصيتهم للملك كانت فى الليل و النهار، فإن قلت: كيف تكون الليالى غرا إلا ما يذكر من ليالى الشهر يقال ثلاث غرر و ذلك لبياضها بدوام القمر فيها؟

قيل: لم يرد بالغر بياض الوقت و وضوحه بضياء شمس أو قمر إنما أراد إسفاره و إشراقه و اشتهاره فى مواطن الشرف و المجد و السنا و الافتخار، و حميد البلاء، و حسن الآثار و لقاح الغرّه و امتناع الجانب على من يأتهم و كذلك قول القائل شعرا:

و أيامنا مشهوره فى عدوّنا لها غرر معلومه و حجول

و يجوز أن يريد فى الأول بالغر أيضا بياض المقادير كغره الفرس، فأما قولهم: أيامنا طابت ببلد كذا و المراد لياليها، فهو من هذا و لذلك قيل: لو أن إنسانا قال: عبدى حر لوجه الله يوم يقدم علينا فلان أنه يعتق و إن قدم ليلا، و على هذا قوله تعالى: اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ [سوره المائدہ، الآيه: ٣] قيل: أراد يوما بعينه و قيل: أراد زمنا و وقتا قال الدریدی:

و العرب تقول: كيف أصبحت من نصف الليل الآخر إلى نصف النهار؟ و كيف أمسيت من الزوال إلى نصف الليل؟ و يقولون: في يومك كان الليله كذا إلى الزوال، فإذا أزال الشمس قالوا كان البارحه. و حدث الجمحي قال: تقول العرب: صبحتك الأنعمه بطيبات الأطعمه.

و حدث أبو العباس المبرّد قال: أنشدني المازني عن أبي زيد:

كيف أصبحت كيف أمسيت ممّا ثبت الودّ في و داد الكريم

قال: المعنى و كيف أمسيت قال: و يقول العرب في مثله: ضربت زيدا عمرا لا يريدون بدل الغلط و لكن يريدون الواو. قال: و لو طال الكلام لكان أحسن مثل ضربت زيدا و أحسنت في ذاك عمر، أو معنى البيت أن كلّ واحده من هاتين اللفظتين و التّحيتين تغرس الود للمحبي بهما في قلب المحي، و مما استعمل من هذا الباب ظرفا و لم يستعمل اسما قولهم: إنه ليسار عليه صباح مساء معناه: صباحا و مساء و هذا عكس قولهم الليل إذا أرادوا به ليل ليله، لأنّ الليل أوقع فيه اسم الجنس على الواحد منه، و هذا أوقع فيه الواحد موقع الجنس و الكثره.

الباب الرابع في ذكر ابتداء الزمان وأقسامه

والتنبيه على مبادئ السنين في المذاهب كلها و ما يشاكل ذلك من تقسيمها على البروج يقال: إن الله تعالى خلق الخلق كله و الشمس برأس الحمل و الزمان معتدل و الليل و النهار مستويان، فأول الأزمنة فصل الصيف، و هو الذي يدعوه الناس الربيع و منه ابتداء سنة الفرس فكلما حلت الشمس برأس الحمل فقد مضت للعالم سنة عندهم، قال ابن قتيبه:

و لذلك قال أبو نواس شعرا:

أما ترى الشمس حلت الحمل و قام وزن الزمان فاعتدلا

و غنت الطير بعد عجمتها و استوفت الخمر حولها كمالا

لأن مراده استوفت الخمر حول الشمس كمالا فالهاء في قوله: حولها كناية عن الشمس قد مضى ذكرها، قال ثعلب: حولها تغلبها من حال إلى حال.

و قال المبرد: من ابتداء إبراق الكرم إلى استحكام العنب ستة أشهر، و من استحكام العنب إلى استحكام الخمر ستة أشهر، و ذلك عند حلول الشمس برأس الحمل فلذلك حول. و قال بعضهم: حول الخمر ستة أشهر و الضمير لها فهذا ما في هذا و قد قال أبو نواس في قصيده أخرى أولها شعرا:

أعطتك ريحانها العفارو حان من ليلك السفار

ثم قال:

تخيرت و النجوم وقف لم يتمكن لها المدار

و في هذا البيت معنى لطيف مليح و ذلك أن أصحاب النجوم و الحساب يقولون: إن الله تعالى حين خلق النجوم و جعلها واقعه في برج، ثم سيرها من هناك، فيريد أن هذه الخمره

تخيرت في وقت خلق الله تعالى الأفلاك، و الزوم تجعل ابتداء سنتها من الخريف، و هو زمان الاعتدال و الاستواء أيضا، فكلما حلت الشمس برأس الميزان فقد مضت سنه للعالم عندهم، و العرب تجعل السنه نصفين شتاء و صيفا و تبدأ بالشتاء فتقدمه على الصيف كأنها تعمد على أن مبادئ الأوقات فيه و أوائل النماء في العالم منه، ثم أول الصيف داخل عليه واصل و ما بعده مزلق منه و فيه يستقبل الأمور و يفتح لأنواع الخلق التدبير و يزدوج الأسباب و تلقح السحاب و يحيى الأرض بعد موتها و ينشر النباتات غب اندفانها و إلى هذا أشار أبو تمام في قوله:

لو لم تكن غرس الشتاء بكفه لاقى المصيف هشايما لا ثمر

و يشهد لذلك تقديم الله تعالى الشتاء على الصيف حين ذكر رحلتى قريش للتجاره و امتنّ عليهم بما مكن لهم في النفوس من الإجلال و المهابه لكونهم قطان الحرم و أرباب الأشهر الحرم، حتى أمنوا الزمان، و كانت العرب من غلب سلب فقال: لِيَلِافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ [سوره قريش، الآية: ١- ٢].

فابتداء الشتاء و هو النصف الأول من السنه من حين ابتداء النهار في الزيادة، و ذلك لحلول الشمس برأس الجدى و في برجه إلى انتهائه في الطول و ذلك لحلول الشمس في برج السرطان، و ابتداء الصيف و هو النصف الثاني من السنه من حين ابتداء النهار في التقصان، و ذلك لحلول الشمس في برج السرطان إلى حين انتهائه في القصر، و ذلك لحلول الشمس في برج الجدى و يقسمون الشتاء نصفين.

و الصيف أيضا نصفين، و منتصف كل واحد منهما استواء الليل و النهار و الاستواء الذي يكون في نصف الشتاء يسمّى الاستواء الربيعي و هو لحلول الشمس في برج الحمل، لأن الشتاء كله ربيع عندهم من أجل الندى، و لذلك تسميه الربيعين الأول ربيع الماء و الثاني ربيع النبات، و الاستواء الذي يكون في نصف الصيف يسمّى الاستواء الخريفي، و ذلك لحلول الشمس في الميزان فهذه أرباع السنه و فصولها الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف، و لكل فصل من فصول السنه ثلاثه أبراج من البروج الاثنى عشر لأنها ثلاثه أشهر.

فبروج الشتاء الجدى و الدلو و الحوت، و بروج الربيع الحمل و الثور و الجوزاء، و بروج الصيف: السرطان و الأسد و السنبله. و بروج الخريف: الميزان، و العقرب و القوس. و أوائل بروج هذه الفصول تسمى منقلبه و هي الجدى و الحمل و السرطان و الميزان، لأين في أوائل هذه الفصول ينقلب الزمان من طبيعه إلى طبيعه. و أوساطها و هي الدلو و الثور- و الأسد- و العقرب- تسمى ثابتته لأن في أوساط الفصول تثبت طبائع الزمان على حدّها و أواخرها و هي

الحوت- و الجوزاء- و السِّنبله- و القوس- تسمى ذوات جسدین لامتزاز طبيعه كل فصل بطبيعه الفصل الذى يليه. و ذكر بعضهم أنّ أهل الحجاز يجعل للسنة ستة فصول و سميا و شتاء و ربيعا فهذه أزمته الشتاء و صيفا و حميما و خريفا فهذه أزمته الصيف.

و اعلم أنهم يبدءون من الأوقات بالليل كما يتدئون من الزمان بالشتاء و لذلك صار التاريخ به من دون النهار، و إنّما كان عندهم كذلك لأن الظلمة الأول و الضياء داخل فيه و كل معتبرهم بمسير القمر فمستهله جنح العشاء و طلوعه تحت البيات. فلولا أنّ نوره و نور الشمس يجلوان الهواء لكان الظلام راكدا فهو أقدم ميلادا و أسبق أوانا، و ألد استمتعا، و أوتر مهادا و أغزر مطرا، و أروى سحابا، و أندى ظلا، و أهول جنانا، و أطيب نسима، و أفضل أعمالا. و لذلك قدمه الله تعالى فى رتبه الذكر و رتبه الوصف فقال تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا [سوره النبأ، الآيه: ١٠-١١] فرتبه الذكر ظاهره من التلاوه كما ترى، و رتبه الوصف أن السكن و اللباس مقدمان على السبح و المعاش فى متصرفات الأنام.

ثم بعد ذلك هما أخو الهدو و القرار اللذين منهما يتدئ النشاء و النماء. و قال تعالى عند الأقسام بالزمان: وَ اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى وَ النَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى [سوره الليل، الآيتان: ١-٢] وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] فلا- موضع أجرى ذكرهما إلا و الليل مقدم، ثم فضل تبديل المجتهد و ترتيل القارئ، و ابتهاج المستغفر فيه على ما يكون منها فى غيره فقال تعالى: وَ الْمُسِيءُ تَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ [سوره آل عمران، الآيه: ١٧] و فى موضع آخر: وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ [سوره الذاريات، الآيه: ١٨] إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ٦] كل ذلك لأنه الأول المقدم، و الأصل الموصل، و الأوان الممهّد للراحه و الوقت الموجه للرفاهيه، و كذلك قالوا عند المدح: ما أمره عليه بغمه و لا ليله عليه بسرمد. و قال النابغه:

فإنك كالليل الذى هو مدركى و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

فقال: كالليل و لم يقل كالصباح و إن كان المغر من كل لا يطاق و قال بعضهم: إنما قال كالليل لأنه كان عليه غضبان. و قد قيل الليل أخفى للويل و أخذ الفرزدق قول النابغه هذا شعرا:

و لو حملتنى الريح ثم طلبتنى لكنت كشيء أدركته مقادره

جعل الريح بإزاء الليل و الليل أعم، و المستحسن قول النبى صلى الله عليه و سلم: «نصرت بالزعب و جعل رزقى تحت ظل رمحى، و ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل» يعنى الإسلام،

و كما ندب المتعبد إلى التقرب فيه إليه. و قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم: **وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** [سوره الإسراء، الآية: ٧٩] أنبأ عن نفسه تعالى بمثله فيما يبرمه، و يقضيه، فقال تعالى: **فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** [سوره الدخان، الآية: ٤] يعنى فى ليله القدر التى هى خير من ألف شهر.

ثم قال الناس: هذا أمر دبر ليل، و ثبت الرأى، و هذا رأى مبيت و ليس القصد تفضيل الليل على النهار، و إنما المراد التنبيه على سبقه و على إصابه العرب فى تقديمه، و قد تكلمنا فى تصحيح طريقه العرب فيما قدّمناه من الآى التى شرحناها عند قوله تعالى: **وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ** [سوره يس، الآية: ٣٧] و ما يقتضيه لفظه السّليخ بكلام بين، و ذكر أبو حنيفه الدّينورى عن غير واحد من علماء الرّوايه أن العرب تبدأ فتقسم السّينه نصفين شتاء و صيفا، و تقدم الشّتاء على الصّيف و تجعله أول القسمين و هذا ضد صنيع الجمهور من أهل القرار و علماء الحساب، لأنهم يقدّمون الصّيف على الشّتاء.

و قد كان بين أهل العلم اختلاف قديما فى أنه أى أرباع السّينه أولى بالتقديم حتى رأوا أنّ ربيع الربيع الذى أوله حلول الشّمس برأس برج الحمل أولى بالتقديم فأطبقوا على تقديمه باتفاق، و لذلك أجمعوا فى عد البروج على الابتداء ببرج الحمل. و فى عد المنازل على الابتداء بالشّرطين، حتى لا- تجد فى ذلك مخالفا. هذا صنيعهم فى الأزمنه، فأما إذا صرت إلى سنّى الأمم وجدتهم فيها مختلفين. فمنهم من يفتتح السّينه فى ربيع الشّتاء، و منهم من يفتتحها فى ربيع الخريف، و منهم من يفتتحها فى ربيع الرّبيع كلّ ذلك قد فعلوا.

و ممن افتتحها فى الخريف أهل الشّام من السّيرانيين، ألا ترى أوّل سنتهم تشرين الأوّل و أنه صدر الخريف و ابتداء الوسمى، و لعل العرب أيضا كانت قد ابتدأت السّينه فى بدء الأمر على مثل ذلك، فجعلوا مفتحها فى أول الوسمى كما أنه يقدمه فى قسمه الأزمان و الأنواء. فثبتوا على أمرهم الأوّل فى تقديم الوسمى، و انتقل مدخل السّينه عن موضعه الأوّل ثمانين عدد أيام سنه القمر و سنه الشّمس من التّفاوت و الفصول إنما تتفضّل بمسير الشّمس لا بمسير القمر.

و إنّما توهمت هذا من صنيع العرب من أجل أنّ كثيرا من علماء الرّواه يزعمون أنّ شهرى ربيع إنما سمّي للربيع، و أن جماديين إنما سميتا للشّتاء و وجود الماء. و أن شعبان إنّما سمى شعبان لاشتعبا الطّعن إياهم عن المربع للمحاضر و أنّ شهر رمضان إنّما سمى رمضان لشده الحر و الرّمض و أنّ صفر أنسب إلى الزّمان الذى يسمّى الصّيفى، و هذا الذى ذكروا أمر قريب لا يبعد فى الوهم، لأننا على هذا الترتيب نجد أزمان السّينه عندهم، و مما يقوى هذا القول ما حكى عن الغنوى الأعرابى و عن غيره فإنه قال: جمادى عند العرب

الشَّتَاءُ كُلُّهُ قَالَ: وَيُقَالُ لِلْحَرِّ كُلِّهِ شَهْرُ نَاجِرٍ، كَمَا يُقَالُ لِلشَّتَاءِ كُلِّهِ جَمَادَى، وَكَانَ يَنْشُدُ بَيْتَ لَبِيدٍ فِي الْجُزْءِ شِعْرًا:

حَتَّى إِذَا سَلَخَا جَمَادَى سَتَهَجَزَاءُ فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا

بِخَفْضِ سِتِّهِ عَلَى إِضَافَةِ جَمَادَى إِلَيْهَا وَقَالَ أَرَادَ سِتَّهُ أَشْهُرَ الشَّتَاءِ، وَهِيَ أَشْهُرُ النَّدَى وَالْجُزْءِ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَنْشُدُهُ أَبُو عَمْرٍو وَالشَّيْبَانِيُّ خَفْضًا وَيَقُولُ: أَرَادَ جَمَادَى سِتَّهُ أَشْهُرَ فَعَرَفَ بِجَمَادَى. قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَيَشْهَدُ لِلْغَنَوِيِّ كَثْرَةَ ذِكْرِ الْعَرَبِ جَمَادَى إِمَّا بِبُرْدِ الزَّمَانِ وَإِمَّا بِكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ وَالْأَمْطَارِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ أَوْصَافِ الشَّتَاءِ وَلَوْ كَانَ قَصْدُهُمْ إِلَى ذِكْرِ الشَّهْرِ لَمَا تَطَاوَلَ لِسْرَعُهُ انْتِقَالِ الشَّهْرِ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَكُونُ مَرَّةً فِي صَبَارِهِ الشَّتَاءِ وَمَرَّةً فِي حِمَارِهِ الْقَيْظِ وَإِنَّمَا حَالُهُ فِي ذَلِكَ كَحَالِ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَأَنْتَ لَا تَجِدُ جَمَادَى مَوْصُوفَةً بِالْحَرِّ كَمَا تَجِدُهَا مَوْصُوفَةً بِالْبُرْدِ. قَالَ الشَّاعِرُ شِعْرًا:

فِي لَيْلِهِ مِنْ جَمَادَى ذَاتِ أَنْدِيهِلَا يَبْصُرُ الْكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا الطَّنْبَا

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَدَّمُوا الشَّتَاءَ عَلَى الصَّيْفِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ. وَأَنَّ الصَّيْفَ أَنْثَى، وَ لَمْ يَذْكُرُوا عَلَيْهِ تَذْكَيرَ الشَّتَاءِ، وَ تَأْنِيثَ الصَّيْفِ، وَ لَا - أَظُنُّهُ إِلَّا لِقِسْوَةِ الشَّتَاءِ وَ شِدَّتِهِ وَ لِينِ الصَّيْفِ وَ هُونِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَذْكُرُوا كُلَّ صَعْبٍ مِنَ الْأَعْمُورِ قَاسٍ شَدِيدٍ، حَتَّى قَالُوا: دَاهِيَهُ مَذْكَارٌ، وَ إِنْ كَانَتْ أَنْثَى فَصَعَّبُوهَا بِأَنَّ تَكُونَ تَنْتِجُ ذَكَورًا وَ حَتَّى قَالُوا أَرْضٌ مَذْكَارٌ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ مَخَافٍ وَ أَفْزَاعٍ، وَ قَالُوا: يَوْمَ بَاسِلِ ذَكَرٍ فِي شَرِّهِ وَ شِدَّتِهِ حَتَّى قَالَ الشَّاعِرُ شِعْرًا:

فَإِنَّكَ قَدْ بَعَثْتَ عَلَيَّكَ نَحْسًا شَقِيئًا بِهِ كَوَاكِبُهُ ذَكَورٌ

فَجَعَلَهَا مَعَ نَحْوِ سِتِّهَا ذَكَورًا لِيَكُونَ شَرُّهَا أَفْظَعُ وَأَصْعَبُ وَ (الصَّيْفِ) وَ إِنْ تَلَطَّى قَيْظُهُ وَ حَمَى صَلَاةً فَهُوَ هَيِّنٌ عِنْدَهُمْ إِلَى جَنْبِ الشَّتَاءِ، وَ الشَّتَاءُ يَبْرَحُ بِالْقَوْمِ وَ لِذَلِكَ قَالَتْ بِنْتُ الْحَسَنِ وَ قَدْ سَأَلَتْ عَنْهُمَا: أَيُّهُمَا أَشَدُّ فَقَالَتْ: وَ مَا جَعَلَ الْبَيْسَ مِنَ الْأَدْيَةِ تَقُولُ مِنْ يَقِيسُ الْبُؤْسَ وَ الضَّرَّ إِلَى أَذَى فَقَطُّ أَيُّ الشَّتَاءِ أَشَدُّ: (وَ الْبَيْسُ وَ الْبُؤْسُ) وَ أَحَدُ قَالِ الْفَرَزْدَقِ فِي نَعْتِ امْرَأَةٍ بِيضَاءٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ (لَمْ تَذُقْ بَيْسًا وَ لَمْ تَتَّبِعْ حَمُولَهُ مَجْحَدًا) وَ لِذَلِكَ لَا تَجِدُهُمْ يَشْتَكُونَ الضَّرَّ وَ سُوءَ الْحَالِ وَ الْهَزَالَ فِي الصَّيْفِ وَ لَا يَعْدُونَ أَنَّ يَصْفُوا أَوَارَهُ وَ صَخَدَهُ وَ عَطَشَهُ وَ إِذَا صَارُوا إِلَى الشَّتَاءِ عَجَّوْا مِنْ وَطْئِهِ وَ نَوَّهُوا بِأَسْمٍ مِنْ آسَى فِيهِ، وَ احْتَمَلَ الْكَلَّ وَ أَطْعَمَ الْمَصْرُورَ.

قَالَ الشَّيْخُ الَّذِي قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ فِي تَعْلِيلِ تَذْكَيرِ الشَّتَاءِ حَسَنًا وَ أَقْرَبَ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ لَمَا

كان إدراك الثمار في الربيعين و وضع الأحمال من الملائح و نتائج الخير في أصناف المعاش من الزرع و الصرع في الصيف، و إن كانت مبادئها في أوائل الشتاء ثم تمت حالا بعد حال فكانت تنتظر في آجالها وقتا بعد وقت انتظار ما في بطون الحاملات، فجعلوا الشتاء ذكرا و الصيف أنثى. و هذا شرح ما رماه الشاعر في قوله:

لو لا الذى غرس الشتاء بكفه لاقى المصيف هشايما لا تثمر

و ذكر أن منهم من يجعل الشتاء نصفين الشتاء أوله و الربيع آخره، و كذلك يجعل الصيف نصفين الصيف أوله و القيظ آخره.

و ذكر ابن كناسه أبو يحيى أن العرب تسمى الشتاء الربيع الأول و الصيف الربيع الآخر و أن أحدا منهم لم يذكر الخريف في الأزمنة لأن الخريف عند العرب اسم لمطار آخر القيظ، و هذا إذا توّمل أسفر عن أنهم يجعلون الربيع اسما للندى و الجزء، لكنهم فصلوه بالشتاء لشده برده ثم اشتهر الربيع اسما لما لان من طرفى الوقت.

حكى ابن الأعرابي عن الغنوى أنه قال: يلقي الرّاعى صاحبه فيقول: أين تربعت العام إذا سقطت الصرفة (١)؟ و سقوطه عند انصرام نصف السنه الشتويه. و قال الفراء ربيع القوم ميرتهم في أول الشتاء، و أبين من جميع ما ذكرنا أنهم يسمون الفرع المؤخر فرع الربيع و هو من الشتاء. و قال النابغه و قد جعل الحرب كالميره:

و كانت لهم ربيعه يحذرونها إذا خضخضت ماء السماء القنابل

١- الصرفة في القاموس منزله للقمر نجم واحد نير يتلو الدبره سمي لانصراف البرد و بطوعها، محمد شريف الدين عفا عنه.

الباب الخامس فى قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها

اعلم أنّ الشّمس تدور فى الفلك دورا طبيعيا، و هى لازمه له و عليها طريقها و القمر- و الكواكب الخمسه، و هى: عطارد- و الزّهره، و المريخ، و المشترى، و زحل. ربما كانت على هذا الفلك، و ربما مالت إلى الشّمال، و الجنوب، و يسمّى هذا الميل عرض الكواكب، و يسمّى هذا الفلك فلك البروج، و هى اثنا عشر: (الحمل)، و (الثور)، و (الجوزاء)، و (السرطان) و (الأسد)، و (السّنبله)، و (الميزان)، و (العقرب)، و (القوس)، و (الجدى)، و (الدلو)، و (الحوت)، و إنّما انقسم هذا الانقسام لأنّ الشّمس متى انتقلت فى دورانها من نقطه بعينها عادت إلى تلك النّقطه بعد ثلاث مائه و خمسه و ستين يوما و ربع يوم.

و فى دورها تستوفى فصول السنه التى هى الرّبيع، و الصيف، و الخريف، و الشّتاء.

و لهذه العلّه سميت هذه الأيام سنه الشّمس، و القمر يجتمع مع الشّمس فى مده هذه الأيام اثنتى عشره مره فجعلت الشّمس اثنتى عشر شهرا و سميت الشّهور القمرية، كما جعل الفلك اثنتى عشر برجا ليكون لكل شهر برج.

و أسماء شهور العرب: المحرم، و صفر، و الرّبيع الأول، و الرّبيع الآخر، و جمادى الأولى، و جمادى الأخرى، و رجب، و شعبان، و رمضان، و شوّال، و ذو القعدة، و ذو الحجّه.

قال الشّيخ: اختلف الناس فى أعداد أيام سنينهم، و هم متفقون فى عدّه الشّهور و اعتماد العرب فيها خاصه على الأهله، فكل اثنتى عشر هلالا عندهم سنه، فتكون عدد أيامها ثلاث مائه و أربعه و خمسين يوما.

قال أبو الحسن المعروف بالصّوفى: بين أصحاب الحساب من الرّوم، و الهند خلاف يسير فى مقدار هذا الكسر، فكان الأوائل من أهل الروم متفقين فى القديم على ربع يوم فقط، ثم استدرکوا فيه شيئا حقيرا.

و قال أبو حنيفة: ليس فى الأعمم أحفظ للفصول، و أوقات الأنواء و الطلوع من الروم، و لذلك من حلّ من العرب فى شق الشّام أعلم بهذا من غيرهم، ثم أنشد لعدى بن الرقاع:

فلا هنّ بالبهيمى و إياه مذ نشاجنوب لراش فاللها له، فالعجب

شباطا و كانونين حتى تعدّرت عليهن فى نيسان باقيه الشّرب

و إنما نصف عيرا و أتارعين البقل فى إبانه

و إنّما نصف عيرا و أتارعين البقل فى إبانه إلى أن هاج، و نضبت المياه. و هم يبدءون فيجعلون أوّل السّنه تشرين الأوّل، و يجعلونه أحدا و ثلاثين يوما. ثم تشرين الثّانى ثلاثين يوما، ثم كانون الأوّل واحدا و ثلاثين يوما، ثم كانون الثّانى واحدا و ثلاثين يوما و ربع، ثم شباط ثمانية و عشرين يوما، غير أنهم يجعلونه ثلاث سنين كلّ سنه منها ثمانية و عشرين يوما و فى السنه الرابعه تسعه و عشرين يوما، و تلك السنه تكون فى عددهم ثلاث مائه و سته و ستين يوما، و يسمونها الكبيسه.

و قال الخليل: يكون فى شباط فيما تزعمه الرّوم تمام اليوم الذى كسوره فى السّنين، فإذا تمّ ذلك اليوم فى ذلك الشهر، سمّى أهل الشّام تلك السنه عام الكبيس، قال: و هو يتيمّن به إذا ولد فى تلك السنه، أو قدم فيه إنسان. ثم آذار واحدا و ثلاثين يوما، ثم نيسان ثلاثين يوما، ثم أيار واحدا و ثلاثين يوما، ثم حزيران ثلاثين يوما، ثم تموز واحدا و ثلاثين يوما، ثم آب واحدا و ثلاثين يوما، ثم أيلول ثلاثين يوما، فتكون الزّيادات من الأيام خمسه أيام على ثلاث مائه و ستين يوما.

ثم أحبوا أن لا تغير أحوال فصول سنتهم على السّنين الكثيره و الدّهور المتابعه، فزادوا فى آخر شباط ربع يوم لتصير أيام سنتهم موافقه لأيام سنه الشّمس، و هى ثلاث مائه و خمس و ستون يوما و ربع يوم، و يكون ثلاث سنين متواليه كذلك فإذا تمت الأرباع فى أربع سنين تصير سنتهم فى السنه الرابعه التى تليه ثلاث مائه و سته و ستين يوما، و يصير شباط فى تلك السنه تسعه و عشرين يوما، و تسمى تلك السنه الزّابعه سنه الكبيسه، فكرهت الفرس أن يزيد فى سنتهم ربع اليوم لأنهم لو فعلوا ذلك لاضطروا إلى الكبيسه فى كل أربع سنين و لم يمكنهم ذلك لأنهم سمّوا أيام الشّهر بأسام.

زعموا أنّها أسامى الملائكه الذين يدرون أيام الشّهر و أسامى الأيام، هرمز، بهمن، اردبيهشت، شهرير، اسفندار، مذخرداد، مرداد، بيا، ذر، آذر، أبان، حوزماه، تير، جوش، ديمهر، مهر، سروش، رشن، فروردين، لوهرام، رام باذ، دنيدين، دين ارد، اشتاذ، اسمان، زامياذ، ماراسفند، انيران.

و أسماء الشهور اعتقدوا فيها مثل ذلك و هي: فروردین ماه، ارد بهشت ماه^(١)، خرداد ماه، تیر ماه، مرداد ماه، شهریور ماه، مهر ماه، ابان ماه، آذر ماه، دی ماه، بهمن ماه، اسفندیارمذماه.

و زعموا أنّ هرمز هو اسم الملك الذى يدبر أول يوم من الشهر، و بهمن اسم الملك الذى يدبر اليوم الثانى.

و كذلك الأسمى كلّها و سمّوا أيضا الأيام اللّواحق بأسماء الملائكة الذين زعموا أنّهم يدبرونها و هي: خونوذكاه، و استوذكاه، و اسفيدكاه، و مشتحرزكاه، و شتگاه. و قالوا إنّ كبسنا فى كلّ أربع سنين يوما فجعلنا اللّواحق ستة أيام فى هذا اليوم بلا مدبر، و سقط أول يوم من آذر ماه و استوحش هرمزد و قدر أنّهم يقصدونه ثم كانوا يكبسون فى كلّ مائه و عشرين سنة شهرا واحدا ليسوّوا بين الملائكة، و لا يستوحش أحد منهم و تصير سنتهم فى تلك السنة ثلاث مائه و خمسة و تسعين يوما و كانوا على ذلك إلى أن انقضت دوله الفرس و لم يكن فيهم من يمكنه فعل ذلك إلى أن كبس المعتضد مقدار ما كان قد مضى من سنة الكبيسه لكل أربع سنين يوما واحدا و جعل النيروز اليوم الحادى عشر من حزيران و فيه يقول الشاعر مادحاه شعرا:

يوم نيروزك يوم واحد لا يتأخر

من حزيران يوفى أبدا فى أحد عشر

و وضع الكبيسه على رسم الزوم و لا- يعمل ذلك إلا- ببغداد، فإنّهم يجعلون أول سنتهم فى التقويم يوم النيروز المعتضدى، و يستعمل فى سائر البلدان النيروز القديم.

و ذكر هذا الإنسان و هو أبو الحسين الصّوفى أنّ العرب كانت تكبس أيضا. ثم ذكر النسبى من قول الله تعالى: **إِنَّمَا النَّسَبُ** زيادةً فى الكُفْرِ [سوره التوبه، الآية: ٣٧] و قد تقدّم القول على ما قاله فيما مضى و بيّنا من تفسير الآية و الأخبار المرويّه ما أغنى.

و اعلم أنّ العرب لا تذهب فى تحديد أوقات الأزمنه إلى ما يذهب إليه سائر الأمم، و تجعل أول عدد الأزمنه فى تحديد أوقاتها، إلى ما يعرف فى أوطانها من إقبال الحرّ و البرد، و إدبارهما، و طلوع الثّبات و اكتهاله و هيج الكلاء و يبسه، و يذهب فى عدد الأزمنه إلى الابتداء بفصل الخريف و تسميه الربيع لأنّ أول الربيع و هو المطر يكون فيه- ثم يكون بعده فصل الشتاء- ثم يكون بعده فصل الصّيف- و هو الذى يسميه الناس الربيع و يأتى فيه الأنوار. و إنما

١- فى صبح الأعشى: أرديههشمته.

سمّوه صيفا لأنّ المياه عندهم تغل فيه و الكلاً يهيج، و قد يسمّيه بعضهم الرّبيع الثّانى، ثم يكون بعد فصل الصّيف فصل القيظ، و هو الذى يسمّيه الثّاس الصّيف فأوّل وقت الرّبيع الأوّل عندهم و هو الخريف ثلاثه أيام تخلو من أيلول. و أوّل الشّتاء عندهم ثلاثه أيام تخلو من كانون الأوّل، و أوّل الصّيف عندهم و هو الرّبيع الثّانى خمسّه أيام من آذار، و أوّل القيظ عندهم أربعه أيام تخلو من حزيران. و الخريف المطر الذى يأتى فى آخر القيظ و لا يكادون يجعلونه اسماً للرّمان.

و قال عدى بن زيد فجعله اسماً للرّمان فى خريف:

سقاء نوء من الدّلو تدلّى و لم يولّينى العراقى

و سماه خريفاً، لاختراف الثّمار فيه و الحطيئه ممن يجعله المطر و ذكر امرأه فقال:

و تبدو مصاب الخريف الجيالا. يريد أنّها تنقل إلى البدو لمصاب هذه المطره، فهذه حدود الأزمنه عندهم، ثم يجعلون لكل زمان صميماً يخلص فيه طبعه فيذكرون منه شهرين و يدعون شهراً لأنّ نصف شهر من أوله مقارب لطبع الرّمان الذى قبله، و نصف شهر من آخره مقارب لطبع الرّمان الذى بعده، فالخالص منه شهران فيسمّون شهريّ الشّتاء بالخالص شهريّ قماح قال الهذلى:

فتى ما ابن الأغر إذا شتوناو حبّ الرّاد فى شهريّ قماح

و سميا بذلك لأنّ الإبل فيهما ترفع رءوسها عن الماء لشده برده و الإبل القماح هى التى ترفع رءوسها. و قال بشر يصف سفينه:

و نحن على جوانبها قعودنغصّ الطّرف كالإبل القماح

و الإبل إذا رفعت رءوسها عن الماء غصّت أبصارها، و يدعون هذين الشّهرين ملحان و شيبان لبياض الأرض بالصّقيع و الجليد. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جلودهاالملحان أو شيبان و اليوم أشهب

فهذان شهر الشّتاء فشيبان من الشّيب و ملحان من الملح و هى البياض و قيل كبش أملح منه.

و قال قطرب: يقال لجمادى الأولى و الآخره شيبان و ملحان من أجل بياض الثّلج، قال: و قولهم مات الجندب و قرب الأشيب أى الثّلج، و يسمّون شهريّ القيظ اللّذين يخلص فيهما حره شهريّ ناجر و سمّيا بذلك لأنّ الإبل تشرب فلا تكاد تروى لشده الحر، و النّجر و البغر متقاربان و هو أن يشرب فلا يروى من الماء يقال نجر من الماء إذا امتلأ منه فكظمه،

و هو على ذلك يشتهيه قال ذو الرمة يصف ماء شعرا:

صرى أجنّ يروى له المرّ وجهه و لو ذاقه ظمآن فى شهر ناجر

و قال الشّماخ شعرا:

طوى ظمأها فى بيضه القيظ بعد ماجرت فى عنان الشّعربين الأماز

فهذان شهرا القيظ و لا أعلم أنّهم سمّوا شهري ربيع الثّانى باسم، إلا أنّهم يقولون:

حللنا ببلد كذا فى حدّ الربيع يريدون شهريه و قال أبو ذؤيب شعرا:

بها أبلت شهري ربيع كليهما فقد مار فيها نسؤها و اقترارها

النّسو بدو السّمّن و الاقترار أن تحثر بولها و هو من علامات السّمّن، قال رؤبه:

شهران مرعاها بقيعان الصّلق مرعى أنيق الثّبت مجاج الغدق

و قال ابن مقبل شعرا:

أقامت به حدّ الرّبيع و حازها أخو سلوه مسى به اللّيل أمّ ملح

يريد بأخى السّيلوه النّدى لأنهم فى رخاء و سكون ما دام النّدى عندهم و قولهم: مسى به اللّيل: أى جاء عند مجىء اللّيل، و

الأمّ ملح الأبيض، ربما ذكروا استيفاءها شهور الرّبيع الثّانى كلّها. قال حميد شعرا:

رعين المراز الجون من كلّ مذنب شهورا جمادى كلّها و المحرّما

قال: شهورا جمادى كلّها و هما شهران كما قال تعالى: فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ [سورة النساء، الآية: ١١] يريد أخوين

فصاعدا و لم يفعلوا ذلك فى زمن الخريف فيذكروا منه شهرين فيما علمت. و لا أحسب ذلك إلا لأنه لم يدعهم إلى ذكره شىء

كما دعا إليه شدّه البرد فى الشّتاء، و شدّه الحر فى الصّيف و القيظ، و وقت الجزء فى الرّبيع.

قال أبو حنيفة: النّياس مجمعون من تقديم البروج على برج الحمل. و من تقديم المنازل على الشّرطين، و فى ذلك دلالة على

تقديم فصل الرّبيع، و ذكره قبل سائر الفصول و هو لحلول الشّمس برأس الحمل، قال: و الفصل اسم جرى فى كلام العرب و

جاءت به أشعارهم، قال الشّاعر يصف حمير وحش شعرا:

نظائر جون يعتلجن بروضهلفصل الرّبيع إذ تولّت صبائه

و سَمِيَ فصلا لانفصال الحر من البرد، و انقلاب الزّمن الذي قبله، و يقال للفصول

أيضا: الفصيان و الواحده فسيه، و هي الخروج من حر إلى برد، و من برد إلى حر. و الفصيه تصلح في كل أوقات السينه متى خرجت من أذى إلى رخاء فتلك فسيه، و لا يستعمل الفصل إلّا في حينه، فأما الأصمعي فإنه قال: الفصيه: أن يخرج من برد إلى حر، و يقال: أفصى القوم و هم مفصون، و يقال: لو أفصينا لخرجت معك. و الشمس تحل برأس الحمل لعشرين ليله تخلو من آذار و عند ذلك يعتدل الليل و النهار، و يسمّى الاستواء الربيعي.

ثم لا- يزال النهار زائدا، و الليل ناقصا إلى أن يمضى من حزيران اثنتان و عشرون ليله، و ذلك أربع و تسعون ليله، فعند ذلك ينتهى طول النهار و قصر الليل، و ينصرم ربع الربيع، و يدخل الربع الذى يليه، و هو الصيف، و ذلك لحلول الشمس برأس السرطان، و يتدئ الليل بالزيادة، و النهار بالنقصان، إلى ثلاث و عشرين ليله تخلو من أيلول، و ذلك ثلاث و تسعون ليله، و عند ذلك يعتدل الليل و النهار ثانيه، و يسمّى الاستواء الخريفي، و ينصرم ربع الصيف و يدخل ربع الخريف، و ذلك لحلول الشمس برأس الميزان، و يأخذ الليل فى الزيادة و النهار فى النقصان، إلى أن يمضى من كانون الأول إحدى و عشرون ليله، و ذلك تسع و ثمانون ليله، و عند ذلك ينتهى طول الليل و قصر النهار، و ينصرم فصل الخريف، و يدخل فصل الشتاء، و يتدئ النهار فى الزيادة، و ذلك لحلول الشمس برأس الجدى إلى مصيرها إلى رأس الحمل، و ذلك تسع و ثمانون ليله و ربع فعندها ينصرم ربع الشتاء، و يدخل فصل الربيع، فعلى هذا دور الزمان فاعلمه.

الباب السادس في ذكر الأنواء، واختلاف العرب فيها

إشارة

و منازل القمر، مقسمة الفصول على السنه، و أعداد كواكبها و تصوير مأخذها ضاره و نافعه اعلم أنا نذكر من أمر الأنواء و مذهب جهال العرب فيها، و من صفه المنازل و البروج ما يحتاج إليه هذا الكتاب، و الدّاعى إليه أنهم كانوا ينسبون الأوقات إليها كثيرا، و كذلك ما نذكره من أحوال الشّمس و القمر، و كان في العرب من يسرف في الإيمان بها و نسبه الحوادث إليها، حتى أوهم كلامهم و إفراطهم أنّ السّيقيا و جميع ما يحمد منها، أو يذم إلى جميع ما ينقل فيه الأيام من خير و شر، و نفع و ضرر، و كلّ ذلك من الأنواء و بها. و هذا كماضفتهم إلى الكواكب أفعال صانعها، و تطابقتهم في التّيمن و التّشاؤم بها، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من آمن بشيء من ذلك فقد كفر بما أنزل علىّ».

و قد مرّ فيما تقدّم من الكتاب فصل كثير بين فيه فساد طريقتهم، و أنّ من عدل عنها و جعلها آيات يقيمها الله تعالى، تنبيهها على حكمته فيها، ليعتبر المعتبرون بها و يشكروا نعمه فيها، فقد برئت من الدّم ساحتها، و تباعد عن الإثم منهجه، على مثل ذلك يحمد قول عمر بن الخطاب حين خرج إلى الاستسقاء، فصعد المنبر و لم يزد على الاستغفار، ثم نزل فقيل: إنك لم تستسق، فقال: لقد استسقيت بمجاديح السّماء. قال أبو عمر و المجاديح و أحدها مجدح، و هو نجم من النّجوم كانت العرب تقول: إنّه يمطر به لقولهم في الأنواء.

قال أبو عبيد فسألت عنه الأصمعي، فلم يقل فيه شيئا و كره أن يتأوّل على عمر مذهب الأنواء، و قال الأموي: يقال فيه أيضا: المجدح بالضمّ و أنشد فيه قوله شعرا:

و أطعن بالقوم شطر الملوك حتّى إذا خفق المجدح

قال أبو عبيد: و الذي يراد من هذا الحديث أنه جعل الاستغفار استسقاء يتأوّل قوله تعالى: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً [سوره نوح، الآية

[١٠-١١] و إنما نرى أنّ عمر تكلم بهذا على أنها كلمه جاريه على ألسنه العرب ليس على تحقيق الأنواء، و لا التصديق بها، و هذا شبيه بقول ابن عباس في رجل جعل أمر امرأته بيدها، فطلّقت ثلاثا، فقال خطأ الله نوءها أ لا طلّقت نفسها ثلاثا. ليس هذا منه دعاء عليها أن لا- تمطر، إنّما هو على الكلام المنقول. و مما بين لك أنّ عمر أراد إبطال الأنواء و التكذيب بها بقوله: لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها الغيث. فجعل الاستغفار هو المجاديح لا الأنواء، و هذا القدر إذا ضمّ إليه ما تقدم في فصل يشتمل على تأويل الأخبار المرويّه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و بيان معتقدات العرب في الأنواء و البوارح، أغنى و كفى في عذر من يعذر، و ذمّ من يذم منهم و السلام.

قال أبو حنيفة يقال: ناء الكوكب ينوء نوأ و نوء، أول سقوط يدركه في الأفق بالغداه قبل انمحاق الكواكب بضوء الصّبح.

و الكوكب إذا وافاه الصّبح و هو مرتفع عن أفق المغرب لا- يزال الصّبح يوافيه كلّ غداه، و هو إلى الأفق أقرب، حتى يوافق موافاته الأفق انمحاق الكوكب لضوء الصّبح، ثم يكون سقوطه بعد ذلك، و الكواكب ظاهره فلا يزال سقوطه يتأخر كلّ ليله إلى أن يكون في أول الليل، فتراه على الأفق غاربا مع ظهوره للأبصار، ثم يستسر فلا- يرى مقداراً من الليالي ثم يكون أول رؤيته غامضا في ضياء الصّبح حين يبدو للأبصار. فالواجب أن يغرق ما بين الغروب الذي هو أول و بين الغروب الذي له النوء لأنّ الذي له النوء سقوط النجم بالغداه في المغرب بعد الفجر و قبل طلوع الشمس و طلوع رقيه في المشرق في ذلك الوقت، و لا يكون هذا إلا في غداه واحده من السنه للكوكب الواحد.

و أما السّقوط الذي هو أفول و استسرار، فإنّه يكون من أول الليل و ذلك أنّ هذا النجم الساقط بالغداه في أفق السّماء يرى بعد اليوم الذي يسقط فيه متأخّر السّقوط عن ذلك الوقت، فيسقط قبله و لا يزال يتأخر في كل يوم حتى يكون سقوطه في الليل، ثم يتأخر في الليل إلى أن يسقط في أول الليل في المغرب، ثم يستسر بعد ذلك فلا- يرى ليالي كثيره ثم يرى بالغداه طالعا في المشرق خفيا، فهذا سقوط الأفول، و قد أحسن الشّاعر في تحديد ذلك حين قال شعرا:

و أبصر الناظر الشعري مبيّنهلما دنا من صلاه الصّبح ينصرف

في حمرة لا بياض الصّبح أغرقهاو قد علا الليل عنها فهو منكشف

تهلّهل الليل لم يلحق بظلمته قوت النهار قليلا فهي تزدلف

لا يباس الليل منها حين تتبعه و لا النهار بها لليل يعترف

فهذا وقت الطلوع و السقوط و معنى قوله: تهلhel الليل أى تصير فى مشرقه حيث امتزج سواده بياض الصبح فهى فوت النهار، لأنه لم يطمسها بضوئه، و لم يلحق بظلمه الليل الخالصه، فهى بينهما، و الليل لا يأس منها، لأنها فى بقيه منه، و لا النهار يسلمها لليل لأنها فى ابتداء منه، و مراد الشاعر بهذا الوصف أن الأمر الذى وقته كان فى حمازة القيط، لأن الشعري تطلع بالغداه فى معمعان الحر.

قال الشيخ: أظن هذا الشاعر سلك فى تحديده للاستسرار طريقه زهير حين قال يصف شاهينا و حمامه شعرا:

دون السماء و فوق الأرض قدرهما فيما تراه فلا فوت و لا درك

فقوله: لا- فوت و لا- درك، كقول ذاك لا- يأس الليل منها، و لا النهار يعترف الليل بها، قال: و قال الكميت فى تحديد وقت الطلوع شعرا:

حتى إذا لهبان الصيف هب له و أفر الكالئين النجم أو كربوا

و ساق الشريان الفجر بعضهما فيه و بعضهما بالليل محتجب

فجعل طلوعها بين الليل و النهار كما جعله الأول. و معنى أفر النجم: يريد إذا صارت الثريا فى وسط السماء، فمن نظر إليها ففر فاه، أى فتحه، و معنى كربوا: قربوا و طعن قوم على الكميت فى هذا البيت، و حسبوا أنه أراد أن إحداهما طلعت قبل الفجر، فهى فى الليل، و أن الأخرى طلعت مع الفجر، فهى فيه، فقالوا: لا يجوز ذلك إلا فى ثلاثه فصاعدا، قال أبو حنيفة: و الذى قالوا كما قالوا، غير أنهم ذهبوا إلى غير مذهب الكميت، و لو أراد الكميت ما توهموا لكان قد أخطأ فى المعنى أيضا مثل ما أخطأ فى اللفظ، و ذلك أنه قال: و ساق الشريان الفجر.

فاعلم أن الفجر طلع قبلهما، فكيف يعود فيجعل إحداهما طالعه قبله، هذا بتعجيل، و بعد فإن الشعريين تطلعان معا. و إنما أراد أن بعضهما كليهما فى الليل و بعضهما كليهما فى النهار، إذا كانتا بين الليل و النهار، قال الشيخ الأكشاف فى بصره الكميت أن يقال أراد أن بعضيهما فى الليل و بعضيهما فى النهار، فيخرج البعض بالثنيه من أن يكون بمعنى أحد، و يستفاد منها أن الشعريين تطلعان معا، و أن القصد فى ذكرهما للتحديد، إلى أن تكونا بين الليل و النهار، و مع ذلك فقد ضيق على نفسه تضييقا شديدا، فأفرط فى التحديد إفراطا بعيدا، فإذا سمعتهم ينسبون إلى الطلوع و السقوط مرسلا غير مضاف إلى وقت، فاعلم أنهم إنما يريدون الطلوع و السقوط للذين يكونان بالغداه، و ذلك مثل قولهم إذا طلعت العقرب:

حمس المذنب، و مثل قولهم إذا طلعت الشعري: جعل صاحب النخل يرى، و مثل قول الشاعر شعرا:

فلما مضى نوء الثريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغضر

و مثل قوله:

هنا ناهم حتى أعان عليهم عزالى السحاب فى اغتماسه كوكب

فهذه السقوط و ما أشبهه هو بالغداة، و إذا ذكر ذلك من نجوم الأخذ خاصه فهو النوء، أ لا ترى أنهم لما أرادوا الطلوع بالغداة قالوا: إذا طلع النجم فالحرّ فى خدم، فجاء مرسلا غير مضاف. و لما أرادوا طلوعه لغير الغداة قالوا: إذا طلع النجم عشاء ابتغى الرّاعى كساء، فجاء مضافا إلى الوقت. و أما قول القائل: حين البارحة حين غاب النجم و ذهب ليله كذا، حين طلع السماك فإنما المراد بذلك، وقت المعجى ء و الذّهاب من تلك اللّيلة بعينها، و ليس من الأوّل فى شى ء، و منه قول الشاعر شعرا:

حتى إذا خفق السماك و أسحراو نبا لها فى الشّدّ أى نبال

و مثل قول الآخر:

فعرسن و الشعري تغور كأنها شهاب غضا يرمى به الرّجوان

و إذا جاء ذكر المغيب مرسلا، فالمراد حينئذ الغيبوبه التى هى ابتداء الاستسرار و ذلك قولهم: غرب الثريا أعوه من شرفها، و كقولهم: مطر الثريا صيف كلّ و هذا الغرب غير السقوط الذى هو النوء، و مطر نوء الثريا و سمي و من هذا الجنس قول الشاعر:

فيّمت سيرا سريع الرّجاء مائل من راجل يركب

مغيب سهيل صدور الرّكاب سيرا يشقّ على المعتب

فهذا كلّ غيبوبه الاستسرار، و لا يكون إلا بالعشيّات على أثر مغيب الشّمس ثم لا تراه بعد ذلك حتى يتمّ استساراه، ثم يكون أوّل ظهوره بالغدوات و قد اختلف الناس فى معنى النّوء: فبعضهم يجعله النّهوض، قال: لأنه سمي نوى الطلوع الرّقيب لا لسقوط الساقط، و هذا ليس بمنكر فى اللّغه، لأنّ هذه اللفظه تعدّ فى الأضداد، قال أبو حنيفه: هو النّهوض، و لكنّه نهوض الذى كأنه يميله شى ء فيجد به إلى أسفل، و زعم الفراء أنّ النوء السقوط و الميلان، و أنّ أبا ثروان أنشده فى صفه راع نزع فى قوس:

حتى إذا ما التّأمت مفاصله و ناء فى شقّ الشّمال كاهله

قال: يريد أنه لما نزع مال إليها، و قوله: التّأمت مفاصله فإنّه يعنى أنّه لزم بعضه بعضا

لشدّه النَّزْع. قال: و نرى أنّ قول العرب ما ساءك و ناءك من هذا، و معناه أناءك فألقى الألف للاتباع كقولهم: هتأنى الطّعام و مرّأنى، و كان ينبغي أن يكون أمرأنى.

قال أبو حنيفة: فأما من ذهب إلى أنّ الكوكب ينوء ثم يسقط، و إذا سقط فقد تقضى نوؤه، و دخل نوء الكوكب الذى بعده، فتأويله أنّ الكوكب إذا سقط النّجم الذى بين يديه أطلّ هو على السّيقوط، و كان أشبه شىء حالا بحال النّاهض و لا نهوض به، حتّى يسقط، لأنّ الفلك يجزّه الغور، فكأنّه متحامل عليه، يعنى قد غلبه. و يجمع النوء أنواء و نوانا. قال حسان بن ثابت رضى الله عنه شعرا:

و يثرب تعلم أنا بها إذا قحط القطر نواتها

و قال بعضهم: الحق فى ذلك مذهب الخليل الذى حكاه عنه مؤرج، و هو أنّ النّوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النّجم، لأنّ المطر نهض مع سقوط الكوكب، و اسم الكوكب الشاقط النّوء أيضا، فالشىء إذا مال فى السّيقوط يقال: ناء، و إذا نهض فى تناقل يقال ناء به، قال ذو الرمة فى وصف الرياك:

ينون و لم يكسين إلا قنازعامن الرّيش تنواء الفصال الهزائل

و ينوء الحمل الثّقيل إذا مال بالبعير، و يقال: المرأه تنوء بها عجيزتها، قال الشاعر:

لها حضور و أعجاز تنوء بها إذا تقوم يكاد الخصر ينخزل

و فى القرآن: ما إنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ [سوره القصص، الآية: ٧٦].

فصل فى ذكر أسماء المنازل و صفاتها

و هى نجوم الأخذ، قال الله تعالى: وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [سوره يس، الآية: ٣٩].

و هى ثمانيه و عشرون منزلا لا اختلاف فى ذلك، و تسمّى نجوما، و إن كان منها ما هو كوكب واحد، و كان منها ما هو أكثر، و قد قيل للثريا: النجم، و هو كالعلم لها و هى ستّه كواكب. و النّجم إن كان كالعلم، و قد شهرت به، فقد يقولون فى النّسبه هذا النّجم الثّريا إذا جعلوه اسما لجماعه كواكبها، و يقولون: هذه نجوم الثّريا إذا جعلوا كلّ كوكب منها نجما، ثم جمعوها. قال ذو الرمة:

لعالیه فى الأدحی بیضا بقفرهکنجم الثّریا لاح بین السّحاب

و قال الأعشى فجعله جمعا:

يراقبن من جوع خلاء مخافهنجوم الثريا الطالعات الشواخصا(١)

و قال أبو عبيده: يقال النجم، فيفرد اللفظ و المعنى للجمع، و أنشد قول الراعي:

فباتت تعدّ النجم في مستجير هسريع بأيدي الآكلين جمودها

يعنى ضيفه قراها جفنه، قد استجار فيها الدّهم، فهى ترى نجوم الليل فيها. و أمّا الكوكب فلا نعلمه يقع إلا على واحد فقط، و قال الآخر فى منازل القمر فسماها نجوما:

و أخوات نجوم الأخذ إلّا أنضها نضه محل ليس قاطرها يثرى

قال أبو عبيده: نجوم الأخذ: منازل القمر، سميت نجوم الأخذ، لأخذه كلّ ليله فى منزل. و قال أبو عمرو الشيبانى: الأخذ: نزول القمر منزله، يقال: أخذ القمر نجم كذا إذا نزل به. و أنشد أبو عمرو شعرا:

و أمست نجوم الأخذ غيرا كأنها مقطره من شدّه البرد كسف

و قال: مقطره من القطار، أراد تناسقها، و مراد الشاعرا كسوفها، لأنها متناسقه فى الخصب و الجذب. و كان على كل حال، و كسوفها ذهاب نورها لشده الزمان و ذلك لما يعرض فى الهواء من الكدر و لا يجلوه، قال أبو الطمحان القتبى: تذكر حميرا وردت عيوننا.

و تراها نجوم الأخذ فى حجراتها و تنهق فى أعناقها بالجداول

و قال أبو حنيفة: أول ما تبدءون به من المنازل الشيطان، و لما كانت العرب تقدّم الشتاء كان أول أنوائها مؤخر الدلو، و هو الفرع المؤخر، و نوؤه محمود الوقت، عزيز الفقد، و هو أول الوسمى، ثم بطن الحوت و هو الذى يسميه الرشاء و لا يذكر نوؤه لغلبه ما قبله عليه.

و اعلم أنّ المنازل تبدو للعين منها فى السّماء أبدا نصفها، و هو أربعة عشر، و كذا البروج يبدو نصفها، و هو ستة لأنه كلّما غاب واحد منها طلع من المشرق رقيب و سقوط كلّ منزل فيه ثلاثه عشر يوما سوى الجبهه، فإنّ لها أربعة عشر يوما لأنّها خضت بالليله الباقية من أيام السّينه الثلاث مائه و الخمسه و الستين، و فصلت بذلك على سائرهما، لغزاره نوئها، و كثره الانتفاع بها، و يكون انقضاء الثمانيه و العشرين، و انقضاء الاثنى عشر مع انقضاء السنه.

و لَمَّا كَانَتِ السَّيِّئَةُ أَرْبَعَهُ أَجْرَاءَ صَارَ لِكُلِّ رِبْعٍ مِنْهَا سَبْعَةُ مَنَازِلَ، وَ هِيَ الْأَنْوَاءُ وَ أَسْمَاؤُهَا: الشَّرْطَانُ - البَطِينُ - الثَّرِيَا - الدَّبْرَانُ - الهَقْعَةُ - الهَنْعَةُ - الذَّرَاعُ - الثَّنْزَةُ - الطَّرْفُ (١) - الجَبْهَةُ - الزَّبْرَةُ - الصَّيْرَفَةُ - العَوَّاءُ - السَّيِّمَاتُكَ الْأَعْزَلُ - الغَفْرَةُ (٢) - الزَّبَانِيُّ - الإِكْلِيلُ - القَلْبُ - الشُّوْلَةُ - النَّعَائِمُ - البَلْدَةُ - سَعْدُ الذَّابِحِ - سَعْدُ بَلْعٍ - سَعْدُ السَّعُودِ - سَعْدُ الْأَخْبِيَةِ - الفَرِغُ الْأَوَّلُ - الفَرِغُ الثَّانِي - الرَّشَا (٣) - فَهَذِهِ ثَمَانِيَةٌ وَ عِشْرُونَ نَجْمًا هُنَّ أَمَهَاتُ الْمَنَازِلِ.

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: وَ قَدْ يَدْعُونَ مَعَهَا نَجْمًا أُخْرَ إِذَا قَصَرَ الْقَمَرُ أحيانًا عَنْ هَذِهِ الْمَنَازِلِ نَزَلَ بِبَعْضِ تَلْكَ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْقَمَرَ لَا يَسْتَوِي سِيرَهُ فِيهَا، لِأَنَّكَ تَرَاهُ بِالْمَنْزَلِ ثُمَّ تَرَاهُ وَ قَدْ حَلَّ بِهِ فِي الشَّهْرِ الْآخِرِ، فَتَجِدُ مَكَانِيَهُ مُخْتَلِفِينَ فِيهِ، إِذَا أَنْعَمْتَ حَفْظَهُ وَ ضَبَطْتَهُ، وَ لِهَذِهِ الْعِلَّةُ يَخْلُطُونَهَا بِالْمَنَازِلِ، حَتَّى رُبَّمَا جَعَلَ لِبَعْضِهَا فِي الْأَنْوَاءِ حَظًّا.

(١) أَمَّا الشَّرْطَانُ فَهِيَ كَوْكَبَانِ عَلَى أَثَرِ الْحَوْتِ مَفْتَرِقَانِ شِمَالِي وَ جَنُوبِي بَيْنَهُمَا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ قَدْرُ ذِرَاعٍ، وَ إِلَى جَانِبِ الشَّمَالِيِّ مِنْهُمَا كَوْكَبٌ صَغِيرٌ ذَكَرَ أَنَّهُمَا بِهِ سَمِيَّتِ الْأَشْرَاطُ، وَ الْوَاحِدُ مِنْهُمَا شَرْطٌ مُتَحَرِّكٌ، وَ قَدْ ذَكَرَ عَنِ الْعَرَبِ شَرْطٌ بِالْإِسْكَانِ قَالَ كَثِيرٌ فِي جَمْعِهِمَا شَعْرًا:

عَوَادٌ مِنَ الْأَشْرَاطِ وَ طَفٌّ نَقْلُهُارَوَائِحُ أَنْوَاءِ الثَّرِيَا الْهَوَاطِلُ

وَ قَالَ الْكَمِيْتُ فِي الْإِفْرَادِ:

مِنْ شَرْطِي مَرْتَعَنٌ تَجَلَّتْ عِزَالٌ بِهَا مِنْهُ بِتَجَاجِهِ سَحْلٌ

وَ لَيْسَ يَمْنَعُ تَحْرِيكُهُ فِي التَّنْسِبِ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْوَاحِدُ شَرْطًا يَأْسُكَانُ وَ إِذَا نَسَبْتَ إِلَيْهَا لَمْ يَنْسَبْ إِلَّا بِالْجَمْعِ أَوْ الْإِفْرَادِ، فَأَمَّا مَثْنَى فَلَمْ نَجِدْهُمْ قَالُوا شَرْطَايَ. قَالَ الْعَجَّاجُ فِي الْجَمْعِ:

مِنْ بَاكِرِ الْأَشْرَاطِ أَشْرَاطِي

. وَ هَذَا قَلِيلٌ.

قَالَ الشَّيْخُ: الْجَمْعُ قَدْ نَسِبَ إِلَيْهِ إِذَا جَعَلَ عِلْمًا أَوْ أَجْرَى مَجْرَى الْعِلْمِ، فَالْعِلْمُ كَقَوْلِهِمْ: كَلَابِيٌّ وَ أَنْمَارِيٌّ وَ مَدَائِنِيٌّ وَ مَا أَجْرَى مَجْرَى الْعِلْمِ أَشْرَاطِيٌّ، قَالَ وَ يَقُولُونَ: الشَّرْطَانُ قَرْنَا الْحَمْلَ، وَ يَسْمُونَهَا النَّطْحَ أَوْ النَّاطِحَ، وَ بَيْنَ يَدَيِ الشَّرْطَيْنِ كَوْكَبَانِ شَبِيهَانِ بِالشَّرْطَيْنِ، يُقَالُ لِهَذَا الْأَنْثِيَانِ. قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: ذَكَرَ الرَّوَاهُ أَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُهُمَا مِمَّا يَقْصُرُ الْقَمَرُ، فَيَنْزِلُ بِهِ وَ يَجْعَلُونَ لَهُمَا فِي الْأَنْوَاءِ حَظًّا.

١- بعضهم يسميها الطرفه.

٢- الغفره.

٣- منهم من يسميه: بطن الحوت.

(٢) و أما البطنين فتلقبه كواكب خفيه كأنها نقط الشاء، و هو على أثر الشرطين بين يدى الثريا، و قد يتكلمون به مكبرا، فيقولون: البطن، و يزعمون أنه بطن الحمل.

(٣) و أميا الثريا فهي النجم لا يتكلمون بها مكبره، و هي تصغير ثروى، مشتقا من الثروه، و كأنه تأنيث ثروان، و النجم كالعلم له يقال له: طلع النجم، و غاب النجم و أنشد للمرار شعرا:

و يوم من النجم مستوقديسوق إلى الموت نور الطبا

و قال شعرا:

إن النجم أمسى مغرب الشمس طالعاو لم يك فى الآفاق برق ينيها

قال الشيخ: هذا كما اشتهر عبد الله بابن عباس و صار كالعلم له، و كان له إخوه، قثم و غيره، فلم يشتهروا به، و يقولون: الثريا إليه الحمل.

(٤) و أما الدبران فالكوكب الأحمر الذى على أثر الثريا بين يديه كواكب كثيره مجتمعه من أدناها إليه كوكبان صغيران يكادان يلتصقان، يقول الأعراب: هما كلباه، و البواقى غنمه، و يقولون: قلاصه، قال ذو الرمه شعرا:

وردت اغتشافا و الثريا كأنها على قمه الرأس ابن ماء محملى

يدف على آثارها دبرانها فلا هو مسبوق و لا هو يلحق

لعشرين من صغرى النجوم كأنها و إياه فى الخضراء لو كان ينطق

قلاص (١) حداها راكب متعمم

إلى الماء من قرن التنوفه مطلق

قرن التنوفه أعلاها- و المطلق الذى يطلب ليله الماء و بعده القرب للورد، و يسمى دبرانا لدبوره الثريا، كما قيل: إيبان و صميان، و سمي تالى النجم، و تابع النجم. و قد يطلق فيقال: التابع، و يقال أيضا حادى النجم، و من أسمائه المجدح بالضم و الكسر فالضم حكاه الشيبانى، و الكسر حكاه الأموى، و المنجمون يسمونه قلب الثور و قولهم: الدبران مما اختص و جرى مجرى العلم.

(٥) و أما الهقعه فهي رأس الجوزاء ثلاثه كواكب صغار مثفاه، و تسمى الأثافي تشبها بها.

حكى عن ابن عباس أنه قال لرجل: طلق عدد نجوم السماء يجزئك منها هقعه

الجوزاء، و قد يقال للدَّابره يكون الشَّق الفرس الهقعه، و هى تكره، يقال فرس مهقوع.

(٦) و أمّا الهنعه: فكو كبان بينهما قيد سوط، و هما على أثر الهقعه و لتقاصرها عنها سمّيت الهنعه. و الذراع المبسوطه بينهما منحطه عنهما و يقال: أكمه هنعا إذا كانت قصيره، و تهانع الطائر إذا كان طويل العنق فقصّرها.

و قال ابن كناسه: يقال للهنعه الزرق الميسان، فإنما ينزل القمر بالتّحايى و هى كواكب ثلاثه بإزاء الهنعه و الواحده منها تحياه.

(٧) و أمّا الذراع فهى ذراع الأسد المقبوضه، و للأسد ذراعان مقبوضه و مبسوطه، (فالمقبوضه) منهما هى اليسرى، و هى الجنوبيه، و بها ينزل القمر و سمّيت (مقبوضه) لتقدّم الأخرى عليها، و المبسوطه منهما هى اليمنى و هى الشّماليه، و كلّ صوره من نظم الكواكب فميامنها مما يلى الشّمال و مياسرها مما يلى الجنوب، لأنّها تطلع بصدورها ناظره إلى المغارب فالشّمال على أيّمانها، و الجنوب على أيسارها. و قد فهم ذلك القائل و النّجوم التى تتابع بالليل و فيها ذات اليمين، ازورارها على أيّمانها إطفاه منها بالقطب.

و قال أبو حنيفه: أنت ترى الكوكب يدرأ من مطلعته من الأفق الشّرقي فلا يستقيم مضيئه إلى مقابل مطلعته من الأفق الغربى فى المنظر، و لكن تراه يتجانف إلى القطب، و لذلك قال الشاعر شعرا:

و عاندت الثريا بعد هدهد معانده لها العيوق جار

لأنّها تركت القصد فى المنظر، فذلك معاندها، و علّه ذلك ما بينه الكميّ فى قوله:

مالت إليه طلائنا(١) و استطيف به

كما تطيف نجوم الليل بالقطب

و أحد كوكبى الذراع المقبوضه هى الشّعري الغميصاء، و هى تقابل الشّعري العبور، و المجرّه بينهما و قد تكبر يقال الغميصاء، قال أبو عمر و هى الغميصاء و الغموص و يقال لكوكبها الأحمر الشّمالي المرزم، مرزم الدّراع و هما مرزمان هذا أحدهما، و الآخر فى الجوزاء قال:

و نائحه صوتها رابع بعثن إذ أخفق المرزم

و يروى إذا ارتفع المرزم فهذا المرزم هو الذى فى الدّراع، لأنّ مرزم الجوزاء لا نوع له، و ليست من المنازل، و قد ذكرا جميعا بالنّوع على ذكر الشّعريين و السّماكين. قال جدار:

أحتبك جد المرزمين متى ينجدا بنوال تغورا

و قال ابن كناسه: الذراع المقبوضه بأسرها هي المرزم.

و حكى مثل ذلك عن الغنوى، و من أحاديثهم: كان سهيل و الشعريان مجتمعاه فانحدر سهيل فصار يمانيا، و نعتة العبور عبرت إليه المجره و أقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل، حتى غمصت، و الغمص فى العين ضعف و نقص، و قالوا: ربما عدل القمر فزلّ بالذراع المبسوطه.

(٨) و أما النثره فتلاثة كواكب متقاربه، أحدها كأنه لطحه، يقولون: هي نثره الأسد، أى أنفه، قال ذو الرّمه شعرا:

مجلجل الرّعد عراصا إذا ارتجست نوء الثريا به أو نثره الأسد

أنث: فعل النوء و هو ذكر، لأنه أضافه إلى الثريا، و ليس بمنفصل منها، و يسمّى اللطحه اللّهاه. و قال الآخر:

فهدّم ما قد بنته اليدان حولين و الأنف و الكاهل

و ذكر الهدم و البناء هاهنا كقول الآخر:

على كلّ مؤاز الملاط تهدمت عريكته العلياء و انضمّ حاله (١)

رعته الفيافى بعد ما كان حقبرعاها و ماء الرّوض ينهلّ ساكبه

فأضحى الغلاقد جدّ فى برء قصبه و كان زمانا قبل ذاك يلاعبه

(٩) و أما الطّرف: فكوكبان يتدثان الجبهه بين يديها يقولون: هما عين الأسد.

(١٠) و أمّا الجبهه: فجبهه الأسد، قال: إذا رأيت انجما من الأسد جبهه أو الخراه و الكتد، و هي أربعة كواكب خلف الطّرف معترضه من الجنوب إلى الشّمال، سطرًا معوجًا، و بين كلّ كوكبين منها قيس الذّراع، و الجنوبي منها هو الذى يسمّيه المنجمون: قلب الأسد.

(١١) و أما زبره الأسد: فهي كوكبان على أثر الجبهه، بينهما قيد سوط و الزّبره كاهله، و فروع كتفيه، و يسمّيان الخراتين الواحده خراه.

(١٢) و أمّا الصّيرفه فكوكب واحد تير على أثر الزّبره، يقولون: هو قنب الأسد، و القنب وعاء القضيب، و سمّيت صرفه لانصراف الحر عند طلوعه غدوه، و انصراف البرد عند سقوطه غدوه.

١- لأبى تمام حبیب بن أوس الطائى.

(١٣) و أمّا العوّاء فإنّ ابن كناسه جعلها أربعه أنجم، و هي خمسه لمن شاء و من شاء ترك واحدا إلا أنّ خلقتها خلقه كتاب الكاف غير مشقوقه، و ليست تيره و هي على أثر الصرفه، و زعم أبو يحيى أنها سميت العوّاء بالكوكب الرابع الشمالي منها، و إذا عزلت عنها هذا الكوكب الرابع كانت الباقية مثفاه الخلقه و هم يجعلون العوّاء و ركي الأسد، و أحسب هؤلاء تأولوا اسمها، و المحاش حشوه البطن و العوّاء تمد و تقصر، قال الراعي:

و لم يسكنوها الجزء حتّى أظللها سحاب من العوّا و ثابت غيومها

و يقال لها عوّاء البرد، يزعمون أنّها إذا طلعت أو سقطت أتت ببرد.

(١٤) و أما السّماك فهما سماكا الأعزل، و القمر ينزل به و لا ينزل بالآخر و هو الزّامح و سمّي رامحا لكوكب صغير بين يديه يقال له: رايه السّماك و به سمّي رامحا، و يسمّى الآخر الأعزل، لأنه لا شىء بين يديه كأنه لا سلاح معه و قال كعب بن زهير شعرا:

فلما استدار الفرقدان زجرتها و هبّ سماك ذو سلاح و أعزل

و قال الطّرمّاح:

مهاهن صيب نوء الرّبيع من الأنجم العزل و الزّامحه

و هم يجعلون السّماكين ساقى الأسد، و أحد السّماكين جنوبي، و هو الأعزل و الآخر و هو الزّامح شمالي، و قال ابن كناسه: ربما عدل القمر فنزل بعجز الأسد، و هي أربعه كواكب، بين يدي السّماك الأعزل، منحدره عنه فى الجنوب، و هي مربعه على صوره النّعش، و يقال لها: عرش السّماك، و تسمّى أيضا الأحمال، و تسمّى الجناء، و هم يجعلون لها حظا فى الأنواء، قال ابن أحمر يصف ثورا:

باتت عليه ليله عرشيه شربت و بات إلى نعى متهدّدا

شربت لجت، و المتهدّد المتهدّم، لا تماسك لمحضره و كان المنجمون يسمّون السّماك الأعزل السّنبله لسموكة، سمّى سماكا و إن كان كلّ كوكب قد سمك فهو كقولهم الدّبران.

(١٥) و أمّا الغفر: فثلاثه كواكب بين زباني العقرب، و بين السّماك الأعزل خفيه على خلفه العوّاء. قال ذو الرّمه:

فلما مضى نوء الثّريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغفر

و العرب تقول خير منزله فى الأيد بين الزّباني و الأسد، يعنون الغفر، لأنّ السّماك

عندهم من أعضاء الأسد، فقالوا: يليه من الأسد ما لا يضر الذنب يدفع عنه الأظفار و الأنياب، و يليه من العقرب ما لا يضر الذنابي يدفع عنه الحمه.

(١٦) و أمّا الزباني و هما زبانيا العقرب: أى قرنائه، و هما كوكبان مفترقان بينهما فى المنظر أكثر من قامه الرجل، و يقال لهما: زباني الصّيف لأنّ سقوطهما فى زمان الحر، قال ذو الرمه:

يا قد زفت للزباني من بوارحها هيف أنست بها الأصناع و الخبر

الأصناع محابس الماء و الواحد صنع، و الخبر جمع خبره و هى أرض يكون بها السدر، و يدوم فيها الماء يريد أن رياح الزباني أنضبت المياه، و قيل: يسمّى أهل الشام زباني العقرب يديها.

(١٧) و أمّا إكليل العقرب رأسها، و هى ثلاثة كواكب معترضه بين كل كوكبين قيد ذراع، قال جرّان:

العود بمطرقين على مثنى أيامهم راموا التّزول و قد غار الأكاليل

جعل كلّ كوكب منها إكليلا.

(١٨) و أمّا القلب، قلب العقرب و الكوكب النّير الأحمر الذى وراء الإكليل سيره كوكبان، و هم يستحسنونه. قال شعرا:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنّه سواء عليكم بالتّحوس و بالسّعد

(١٩) و أمّا الشّوله فإبره العقرب، كذلك يسمّيها أهل الشّام، و هى كوكبان مضيئان صغيران متقاربان فى طرف ذنب العقرب، و قالوا: ربما قصر القمر فنزل بالغفار فيما بين القلب و الشّوله. و الغفار أحد كواكب ذنب العقرب، يجعلون كلّ كوكب منها فقره، و هى ست فقر، و السّابعه الإبره. قال ابن كناسه: الشّوله التى ينزل بها القمر: حذاء القلب فى حاشيه المجره، و ليس هناك شوله، و لكنّ القمر إنّما ينزل بالشّوله على المحاذاه و لا ينحط إليها لأنّها منحدره عن طريقته و هاهنا يقطع القمر المجره إذا هو فارق العقرب، و مضى نحو السّعود لأنّ المجره تسلك بين قلب العقرب و بين النّعائم، منقطع نظام المنازل فى هذا الموضع.

و فى موضع آخر و هما بين الهقعه و الهنعه، لأنها تسلك أيضا بينهما فيعرض نظام المنازل اعتراضا، و هاهنا أيضا يقطع القمر و سائر الكواكب المحاذيه للمجرّه، و ذلك حين ينحدر عن غايه تعاليها إلى ذروه القبه فى الهبوط، فأما قطعها إياها عن السّعود فذلك حين

يبتدئ الصُّعود بعد غايه الهبوط، و يسمّى الشُّوله شوله الصُّوره، و هى منغمسه فى المجره.

(٢٠) و أمّا النّعائم فثمانيه كواكب، أربعة فى المجره و هى النّعائم الوارده، و أربعة خارجه عن المجره و هى النّعائم الصّادره، و هى منحدره، و كلّ أربعة منها على شبه بالتربيع، و فوقها كوكب إذا تأملتته مع كوكبين من النّعائم الوارد شبهتها به قبه، و إنّما قيل: واردا لشرعه فى المجره، و قيل: الصّادر لمجيئه عنها.

(٢١) و أمّا البلده فرقعها من السّماء لا كوكب بها بين النّعائم و بين سعد الذّابح، ينزلها القمر، و يقولون: ربّما عدل القمر أحيانا فنزل بالقلاده و هى سته كواكب صغار، خفيه فوق البلده، مستديره تشبه بالقوس، و يسمّوها العامه القوس و يسمّى موضع النّعائم الوصل.

(٢٢) و أمّا سعد الذّابح: فكوكبان غير تيرين، و كذلك السّعود كلّها و بينهما فى رأى العين قيس الذّراع و (ذبحه) كوكب صغير قد كاد يلزق بالأعلى منها، تقول الأعراب: هو شاته التى تذبح. قال الطّرماح شعرا:

ظعائن شمن قريح الخريف من الفرغ و الأنجم الذّابحه

قريحه: أوّله.

(٢٣) و أمّا سعد بلع: فنجمان نحو من سعد الذّابح أحدهما خفى جدا، و هو الذى بلعه أى جعله بلعا كأنه مسترط(١)، و ذكر أنه سمّى بلعا لأنه طلع حين قيل: يا أرضُ ابلعى ماء كِ [سوره هود، الآية: ٤٤] و هذا لست أدرى ما هو.

(٢٤) و أمّا سعد السّعود: فكوكبان أيضا نحو من سعد الذّابح، و سمّى سعد السّعود بالتّفضيل عليهما، و لأن الزّمان فى السّعدين اللّذين قبله قسا، و طلوع سعد السّعود يوافق منه لنا فى برده، قالوا: و ربما قصر القمر، فينزل بسعد باثره، و هو أيضا كوكبان أسفل من سعد السّعود. قال الكميت شعرا:

و لكن بنجمك سعد السّعود طبقت أرضى غيثا درودا

(٢٥) و أمّا سعد الأخيه: فثلاثه كواكب متحاذيه، فوق الأوسط منها كوكب رابع، كأنها به فى التمثيل رجل بظّه.

و قيل: إنّ السّعد منها واحد، و هو أنورها و إنّ الثلاثه أخيه، و قيل: سمّى بالأخيه لأنه

١- فى القاموس سرت كنصر و فرح سرتا و سرتانا محركتين ابتلعه كاسترطه و تسرطه. ١٢- القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

إذا طلع انتشرت فخرج منها ما كان مختبئا في البرد، لأنّ طلوعه في وقت الدّفاء، و السّعود متناسقه بعضها على إثر بعض.

(٢٦) و أمّا الفرغ الأول: فهو فرغ الدّلو، و الدّلو أربعة كواكب مربعه واسعه، بين كل كوكبين قدر قامه الرّجل، أو أكثر في رأى العين، فهم يجعلون هذه الكواكب الأربعة عراقى الدّلو. قال عدى بن زيد في خريف شعرا:

سقاء نوء من الدّلو تدلّى و لم يوار العراقى

و فرغ الدّلو: مصبّ الماء من بين العراقى و قد يقولون لهما العرقوه العليا و العرقوه السفلى. قال: (قد طال ما حرمت نوء الفرغين).

(٢٧) و أمّا الفرغ الثانى: و هو العرقوه السّفلى فكمثل الفرغ الأول، و قد يقال للفرغ الأول: ناهزا الدّلو المقدمان و للفرغ الأسفل: ناهزا الدّلو المؤخّران. و النّاهز الذى يحرك الدّلو ليمتلئ، و قالوا: يقصر القمر أحيانا فينزل بالكرب، و الكرب الذى وسط العراقى الأربع، و الكرب من الدّلو ما شدّ به الحبل من العراقى. و قالوا: ربما نزل ببلده الثّعلب، و هو بين الدّلو و السّمكه من عن يمين المرفق.

(٢٨) و أمّا الرّشاء و هو السمكه: فكواكب فى مثل حلقة السّمكه، و فى موضع البطن منها من الشّق الشّرقى نجم منير ينزل به القمر يسمونه بطن السّمكه. و المنجّمون يسمونه:

قلب الحوت. و يقال لما بين المنازل: الفرج. فإذا قصر القمر عن منزله و اقتحم التى قبلها فنزل بالفرجه، بينما استحبوا ذلك إلّا الفرجه التى بين الثّريا و الدّبران، فإنّهم يكرهونها و يستخشونها، و يقال لها الضّيقة (١). قال:

فهلّا زجرت الطير ليله جثته تضيّقه بين النّجم و الدّبران

و سميت ضيقه لضيقها عندهم، فإنّهم يتواضعون قصر ما بين طلوع النّجم و طلوع الدّبران. ذكر عن يزيد بن قحيف الكلابى، أنّه قال: ما بينهما إلا سبعة أيام و إنّما هذا نحو نصف ما قدر لما بين المنزلين.

قال أبو حنيفة: فهذا ما حكى لنا، و أمّا نحن فلم نجد لها أقصر المنازل كلّها مده فى الطّلوغ، و لا فرجه فى المنظر، و أنّ الذى نير الطّرف و الجبهه لأقلّ من ذلك و لكن قد وجدناهما فى الغروب عندهم متقاربين جدا، حتّى لا نكاد نثبت بينهما شيئا ما هو الآن إلا أن يسقط النّجم، فما يستقيم السّقوط حتّى يسقط الدّبران و أحسب الذى اشتهر أمرهما فى

هذا الباب حتى يوصفا من بين المنازل كلها شهرتهما و كثره استعمالهم إياهما، و لا سيما النجم، فإن تفقدتهم له شديد، و ذكرهم إياه كثير، و إذا لم يعدل القمر عن المنزل قيل: كالح مكالحه و المكالحه: مثل المكافحه كأنه إذا لاقاه دافعه من غير حاجز بينهما.

فصل فى بيان الاختلاف الواقع بين العرب فى أوقات الأنواء و الكلام فى الضيقه

قال أبو الحسين الصوفى هذا الذى يذكرونه فى الضيقه و أنّ القمر ربما قصر فنزل بها غلط، لأنّ كواكب الثريا فى خمس عشره درجه من الثور، و هذان الكوكبان فى أربع و عشرين درجه و نصف منه، و بين الثريا و بينهما نحو تسع درجات، و أبطأ ما يكون سير القمر فى يوم و ليله، و أبعدته نحو إحدى عشره درجه، و إنّما سميت الفرجه التى بين الثريا و الدبران الضيقه، لأنهم يستعملون طلوعها و سقوطها فى المغرب بالغدوات عند طلوع رقبائها، و ظهورها من تحت الشعاع، و رقيب كلّ واحد منهما هو الخامس منه، و لا يستعملون طلوعهما. و وسط الثريا فى خمس عشره درجه من الثور و الدبران فى خمس و عشرين درجه منه و بينهما بدرجات البروج عشر درجات، لكنّ عرض الثريا فى الشمال عن درجتها أربع درجات و دقائق. و عرض الدبران فى الجنوب خمس درجات.

و من شأن الكواكب الشماليه أن تطلع قبل طلوع درجتها و تغيب بعد مغيب درجتها، و الجنوبيه تطلع بعد طلوع درجتها، و تغيب قبل مغيب درجتها، فتطلع الثريا كذلك مع ثلاث عشره درجه من الثور بالتقريب و يطلع الدبران مع سبع و عشرين درجه منه، فيكون بين طلوع الثريا و طلوع الدبران أربع عشره درجه بالتقريب، و تغيب الثريا مع سبع عشره درجه من الثور لا تغيب بعد درجتها. و يغيب الدبران مع ثلاث و عشرين درجه منه، لأنّه يغيب قبل درجه، فيكون بين مغيب الثريا و مغيب الدبران ست درجات بدرجات البروج.

فلما وجدوا بين غروب الثريا و غروب الدبران هذا القدر، سموا الفرجه بينهما بضيقه، و استخشوها و استخشوا الدبران أيضا مفردا و تشاءموا به حتى قالوا: إنّ فلانا أشأم من حادى النجوم، و يتشاءمون أيضا بالمطر الذى يكون بنوءه و يزعمون أنّهم لا يمطرون بنوء الدبران إلّا و تكون سنتهم جدبه.

قال أبو زيد و قطرب جميعا: و هذه حكاية عن القشريين، قالوا: أول المطر الوسمى، و أنواؤه العرقوتان، المؤخرتان من الدلو ثم الشرط بتسكين الراء ثم الثريا و بين كلّ نجمين نحو من خمس عشره ليله ثم الشتوى بعد الوسمى و أنواؤه الجوزاء ثم الذراعان و نثرتهما ثم الجبهه و هو آخر الشتوى و أول الدفى ء، ثم الدفى ء و أنواؤه آخر الجبهه، ثم الصرفه و هى

فصل بين الدفئ ء و الصّيف و أنواؤه السّماكان الأوّل الأعزل و الآخر الرّقيب، و ما بين السّماكين صيف أربعين ليله. ثمّ الحميم و هو نحو من خمس عشره ليله إلى عشرين عند طلوع الدّبران و هو بين الصّيف و الخريف و ليس له نوء. ثمّ الخريف و أنواؤه التّسران، ثمّ الأخضر ثمّ عرقوتا الدّلو الأوليان و لكل مطر من الوسمى إلى الدفئ ء ربيع.

و إنّما هذه الأنواء فى غيبوبه هذه النّجوم. قالوا: فأوّل القيظ طلوع الثّريا و آخره طلوع سهيل. و أوّل الصّفرية طلوع؟ و آخره طلوع السّماك. و فى أوّل الصّفرية أربعون ليله يختلف حرّها و بردها، و تسمى المعتدلات. ثمّ أوّل الشّتاء طلوع السّماك و آخره وقوع الجبهه، و أوّل الدفئ ء وقوع الجبهه و آخر الصّيف، و أوّل الصّيف السّماك الأعزل و هو الأوّل و آخر الصّيف السّماك الآخر، الذى يقال له الرّقيب، و بينهما أربعون ليله أو نحوها انتهت الحكايه.

قال ابن كناسه: أعلم العرب بالنّجوم بنو ماريه من كلب، و بنو مره بن همام من بنى شيبان، و ذكر عنهم أنّ أوّل الأنواء الدّلو، و نوؤه محمود، و هو أوّل الوسمى ثمّ بطن الحوت و لا يذكر نوؤه لغلبه ما قبله عليه، ثمّ الشّروط محرك الرّاء و يثنى و يجمع عرفها يونس و غيره و قال:

و لا روضه غنّاء غصّ نباتها يجرود بشتياها لها الشّيطان

و قال العجاج فى الجمع:

من باكر الأشرط أشرطى من الرّبيع انقضّ أو دلوى

و قال ذو الرّمه:

قرحاء حواء أشرطيه و كفت فيها الرّباب و حفّتها البراعيم

قوله: حواء يريد هى من الخضره سوداء، و جعلها قرحاء لأنوارها، جعلها كقرحه الفرس، و نوؤه محمود. ثمّ البطن و بعضهم يقول: البطنين و نوؤه غير محمود، و لا مذكور، ثمّ الثّريا و نوؤه مقدّم فى الحمد، و روى عن النّبىّ صلى الله عليه و سلم أنه قال: «إذا طلعت الثّريا ارتفعت العاهه». و لذلك لا يقبل بالحجاز قول من ادّعى عاهه فى ثمره اشتراها بعد طلوع الثّريا. ثمّ الدّبران و هو مكروه النّوء؛ ثمّ الهقعه و لا يذكر نوؤه منفردا، فهذه منازل كلّ الوسمى و هى خمس فليس قبل الفرغ المؤخر وسمى، و لا بعد الثّريا وسمى، و هى أوّل أنواء الخريف.

و سمّوا النّوءين الباقيين وليا، و هما الدّبران و الهقعه.

ثمّ أوّل الرّبيع و أنواؤه سبعة: الأربعة الأولى شتية و هى الهنعه و نوؤه لا يذكر، و الدّراع و نوؤه مقدّم مذكور، و النّثره و نوؤه محمود، و الطّرف و نوؤه لا يفرد بالذكر، و الثّلاثه الباقيه

دفيئه، و يقال الدثيه و هما بمعنى كما يقال اللغام و اللثام، و سميت بذلك لأنها في دبر الشتاء.

و ابتداء الدفء و هي الجبهه و نوؤها من أذكر الأنواء و أشهرها و أحبها إليهم و أعزها فقدا.

و الزبوه و قلما يفرد نوؤه، و الصرفه و غلبت أنواء الأسد عليها و إنما سميت صرفه لانصراف الشتاء فهذه منازل كل الزبيح.

ثم الصيف و أنواؤه سبعة: فالخمسه الأولى منه صيف، و النوان الآخران الباقيان حميم و سمي حميما لأن أمطارها تجيء و قد تحرك الحر، فأولها العواء و بعض العرب يمدّه فيقول العواء، و نوؤها ليله. ثم السماك و نوؤه من الأنواء المذكوره المحموده، و لذلك قال الشاعر: أجش سماكى كان ربابه، ثم الغفر و لا يذكر نوؤه و قيل لا يعدم نوؤه. ثم الزباني، ثم الإكليل، ثم القلب، ثم الشوله و أربعتها لا تذكر أنواؤها، و ربما ذكرت العرب مجمله، فهذا كله الصيف.

ثم الخريف: و هو فصل القيظ و أنواؤه سبعة و الأربعة المتقدمه رمضيّه و شمسيّه لشده الحر، و الثلاثة الباقيه خريفيّه، و أول أمطاره في كلام أهل الحجاز و تميم الحميم، فأوله النعائم - ثم البلده - ثم سعد الذابح - ثم سعد بلع - ثم سعد السعود - ثم سعد الأخبيه. و هذه الستة لا ذكر لأنوائها و لا مبالاه لأخواتها. و سميت خريفيّه لأنها تجيء و الثمار تخترف في أيامها. ثم مقدم الدلو و نوؤه من الأنواء المشهوره و يقال: الفرغ المقدم أيضا لأنها مقدمه ما بين الوسمى و موطئ له و فرط، فهذه منازل كل الحميم.

و بعد هذه الأربعة ستة سعود متناسقه في جهه الدلو، و ليست هي من المنازل. أولها سعد ناشره و هو أسفل من سعد الأخبيه و يطلع مع الشرطين. ثم سعد الملك، ثم سعد الهمام، ثم سعد البارع، ثم سعد مطر، و كل سعد منها كوكبان في رأى العين قدر ذراع كنعو ما بين سعود المنازل.

فصل و اعلم أنّ ما ذكرته من الطلوع و الغروب يختلف فيهما أحوال البلدان

فربما طلع النجم ببلد في وقت و طلع في غير ذلك البلد، في وقت آخر، إما قبله و إما بعده بأيام، فهذان التّسران و هما التّسر الواقع، و قلب العقرب يطلعان معا بنجد، و يطلع التّسر الواقع على أهل الكوفه، قبل قلب العقرب بسبع. و يطلع قلب العقرب على أهل الدّبره قبل التّسر بثلاث، و ربما طلع النجم ببلد و لم يطلع ببلد آخر كسهيل، فإنه يظهر بأرض العرب و باليمن و لا يرى بأرمينيه، و بين رؤيته بالحجاز و رؤيته بالعراق بضع عشره ليله، و بنات نعش تغرب بعدن و لا تغرب بأرمينيه.

قال أبو محمد القتيبي: بلغني أنّ كلّ بلد جنوبي فالكواكب اليمانية فيه تطلع قبل طلوعها في البلد الشمالي. و كلّ بلد شمالي فالكواكب الشامية فيه تطلع قبل طلوعها في البلد الجنوبي، و في الكواكب الشامية ما يكون في الليله الواحده غروب من أولها في المغرب، و طلوع من آخرها في المشرق كالعيوق و السيامك الزامح و الكفه و العوائذ و النسر الواقع و الغوارس و الرّدف و الكف الخضيب، و مددها في ذلك تختلف، فمنها ما يرى كذلك أياما و منها ما يرى شهرا و منها ما يرى أكثر من شهر.

و إذا نزل القمر في استوائه ليله أربع عشره، و ثلاث عشره بمنزل من المنازل فهو سقوط ذلك المنزل، لأنّ القمر يطلع من أول المشرق ليله أربع عشره مع غروب الشمس، و يغيب صباحا مع طلوع الشمس، فيسقط ذلك النجم الذي كان نازلا به. و قال ابن الأعرابي بين طلوع الثريا مع الفجر و بين عوده إلى مثله ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع يوم، فالقمر ينزل بها ثم بسائر المنازل يأخذ كلّ ليله في منزل، فذلك ثمانية و عشرون منزلا ينزل بها القمر إذا كان كريتا، و يعود للنجم الذي استهلّ به لتسع و عشرين، و إذا كان حثيثا تخطر ف منزلها و الكريت: التام، و الحثيث: الناقص، و ينزل لثمان و عشرين ليله بمستهله، فمن ثم صار ما بين حول الأهله و بين حول الثريا مع الفجر إلى مثله فصل أحد عشر يوما و ربع يوم. قال و الخطر فيه أن يجعل الخطوتين خطوه، و المنزلتين منزله، فربما استسر ليله، و ربما استسر ليلتين أو نحوهما.

الباب السابع فى تحديد سنّى العرب و الفرس و الروم و أوقات فصول السنه

قد عرفتكم فيما تقدم أنّ العرب تبدأ بالشّتاء بعد أن تجعل السنه نصفين شتاء و صيفا ثم يقسم الشّتاء نصفين فتجعل الصّيف أوّله و القيظ آخره و أنّها تفارق سائر الأمم فى تحديد الأوقات، فأوّل وقت الرّبيع الأوّل عندهم و هو الخريف ثلاثه أيام تخلو من أيلول، و أوّل الشّتاء عندهم ثلاثه أيام تخلو من كانون الأوّل، و أوّل الصّيف عندهم و هو الرّبيع الثّانى خمسّه أيام، تخلو من حزيران، و الخريف عندهم اسم للمطر الذى يأتى فى آخر القيظ من دون الرّمان. و ذكر المراد الفقعى أنّه يكون حلول الشّمس بأعلى منازلها فى شده الحر، و ذلك إذا حلّت بأول السّرطان فقال شعرا:

إذا طلعت شمس النّهار فإنّها تحلّ بأعلى منزل و تقوم

يريد أنّ الشّمس فى منتهى صعودها فى القيظ، فإذا طلعت حلّت بأوّل منها، و إذا انتصفت قامت على قمه الرأس. و هذا يدل على معرفتهم بحلول الشّمس رءوس الأرباع، و إن كان حساب فصولهم على غير ذلك.

و أمّا أصحاب الحساب فيحدّون فصول السّنه بحلول الشّمس بنجم من هذه النّجوم الثمانيه و العشرين، و يجعلون لكلّ زمان من الأزمنه الأربعة سبعة أنجم منها. و يبدءون من الأزمنه بالفصل الذى تسمّيه العامه: الرّبيع و هو عند العرب الصّيف، و نجوم هذا الفصل الشّرطان و البطين و الثّريا و الدّبران و الهقعه و الهنعه و الدّراع، و الشّمس تحل بالشّرطين بالغداه لعشرين ليله تخلو من آذار فتسترهما و تستر المنزل قبلهما، فلا يزال الشّرطان مستورين بها إلى أن يطلعا بالغداه، لستّ عشره ليله تخلو من نيسان فيكون بين حلول الشّمس بها و طلوعها سبع و عشرون ليله.

و إذا حلّت الشّمس برأس الحمل اعتدل اللّيل و النّهار، فصار كلّ واحد منهما اثنتى

عشره ساعه يوما واحدا و ليله واحده، ثم يزيد النهار و ينقص الليل إلى أن يمضى من حزيران اثنتان و عشرون ليله، و ذلك بعد أربع و تسعين ليله من وقت اعتدالهما فينتهى طول النهار، و ينتهى قصر الليل، و ينقضى فصل الربيع، و يدخل الفصل الذى يليه و هو الصيف، و دخول الصيف بحلول الشمس برأس السرطان و نجومه النثره و الطرف و الجبهه و الزبره و الصيرفه و العواء و السماك.

ثم يأخذ الليل فى الزيادة و النهار فى النقصان إلى ثلاث و عشرين تخلو من أيلول، و ذلك ثلاث و تسعون ليله، و عند ذلك يعتدل الليل و النهار ثانيه و يكون كل واحد منهما اثنتى عشره ساعه، يوما واحدا و ليله واحده، و ينقضى فصل القيظ و يدخل فصل الخريف، و دخول فصل الخريف بحلول الشمس رأس الميزان و نجومه الغفر- و الزباني- و الإكليل- و القلب- و الشوله- و النعائم- و البلده.

ثم يأخذ الليل فى الزيادة و النهار فى النقصان، إلى أن يمضى من كانون الأول واحد و عشرون يوما، و ذلك تسع و ثمانون ليله، و عند ذلك ينتهى طول الليل و ينتهى قصر النهار، و ينقضى فصل الخريف، و دخول فصل الشتاء بحلول الشمس رأس الجدى و نجومه: سعد الذابح- و سعد بلع- و سعد السعود- و سعد الأخيه- و الفرع المقدم و الفرع المؤخر- و بطن الحوت-. و يأخذ النهار فى الزيادة و الليل فى النقصان إلى أن تعود الشمس إلى رأس الحمل و يعتدل الليل و النهار، و ينقضى فصل الشتاء و ذلك تسع و ثمانون ليله و ربع، فجميع أيام السنه على هذا العدد ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع، لا يتغير و لا يزول على مر الدهر.

و قد بينا فيما مضى أنّ السيارات سبعة و أخبرنا أنها هى التى تقطع البروج و المنازل فهى تنتقل فيها مقبله و مدبره، لازمه لطريق الشمس أحيانا و ناكبه عنها أحيانا، إما فى الجنوب و إما فى الشمال، و لكل نجم منها فى عدوله عن طريقه الشمس مقدار إذا هو بلغه عاود فى مسيره الرجوع إلى طريقه الشمس، و ذلك المقدار من كل نجم منها مخالف لمقدار النجم الآخر.

فإذا عزلت هذه النجوم السبعة عن نجوم السماء سميت الباقية كلها ثابتة، تسميه على الأغلب من الأمر لأنها و إن كانت لها حركه مسير فإن ذلك خفى يفوت الحس، إلا فى المده الطويله، و ذلك لأنه فى كل مائه عام درجه واحده فلذلك سميت ثابتة.

و اعلم أنّ الطلوع و الغروب، و تفصيل الليل و النهار، و المشارق و المغارب قد قال الله تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [سوره الرحمن، الآيه: ١٧] و

بَرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ [سوره المعارج، الآيه: ٤٠] والمشرقان مشرقا الشتاء والصيف، وكذلك المغربان مغرباهما، و المشارق مشارق الأيام، و هي جميعا بين المشرقين، و كذلك المغرب هي مغارب الأيام و هي بين المغربين، فمشرق الصيف مطلع الشمس في أطول يوم من السنه.

قال أبو حنيفه: و ذلك قريب من مطلع السماك الزامح، بل مطلع السماك الزامح أشد ارتفاعا في الشمال منه قليلا. و كذلك مغرب الصيف هو على نحو ذلك من مغرب السماك الزامح، و مشرق الشتاء مطلع الشمس في أقصر يوم من السنه، و هو قريب من مطلع قلب العقرب، بل هو أشد انحدارا في الجنوب من مطلع قلب العقرب قليلا، و كذلك مغرب الشتاء على نحو ذلك من مغرب قلب العقرب. فمشارق الأيام و مغاربها في جميع السنه بين هذين المشرقين و المغربين.

فإذا طلعت الشمس من أخفض مطالعها في أقصر يوم من السنه لم تزل بعد ذلك ترتفع في المطالع، فتطلع كل يوم من مطلع فوق مطالعها بالأمس، طالبه مشرق الصيف فلا تزال على ذلك حتى تتوسط المشرقين، و ذلك عند استواء الليل و النهار في الربيع، فذلك مشرق الاستواء، و هو قريب من مطلع السماك الأعزل، بل هو أميل منه قليلا إلى مشرق الصيف من مطلع السماك الأعزل.

ثم تستمر على حالها من الارتفاع في المطالع إلى أن تبلغ مشرق الصيف الذي هو منتهاه، فإذا بلغته كرت راجعه في المطالع منحازه نحو مشرق الاستواء، حتى إذا بلغته استوى الليل و النهار في الخريف، ثم استمرت منحدره حتى تبلغ منتهى مشارق الشتاء الذي هو منتهاه. فهذا دأبها، و كذلك شأنها في المغارب على قياس ما بيناه في المطالع.

فأما القمر فإنه يتجاوز في مشرقه و مغربيه مشرقى الشمس و مغربيهما، فيخرج عنهما في الجنوب و الشمال قليلا، فمشرقاه و مغرباه أوسع من مشرقى الشمس و مغربيهما، و إذا أهل الهلال في منزله من المنازل أهل في الشهر الثاني في المنزله الثالثه، ثم لا يزال بعد مهله ينقل كل ليله إلى منزله، حتى يستوفى منازلها في ثمان و عشرين ليله ثم يستمر، فلا يرى حتى يهل.

فربما كان حلوله المنازل بالمقارنه لها إما بالمجمعه، و إما بالمحاذاه من فوقها أو أسفل منها، و ذلك المكالحه، يقال: كالح القمر و ربما قصر و اقتحم فنزل بالفرج و الفرجه ما بين المنزلين، و يقال له الوصل أيضا، و هو يغيب في ليله مهله في أدنى مفارقه الشمس لسنه أسباع تمضى من الليل.

ثم يتأخر غروبه كل ليله مقدار سنه أسباع حتى يكون غروبه في الليله السابعه نصف

اللَّيْل، و في ليله أربع عشره مع طلوع الشَّمس، و يكون طلوعه فيها مع غروب الشَّمس، و قد يتقدم ذلك أحياناً و يتأخر على قدر تمام الشَّهر و نقصانه ثم يتأخر طلوعه كلَّ ليله مقدار ستَّة أسابيع ساعه، حتَّى يكون طلوعه ليله إحدى و عشرين نصف اللَّيْل، و يكون طلوعه ليله ثمان و عشرين مع الغداه.

قال أبو حنيفه: و كلَّ هذا تقدير على مقارنه، و لا يكون أن يرى الهلال بالغداه في المشرق بين يدي الشَّمس و بالعشى في المغرب خلف الشَّمس في يوم واحد و لا- يمكن ذلك، و لكن يمكن ذلك في يومين، فأما في ثلاثه فلا شك فيه، فإذا كان ذلك في يومين فهو حين يستسر ليله واحده و إذا كان في ثلاثه فهو حين يستسر ليلتين.

الباب الثامن فى تقدير أوقات التهجّد التى ذكرها الله تعالى فى كتابه عن نبيه و الصحابه

و بين ما يتصل بها من ذكر حلول الشمس البروج الاثنى عشر قال تعالى: أقيم الصلاة لتدلوك الشمس إلى غسق الليل و قرآن الفجر [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] و قال ثعلب: يذهب العرب بالدلوك إلى غياب الشمس و قول الشاعر شعرا:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتى ذهب براح

يدل على هذا و أصله أنّ الساقى يكترى على أن يستقى إلى غيوبه الشمس و هو فى آخر النهار يتبصّر هل غابت الشمس، و قوله براح أى تجعل راحته فوق عينيه و يتبصّر، قال: و ما روى عن ابن عباس من أنه زوالها للشمس يسلم للحديث، و غسق الليل ظلمته، فإذا زادت فهى السدفة، و قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم: و من الليل فتهدّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً [سوره الإسراء، الآية: ٧٩] قال أبو العباس ثعلب: قوله نافلة لك: يريد ليس لأحد نافلة إلا للنبي صلى الله عليه و سلم لأنه ليس من أحد إلا يخاف على نفسه، و النبي صلى الله عليه و سلم قد غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخر، فعمله نافلة. فأما التهدّد فإنه يجعل من الأضداد، يقال: هجد و هجد و تهجد إذا صلى بالتهجد، و هجد و هجد و تهجد إذا صلى بالليل قائماً و قاعداً و أنشد فى النوم قال:

هجدنا فقد طال السرى و قدرنا أنّ خنا الدهر غفل

أى نومنا، و أنشد ابن الأعرابى فى النوم:

و منهل من القطا مورودوردت بين الهبّ و الهجود

قال: الهجود: النوم كأنه أتاه فى السحر و هو بين النوم و الانتباه. و قال تعالى: يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصيفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه [سوره المزمل، الآية: ١-٣] و قال تعالى: إنّ ربك يعلم أنك تقوم أذنى من ثلثي الليل [سوره المزمل، الآية: ٢٠] إلى قوله: فأقرؤا ما تيسر منه و أقيموا الصلاة [سوره المزمل، الآية: ٢٠].

اعلم أنه قد مرّ القول في شرح جوانب هذه الآي بما تقدّم في الباب الأوّل من هذا الكتاب و بقي تحديد الأوقات.

١- الحمل: تحديد الأوقات و ذكر البروج: فيقول: إذا حلّت الشمس برأس الحمل فغربت، طلع السماك الزامح و زاغت الشعري العبور عن وسط السماء، و قارب أن يتوسّط الشعري الغميصاء فصار خطّ نصف النهار بينهما، و خط نصف النهار هو الآخذ من نقطه الجنوب إلى نقطه الشمال، فعليه يكون زوال الشمس و زوال جميع الكواكب مما صار بينه و بين الأفق الجنوبي، و بين سمت الرأس، و عادتهم أن يسمّوه خط نصف النهار.

و ما كان منه في الحاشيه بين سمت الرأس و بين نقطه الشمال التي من عادتهم أن يسمّوه خط نصف الليل، و عليه يكون زوال الكواكب الشماليه. فإذا كان ثلث الليل طلع النسر الواقع و قلب العقرب، و غرب الناجذ و هو رجل الجوزاء و إذا كان نصف الليل طلع الرّدف و هو الكوكب الذي يسمّيه المنجمون ذنب الدجاجة، و طلع النسر الطائر على أثره بقليل، و جنحت الشعري، و جنوحها أن تميل للغروب، و سقط العيوق، و سقوطه غيبته، فإذا كان ثلث الليل قاربت الفكّه أن تتوسّط السماء و زاغ السّماك الزامح عن وسط السماء فأدبر، و الإدبار أكثر من الزّيفان، و ضجع الكوكب الفرد، فيصير على خط نصف الليل.

و إذا حلّت الشمس بوسط الحمل فغابت طلعه الفكّه، و زاغت الشعري الغميصاء فأدبرت، فإذا كان ثلث الليل استقلّ قلب العقرب و النسر الواقع. و استقلال الكوكب أن تراه قد ارتفع قدر القامه في رأى العين، و أكثر شيئا و غابت الشعري العبور قبل ذلك، و غاب المرزم، و هو يد الجوزاء، و جنح العيوق، فإذا كان نصف الليل استقلّ النسر الطائر و سقطت الغميصاء، و سقط العيوق قبل ذلك، و توسّط السّماك الزامح أو همّ بالتوسّط، فإذا كان ثلثا الليل قلب العقرب بالتوسّط و منكب الفرس بالطلوع، و زاغت الفكّه و جنح قلب الأسد.

٢- الثور: فإذا حلّت الشمس برأس الثور فغابت، توسّط قلب الأسد و جنح رأس الغول و الناجذ و الدبران، و زاغ الفرد، فإذا كان ثلث الليل غاب العيوق و قارب السّماك الزامح أن يتوسط و قرب طلوع النسر الطائر، و طلع الرّدف، و إذا كان نصف الليل قاربت الفكّه أن تتوسّط، و زاغ السماك الزامح و جنح الفرد. فإذا كان ثلثا الليل طلعت الكفّ الخضيب، و هي الكوكب الشمالي من كوكب الفرع الثاني، و غاب قلب الأسد، و زاغ قلب العقرب فأدبر.

و إذا حلّت الشمس بوسط الثور فغربت طلع النسر الواقع و قد غاب الدبران قبيل ذلك، و طلع العيوق و قلب العقرب، و زاغ قلب الأسد فأدبر. فإذا كان ثلث الليل توسّط السماك

و استقلّ النَّسر الطَّائر، فإذا كان نصف الليل طلع منكب الفرس و توسط قلب العقرب، و جنح قلب الأسد، و إذا كان ثلثا الليل استقلّ الكفّ الخضيب، و زاغ قلب العقرب فأدبر منصّبًا و انصبابه: إمعانه في الزّيغان.

٣- الجوزاء: فإذا حلّت الشمس بأول الجوزاء فغربت استقلّ قلب العقرب و النَّسر الواقع، و جنح العيوق و غاب المرزم، فإذا كان ثلث الليل توسّطت الفكّه و همت و هي إذا توسّطت السماء، فصارت على خطّ نصف الليل ببلد الدّينور، كانت على قمه الرّأس، سواء أعنى أنّها تكون فوق رأس القلم، و قارب قلب العقرب التّوسّط و غاب الفرد، و إذا كان نصف الليل طلع الكفّ الخضيب و سقط قلب الأسد، و زاغ قلب العقرب فأدبر، و إذا كان ثلث الليل طلع رأس الغول و توسط النَّسر الواقع.

فإذا حلّت الشمس بوسط الجوزاء فغرب، طلع الرّدف و جنحت الغميصاء و قارب طلوع النَّسر الطَّائر، فإذا كان ثلث الليل زاغ قلب العقرب سقط قلب الأسد، و طلع منكب الفرس، فإذا كان نصف الليل قارب النَّسر الطَّائر التّوسّط و قارب قلب العقرب خطّ القبلة، فإذا كان ثلثا الليل زاغ النَّسر الطَّائر و أدبر النَّسر الواقع، و إدباره أن يبعد عن خطّ نصف الليل، و طلع العيوق و تبعته الثّريا و طلعت.

٤- السّيرطان: و إذا حلّت الشمس بأول السّيرطان فغربت توسط السّماك الرّامح و استقلّ النَّسر الطَّائر، فإذا كان ثلث الليل استقلّ الكفّ الخضيب و زاغ قلب العقرب فأدبر، فإذا كان نصف الليل زاغ النَّسر الواقع و همّ النَّسر الطَّائر بالتّوسّط و طلع رأس الغول، و إذا كان ثلثا الليل طلع العيوق و تبعته الثّريا و همّ الرّدف بالتّوسّيط، و غور قلب العقرب و تغويره: أن يقع في الغور فلا يلبث أن يغيب. و ضجع السّماك الرّامح، و ضجوعه أن يميل للمغرب و هو قبل التّغوير، و الجنوح قبل الضّجوع و الانصباب قبل الجنوح.

فإذا حلّت الشمس بوسط السّيرطان فغربت همّت الفكّه و قلب العقرب بالتّوسّط، و غور الفرد، و إذا كان ثلث الليل توسط النَّسر الطَّائر و طلع رأس الغول، و إذا كان نصف الليل طلع العيوق و طلعت الثّريا على أثره، و زاغ النَّسر الطَّائر، و جنح قلب العقرب، فإذا كان ثلثا الليل طلع الدّبران، و غاب السّماك الرّامح.

٥- الأسد: و إذا حلّت الشمس بأول الأسد فغربت، طلع منكب الأسد و توسط قلب العقرب، و ضجع قلب الأسد فإذا كان ثلث الليل استقلّ رأس الغول، و توسط النَّسر الطَّائر، و زاغ النَّسر الواقع فأدبر، و إذا كان نصف الليل توسط الرّدف و ضجع السّماك الرّامح، و غاب قلب العقرب، و إذا كان ثلثا الليل توسط منكب الفرس و غورت الفكّه.

و إذا حلّت الشمس بوسط الأسد فغربت، طلعت الكفّ الخضيب و زاغ قلب العقرب فأدبر، و غاب قلب الأسد، فإذا كان ثلث الليل طلعت العيوق و الثريا، و ضجع قلب العقرب، و قارب الرّدف التّوسط، فإذا كان نصف الليل استقلّ الدّبران، و قارب منكب الفرس أن يتوسّط. و إذا كان ثلثا الليل طلعت النّاجذ، و توسّط الكفّ الخضيب و استقلّ المرزم.

٦- السّينبله: و إذا حلّت الشمس بأول السّينبله فغربت، استقلّ الكفّ الخضيب فإذا كان ثلث الليل طلعت الدّبران و زاغ الرّدف، و غاب السّماك الرّامح، فإذا كان نصف الليل زاغ منكب الفرس، و غربت الفكّه و طلعت المرزم، و إذا كان ثلثا الليل طلعت الشعري الغميصاء، و همّت الشعري العبور بالطلوع.

و إذا حلّت الشمس بوسط السّينبله فغربت، قارب أن يطلع رأس الغول و قرب توسيط نسر الواقع، فإذا كان ثلث الليل استقلّ الدّبران و قارب منكب الفرس التّوسط، و جنحت الفكّه، فإذا كان نصف الليل استقلّ النّاجذ و زاغت الكفّ الخضيب، و استقلّ المرزم، و إذا كان ثلثا الليل غاب النّسر الطائر و استقلّت الشعريان، و جنح النّسر الواقع.

٧- الميزان: و إذا حلّت الشمس برأس الميزان فغربت، طلعت رأس الغول و زاغ النّسر الواقع، فإذا كان ثلث الليل قارب المرزم الطّلع، و زاغ منكب الفرس، و غابت الفكّه، فإذا كان نصف الليل طلعت الشعريان و انصبّ النّسران، و انصبا بهما: تدليهما للغروب، فإذا كان ثلثا الليل طلعت قلب الأسد و الكوكب الفرد بأثره و رأس الغول و غاب النّسر الواقع.

و إذا حلّت الشمس بوسط الميزان، و غربت همّ العيوق بالطلوع و توسّط النّسر الطائر، فإذا كان ثلث الليل طلعت النّاجذ و استقلّ المرزم، و زاغت الكفّ الخضيب، فإذا كان نصف الليل استقلّت الشعريان، و غاب النّسر الطائر، فإذا كان ثلثا الليل استقلّ قلب الأسد و الكوكب الفرد، و توسّط الدّبران.

٨- العقرب: و إذا حلّت الشمس بأول العقرب فغربت، طلعت العيوق و تبعته الثريا و زاغ النّسر الطائر، و انصبّ السّماك الرّامح، و إذا كان ثلث الليل استقلّ النّاجذ، و قرب طلوع الشعريين، و انصبّ النّسر الطائر، و إذا انتصف الليل طلعت قلب الأسد، و زاغ رأس الغول، و غاب النّسر الواقع، و إذا كان ثلثا الليل توسّط النّاجذ و زاغ العيوق، و ضجع منكب الفرس و غاب الرّدف.

و إذا حلّت الشمس بوسط العقرب، توسّط الرّدف و ضجع السّماك الرّامح فإذا كان ثلث الليل اقتربت الشعريان، و اقترابهما دون الاستقلال، و ضجع النّسر الطائر، فإذا كان نصف الليل استقلّ قلب الأسد و الكوكب الفرد، و همّ الدّبران بالتّوسط، فإذا كان ثلثا الليل همّت

الشَّعْرَى العَبُورِ بِالتَّوَسُّطِ، وَ غَابَ الرُّدْفُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَ زَاغَ المَرْزَمُ، وَ انصَبَّتِ الكَفِّ الخَضِيبُ.

٩- القوس: وَ إِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ بِأَوَّلِ القوسِ فغَرَبَتْ، طَلَعَ الدَّبْرَانُ وَ غَابَ السَّمَائِكُ الرَّمَاحُ اتِّفَاقًا، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ تَوَسَّطَ رَأْسَ الغُولِ، وَ هَمَّ قَلْبَ العَقْرَبِ بِالتَّوَسُّطِ، فَإِذَا كَانَ نِصْفَ اللَّيْلِ هَمَّ النَّاجِذُ بِالتَّوَسُّطِ، وَ زَاغَ العَيُوقُ قَلِيلًا، وَ غَوَّرَ الرُّدْفُ، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ أَشْخَصَ السَّمَائِكُ، وَ إِشْخَصَهُ: إِقْرَانَهُ، وَ هُوَ نَهْوُضُهُ فِي المَطْلَعِ قَلِيلًا، وَ تَوَسَّطَ الشَّعْرَى الغَمِصَاءُ، وَ زَاغَتِ العَيُوقُ.

فَإِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ بِوَسْطِ القوسِ فغَرَبَتْ، تَوَسَّطَ مَنكَبُ الفَرَسِ وَ غَوَّرَتِ الفَكَّهُ، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ اسْتَقَلَّ قَلْبَ الأَسَدِ، وَ قَارَبَ الدَّبْرَانَ التَّوَسُّطَ، وَ طَلَعَ الفَرْدُ، فَإِذَا كَانَ نِصْفَ اللَّيْلِ زَاغَ المَرْزَمُ، وَ غَرَبَ قَبْلَ ذَلِكَ مَنكَبُ الفَرَسِ، وَ قَارَبَتِ الشَّعْرَى العَبُورَ التَّوَسُّطَ، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ طَلَعَتِ الفَكَّهُ.

١٠- الجدى: وَ إِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ بِأَوَّلِ الجدى فغَرَبَتْ، طَلَعَ النَّاجِذُ وَ اسْتَقَلَّ المَرْزَمُ، وَ تَوَسَّطَتِ الكَفِّ الخَضِيبُ، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ زَاغَ الدَّبْرَانُ، وَ هَمَّ النَّاجِذُ بِالتَّوَسُّطِ، وَ ضَجَّعَ الرُّدْفُ، فَإِذَا كَانَ نِصْفَ اللَّيْلِ طَلَعَ السَّمَائِكُ الرَّمَاحُ، وَ غَابَتِ الكَفِّ الخَضِيبُ، وَ هَمَّتِ الشَّعْرَى الغَمِصَاءُ بِالتَّوَسُّطِ، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ هَمَّ قَلْبَ الأَسَدِ بِالتَّوَسُّطِ، وَ جَنَحَ رَأْسَ الغُولِ وَ تَوَسَّطَ الفَرْدُ.

فَإِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ بِوَسْطِ الجدى، فغَرَبَتْ، طَلَعَتِ الشَّعْرِيَانُ، وَ جَنَحَ النَّسْرُ الطَّائِرُ، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ زَاغَ المَرْزَمُ، وَ غَابَ مَنكَبُ الفَرَسِ، وَ غَابَ قَبْلَ ذَلِكَ الرُّدْفُ، فَإِذَا كَانَ نِصْفَ اللَّيْلِ طَلَعَتِ الفَكَّهُ، وَ زَاغَتِ الشَّعْرَى الغَمِصَاءُ، فَأَدْبَرَتِ فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ هَمَّ الهَرَارَانَ بِالتَّوَسُّطِ وَ غَابَ النَّاجِذُ وَ الدَّبْرَانَ وَ رَأْسَ الغُولِ.

١١- الدلو: فَإِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ بِأَوَّلِ الدلو فغَرَبَتْ، قَارَبَ رَأْسَ الغُولِ التَّوَسُّطَ، وَ اسْتَقَلَّتِ الشَّعْرِيَانُ فَارْتَفَعَتَا فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ طَلَعَ السَّمَائِكُ الرَّمَاحُ وَ غَابَتِ الكَفِّ الخَضِيبُ وَ زَاغَتِ الشَّعْرَى العَبُورُ، فَإِذَا كَانَ نِصْفَ اللَّيْلِ قَارَبَ قَلْبَ الأَسَدِ التَّوَسُّطَ، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ طَلَعَ الهَرَارَانَ، وَ هَمَّا قَلْبَ العَقْرَبِ وَ النَّسْرُ الوَاقِعُ، وَ ضَجَّعَتِ الشَّعْرَى العَبُورَ وَ المَرْزَمُ.

وَ إِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ بِوَسْطِ الدلو فغَرَبَتْ أَشْخَصَ قَلْبَ الأَسَدِ، وَ طَلَعَ الفَرْدُ، وَ قَارَبَ الدَّبْرَانَ التَّوَسُّطَ، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ طَلَعَتِ الفَكَّهُ وَ زَاغَتِ الشَّعْرَى الغَمِصَاءُ، فَأَدْبَرَتِ بَعِيدًا، فَإِذَا كَانَ نِصْفَ اللَّيْلِ غَابَ رَأْسَ الغُولِ، وَ رَجَلَ الجوزاءُ، وَ زَاغَ قَلْبَ الأَسَدِ، فَإِذَا كَانَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ طَلَعَ الرُّدْفُ وَ غَوَّرَ العَيُوقُ.

١٢- الحوت: و إذا حلّت الشمس بأول الحوت فغربت، زاغ الدبران و توسط العيوق، و غور الردف، و همم الناجذ بالتوسط، فإذا كان ثلث الليل قارب الأسد التوسط، و استقلت الفكه فارتفعت، فإذا كان نصف الليل طلع الهاران و جنحت الشعري اليمانيه، فإذا كان ثلث الليل طلع النسر الطائر و غورت الشعري الغميصاء، و غاب العيوق.

فإذا حلّت الشمس بوسط الحوت فغربت، زاغ المرزم، و غاب منكب الفرس قبل ذلك، و همم الشعري العبور بالتوسط، فإذا كان ثلث الليل زاغ قلب الأسد، و غور رأس الغول، و رجل الجوزاء، فإذا كان نصف الليل غاب المرزم و الشعري العبور قبيل ذلك، و استقلّ النسر الواقع، و قارب طلوع الردف، فإذا كان ثلثا الليل توسط السماك الرامح و استقلّ النسر الطائر.

الباب التاسع فى ذكر البوارح و الأمطار مقسّمه على الفصول و البروج و فى ذكر المراقبه

إشاره

اعلم أنّ جميع أمطار السّينه ثمانيه أصناف، و هى الوسمى- و الولى- و الشّتى- و الدّفى ء- و الصّيف- و الحميم- و الرّمضى- و الخريفى- و لكلّ صنف منها وقت عرفته العرب بمساقط منازل النّهار الثّمانيه و العشرين التى ذكرها الله تعالى فى كتابه فقال: وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ [سوره يس، الآيه: ٣٩] و بالبروج الاثنى عشر لأنّ كلّ برج منزلان و ثلث من هذه الثّمانيه و العشرين، و ذلك حكم منهم على مناجعهم و مزالفهم بالتّجارات، و هو إلى الآن على ذلك، و إن كان كثير من أطراف الأرض و أوساطها يختلف، فقد قيل: إنّ أهل اليمن يمطرون فى الشّتاء و يخصّبون فى الصّيف.

قال أبو حنيفه: إذا أحببت أن تستيقن ذلك فانظر إلى زمان مدّ النّيل، فإنّه فى صميم القيظ، و إنّما يمدّ من أمطار البلاد التى منها يقبل، و قال بعض أصحاب الخليل، و قد صنّف أبواب الانتفاع بالمطر: إنّ من المغرب من مطره الذى يغيثه و ينفعه الخريف، و يكون أكثر مطرهم و أغزره و أنفعه لهم.

و قال أكثرهم: إنّ مطر الرّبيع ضارّ، و هم أهل اليمن و من يليهم من تهامه. و منهم من يحسبه الوسمى، و هو مطر الشّتاء، و مجيئه الرّبيع، و يكون الخريف ضارا يفسد كلاًهم و يلبده، و هم أهل العراق و من قاربهم من نجد، و منهم من يصيبه مطر السنه كلّها و هم أهل نجد الذين تاخموا نجدا، أى حاذوهم، و أهل العراق، و من قاربهم من الشّام و نجد، و ما بينهما و بين خراسان مطرهم الشّتوى و الرّبعى، و مطر اليمن و ما قاربها من تهامه الصّيفى، و الخريفى. قال: و من تهامه و نجد ما تعمّه هذه الأمطار كلّها، و كذلك طبرستان- و الدّيلم- و أرمنيّه- و جبالن- و جبل القيق. و العرب تقول: إنّ ما اجتمع مطر الثّريا فى الوسمى و مطر الجبهه فى الرّبيع إلّا كان تامّ الخصب ذلك العام، كثير الكلاء.

و هذا كما حكوا عن الحرم أنه إذا أصاب المطر الباب الذى من شقّ العراق كان الخصب فى تلك السّنه بالعراق، و إذا أصاب شقّ الشّام كان الخصب و المطر فى تلك السّنه بالشّام، و إذا عمّ جوانب البيت كان المطر و الخصب عاما فى البلدان.

و اعلم أنّه كما أنّ لكلّ نجم نوء فله بارح أيضا و هى البوارح و هى الرّياح. و العرب تقول: فعلنا كذا أيام البوارح، و هى رياح النّجم- و الدّبران- و الجوزاء- و الشّعري- و العقرب- و أنشد الأصمعيّ:

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى عيالك قد أمسوا مراميك جوّعا

و قال آخر شعرا:

أ يذهب بارح الجوزاء عنى و لم أذعر هوامك بالسّنار

و قال آخر شعرا:

أيا بارح الجوزاء مالك لا تجى و قد فنى مال الشّيح غير قعود

و أحبّوا أن تهبّ رياح الجوزاء حتى إذا طردوا إبلا- و سرقوها عفت الرّياح آثارها و آثارهم، فأمنوا أن يقتفى أثرهم، و اسم ما يحدث من ريح أو حر بارح على التّشبيه بالبارح من الوحش، لأنّه قد يطلع مما يلي شمال النّاطر، و يأخذ على يمينه كالوحش.

و قال أبو حنيفه: زعم قوم لا- معرفه لهم باللغه، أنّ البارح ضدّ النوء، و أنّه طلوع الرّقيب فيقولون: برح الكوكب: إذا طلع، قالوا و ذلك لأنّه ييامن البيت الحرام إذا طلع و يياسره إذا غرب، و إن قال: خذ من يمينك إلى يسارك فهو بارح. و الذى قالوه ليس بمدفوع، لكننا لم نجد العلماء يعرفون ما قالوه فى الكوكب، و لا رووا ذلك عن العرب، قال أبو زيد: البارح: الشّمال الحاره يكون فى الصّيف. و قال الفراء: البوارح: الرّياح الصّيفيه، و سمّيت بذلك لأنّها هى السّيموم التى تأتي من الشّمال، و أنشد لذي الرّمه شعرا:

تلوث على معارفنا و نرمى محاجرنا شاميه سموم

و قال أبو عمرو: و هى ريح السّموم، و قال يزيد بن القحيف: البارح: شدّه الرّيح فى الحرّ، و قال مرار فى صحه ما قالوا شعرا:

تراها تدور لغيرانها و يهجمها بارح ذو عما

يهجمها: يرمى بها فى كنسها، و هى غيرانها، و جعلها ذا عماء لعرئه و العماء أصله فى السّحاب، و قال الأخطل شعرا:

شرقن إذ عصر العيدان بارحهاو أيبست عن مجرى السنه الخضر

يقول: جفّ كلّ شىء أخضر فلم يبق إلّا من درع يسقى. و السّينه سنه الحراث، و مجرى السّينه الحرث، و قال بعضهم: قيل له بارح: لأنّه يبرح بالتراب أى يذهب به، و قيل أيضا: البارح البين، كما يقال برح الخفاء إذا بان بما كان يخفى. و يجوز أن يكون من البرح، و هو الشّده لما كان ينسب البرد و الأمطار و السّيموم و الحرور إلى نوثه معه. و منه البرح و برحين و بنات برح و بنت برح. و قال أبو زيد: إذا هبّت الجنوب بعد دوام الشّمال فى ذلك فرسخ أى راحه و فرجه. و الرياح أربع ياجماع من الأمم. و إنّما اختلفت باختلاف مهاّبها فى أقطار الأرض الأربعة، و هى: مطلع الاستواء- و مغربه- وجهه القطب الجنوبي- وجهه القطب الشمالي، فالتى تهبّ من مغرب الاستواء هى الغريبه و تسمى الدّبور، و هى التى سمّاها الله عقيما.

و قال النّبى صلى الله عليه و سلم: «نصرت بالصّبا و أهلكت العاد بالدّبور» و التى تهبّ من جهه القطب الجنوبي هى الجنوب و تسمى الأريب. و النّعامى و هى تهبّ من جهه القطب الشّمالي و تسمى الشّمال، و هى الجريباء، و محوه لأنّها تبدّد السّحاب و تمحوه، و نسعا و مسعا و هى الشّاميه.

و قال ابن الأعرابى: مهبّ الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثّريا، و مهبّ الصّبا من مطلع الثّريا إلى بنات نعش، و مهبّ الشّمال من بنات نعش إلى مسقط النّسر الطائر، و مهبّ الدّبور من مسقط النّسر الطائر إلى مطلع سهيل، و الجنوب و الدّبور لهما هيف و هو الرّيح الحاره الصّيفيه، و الصّبا و الشّمال لا هيف لهما. و العرب تجعل أبواب بيوتها حذاء الصّبا و مطلع الشّمس.

و قال الأصمعى: ما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر و ما يازائها ممّا يستقبلها شمال و ما جاء من وراء بيت الله الحرام، دبور، و ما كان قبالة ذلك فهو صبا و قال غير الأصمعى و ابن الأعرابى: الجنوب التى تهبّ عن يمين القبلة شتاء و الصّبا يازائها، و قالوا كلّهم كلّ ريح تهبّ بين مهبي ريحين فهى نكباء، لتنكبّها عن المهاب المعروفه، و الجمع نكب، و تميل فى طبعها إلى الرّيح التى فى مهبها أقرب إليها.

و قال أبو زيد: النّكباء التى لا يختلف فيها: هى التى بين الصّبا و الشّمال و النّكباء ذات ثمان، لأنّ بين كلّ ريح و أختها ريحين، و كلّ واحده إلى جنب صاحبته و هبوبها فى أيام الشّتاء أكثر، و من رياح الشّتاء الحرّجف و البليل، و من رياح الصّيف الهيف و السّيموم و الحرور، فإن هبّت ليلا- فى ابتداء الرّبيع فهى الخاسه. و سيجىء القول فى أجناس الرّياح مستقصى فى موضعه، و اللّواحق تهبّ فى الرّبيع لا غير، و هى الجنوب، و الصّبا و الشّمال و تسمى المستنابات، و معناه المستنقعات من الثّواب، و يجوز أن يكون المسئولات الثّوب

أى الرجوع. و روى ابن الأعرابي أنه قلّ ما تهبّ الشّمال إلا و إذا جاء اللّيل ضعفت أو سقطت و لذلك قالوا فى أحاديثهم: إنّ الجنوب قالت للشّمال إنّ لى عليك فضلا أنا أسرى و أنت لا تسرين، فقالت الشّمال: إنّ الحره لا تسرى باللّيل و هذا كما ترى.

و قال أبو زيد: إنّ أكثر هبوب الشّمال باللّيل، و أنه قلّما ينتفج من الرّيح باللّيل إلا- الشّمال، و ربما انتفجت على النّاس بعد نومهم، فتكاد تهلكهم بالقرّ من آخر ليلهم و قد كان أوّل ليلهم دفيئا، و هذا الخلاف فيما أتين لاختلاف البقاع، و تفاوت الأزمان و الله أعلم.

و أنشد الأصمعى يصف النّساء:

تصيفن حتّى أوجف البارح السّفاؤ نشتّ جراميد اللّوا و المصانع

فالمصانع و إيجاف البارح السّيفا: مرّ به على وجه الأرض، و هو من الوجيف و هو السّرعه، و السّيفا ما تساقط من يبيس البقل، و قال أيضا:

ألفن اللّوى حتّى إذا البروق ارتمى به بارح راح من الصّيف شامس

و البروق من دفى ء التّب، و فى المثل: أشكر من البروق، لأنّه ينبت بالغيّم و الرّاح الشّديد من الرّيح، و يشبه هذا قوله:

أقمن على بوارح كلّ نجم و طيّرت العواصف بالتّمام

و البارح مذكّر، و إن كانت الرّيح مؤنّته.

قال أبو حنيفه: قد حكى بعضهم أنّ العرب كانت تقول لا بدّ لنوء كل كوكب من أن يكون فيه مطر أو ريح أو غيم أو حر- أو برد- ثم كانوا ينسبون ما كان فيه إليه، و الأعمّ الأشهر أنّ الأمطار مقصور ذكرها على الأنواء خاصه. فما يكاد يسمع بشى ء منها منسوباً إلى طلوع و لا- يحفظ، و أما البوارح فأكثر الأمر فيها أن ينسب إلى طلوع نجوم الحرّ خاصه لأنها رياح الصّيف، و ربّما نسب شى ء منها إلى النّوء و ذلك قليل.

و قال ذو الرّمه:

حدا بارح الجوزاء أعراف مورّه بها و عجاج العقرب المتناوح

الأعراف: الأوائل، المور: الغبار و أراد بعجاج العقرب: عجاج بارح العقرب كقوله:

شقّها هبوب الثّريا و التزام التّنائف، أراد هبوب بارح الثّريا فهذا ذكر البوارح.

فصل فى المراقبه و المطلاعہ

و اعلم أنّ لكلّ برج و منزل رقبيا من المنازل و البروج، فرقيب كلّ برج البرج السابع، و رقيب كلّ منزل المنزل الخامس عشر، و معنى الرّقيب الذى فى غروبه طلوع الآخر، و هو مأخوذ من المراقبه، لأنّه يراقب بالطلوع غروب صاحبه. قال شعرا:

أحقّ عباد الله أن لست لاقيا بشينه أو تلقى الثريا رقيبها!

و المعنى لست لاقيا أبدا، لأنّ هذا لا يكون أبدا، و كيف يلقيان و أحدهما إذا كان فى المغرب كان الآخر فى المشرق؟ و قال:

قدورهم تغلى أمام قبابهم إذا ما الثريا غاب قصرا رقيبها

فمراقبه الأبراج للأبراج و المنازل للمنازل، على ما ذكرناه، و من هذه البروج ما يشاكل اسمه صورته كالعقرب و الحوت، و منها ما لا يشاكل اسمه صورته، و البروج الاثنا عشر سمى بعضها بأسماء. فالحمل يسمّى: الكبش، و الجوزاء: التوأمين، و السّنبله: العذراء، و العقرب: الصّوره، و القوس: الرّامى، و الحوت: السّمكه. و يسمّى أيضا الرّشاء، و لكلّ برج منزلان و ثلاثه من منازل القمر، حتّى يستوفيهها. فالحمل رقبه الميزان، و الثور رقبه العقرب، و الجوزاء رقبه القوس، و السّرطان رقبه الجدى، و الأسد رقبه الدلو، و السّنبله رقبه الحوت.

و المطلاعہ هو أن يطلع نجمان معا، أو متقاربين، و لا يكون ذلك فى نجوم الآخذ و لا يطلع نجمان منها معا، و لكن يكون فى غيرها، و فيها مع غيرها و ذلك كمطلاعہ الثريا بالعيوق و لذلك يقول شاعرهم:

فإن صديا و المدامه ما مشى لكالتنجم و العيوق ما طلعا معا

و مطالعه الشّعري الغميصاء الشّعري العبور، و مطالعه الأعزل للرّامح، و مطالعه النّسر الطائر للعنا، و مطالعه الجبهه سهيلا، فإن كلّ نجم إذا طلع معه الآخر أو قريبا.

و أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى:

و صاحب المقدار و الرّديف أفنى الوفا بعد ألوف

الرّديف النّجم الذى إذا نأى من المشرق انغمس رقبه فى المغرب، و إنما يعنى أن تعاقب النّجوم على مرّ الدّهور و لا يبقى أحد.

الباب العاشر فى ذكر الأعياد و الأشهر الحرم و الأيام المعلومات، و الأيام المعدودات و الصلاة الوسطى

إشاره

حكى ثعلب عن ابن الأعرابى قال: سألت أعرابيا فصيحا فقلت: ما الأشهر الحرم؟

فقال: ثلاثه سرد، واحد فرد. قال ثعلب: فالسرد المتتابعه و هو ذو القعدة- و ذو الحجه- و المحرم- و الفرد: رجب. و هذا قول ابن عباس و يكون من سنتين، و قال غير ابن عباس:

هى من سنه واحده فعددها المحرم و هو أولها- و الثانى: رجب- و الثالث: ذو القعدة- و الرابع: ذو الحجه. و احتج هذا بأنه قال تعالى: مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ [سوره التوبه، الآيه: ٣٦] يعنى من الاثنى عشر، فجعلها من سنه واحده.

قال ثعلب: و الاختيار عندى قول ابن عباس و هو كلام العرب، و إن كان لفظها من سنتين فهى تعود إلى الاثنى عشر إلى سنه واحده، و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم: «دخلت العمره فى الحج» أى فى أشهر الحج و لم تكن العرب تعرف العمره فى أشهر الحج، بل كانت العمره فيها عندهم من أفجر الفجور، و كانوا يقولون: إذا انسلخ صفر، و نبت الوبر، و عفا الأثر، و برأ الدبر، حلت العمره لمن اعتمر. فلمّا اعتمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أشهر الحج دخلت العمره فى الحج، أى فى أشهرها، و روى سفيان بن عيينه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم كتب لآل حزم: «إنّ العمره الحج الأصغر»، فدلّ كلامه على أن ثم أكبر.

و روى عن عطاء أنه قال: من اعتمر ثم مات و لم يحج أجزاء عنه حجه الإسلام، يذهب إلى قوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ [سوره آل عمران، الآيه: ٩٧] و روى عن على كرم الله وجهه: الحج الأكبر يوم النحر، محتججا بقوله تعالى: فَسَيَحْجُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [سوره التوبه، الآيه: ٢] و هى عشرون من ذى الحجه- و المحرم- و صفر- و شهر ربيع الأول- و عشر من ربيع الآخر- قال: فلو كان يوم عرفه لكان أربعه أشهر و يوما، و كان ابن عباس يقول: الحج الأكبر يوم عرفه، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم، خرج مهلا بالحج و يقول

بعضهم: خرج لعمره، و قال بعضهم؛ خرج قارنا و إنما خرج ينتظر أمر الله، و علم الله أنها حجه لا يحج بعدها فجمع ذلك كله له في شهر واحد، ليكون جميع ذلك سنه لأُمَّته، فلما طاف بالبيت ثم رأى أن يجعلها عمره، و حبس من كان معه على هدى، لقوله تعالى: حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ [سوره البقره، الآية: ١٩٦] فجمعت له العمره و الحج.

و قد قال قوم: إن الأربعة الحرم هي التي أجّلها رسول الله صلى الله عليه و سلم للمشركين فقال:

فَبَسَّ يَحْوَى فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [سوره التوبه، الآية: ٢] و هي شؤال- و ذو القعدة- و ذو الحجه- و المحرم. ثم قال: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [سوره التوبه، الآية: ٥] و قال: إن الأربعة التي جعلت حلاً من عشر ذى الحجه إلى عشر من ربيع الآخر، و جعلها حرماً، كما قال: مكّه حرم إبراهيم، و المدينة حرمى. و روى أيضا أنه حرم ما بين لابتي المدينة يعنى حرّتها، و فى آخر حرم ما بين عير إلى ور و هما جبلان. فأما قوله تعالى:

الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ [سوره البقره، الآية: ١٩٧] فإنه يريد أوقات الحج أشهر، أو أشهر الحج أشهر. و هذا خطاب يدل على معرفه العرب بشهور معلومه كانوا فيها يحجّون، فأقرّ الله أمرها فى الإسلام على ما كانت عليه و دعا إلى إقامه الحج فيها.

و اعلم أنها أوقات الحج دون غيرها، و أنّ من فرض على نفسه فيها الحج فمن السنه أن يترك الرّفث و الفسوق و الجدال، و معنى فرض الرّجل على نفسه الحج إهلاله به، و الإهلال التّليه، و أصله رفع الصوت. و روى عن الشّعبى و ابن عمر أنّها شؤال- و ذو القعدة- و ذو الحجه- و قال بعضهم: له من ذى الحجه عشر ليال، فكأنّه جعل الشّهرين و بعض الثالث أشهراً، و هذا فى القياس قريب لأنّه كما جاز أن يسمى الشّهر ذا الحجه، و إن كانت الحجه فى بعض أيامه، كذلك يجوز أن يسمى شهر الحجّ، و إن لم يكن جميع أيامه مصروفا إليه.

و حكى عن ابن عباس أنه قال: الأيام المعدودات أيام التّشريق، و الأيام المعلومات الأيام العشره من أول ذى الحجه. و قال عطاء: الأيام المعدودات أيام منى و يوم التّرويه، سمى بذلك لأنهم كانوا يتروون من الماء، و يتروونه معهم، و يوم عرفه لا يدخله الألف و اللام، و إنّما سمى عرفه و عرفات، لأنّ من حضرها كانوا يتعارفون بها. و قال بعضهم: بل لأنّ جبرائيل عليه السّلام طاف بإبراهيم صلوات الله عليه يديره على المشاهد، و يوقفه عليها، و يقول له: حالا بعد حال عرفت عرفت، و العروف الحدود، و الواحد عرفه. و قيل: سميت عرفه بذلك كأنّه عرف حدّه لتمييزه عن غيره من الأرضين، و لكونه معرفه امتنع من دخول الألف و اللام عليه. و حكى؛ طار القطا عرفا عرفا، بعضها خلف بعض.

و أما الأعراف: فكل موضع مرتفع عند العرب و منه قوله تعالى: وَ عَلَى الْأَعْرَافِ

رِجَالٌ [سوره الأعراف، الآية: ٤٦]، و لا- يمتنع أن يكون عرفه و عرفات مشتقا من جميع ذلك و التعريف: الوقوف بعرفات، و تعظيم يوم عرفه إن نصب الضاله فتنادى عليه و إن سُميت رجلا بعرفات صرفته، و لم يكن التاء فيه كالتاء من عرفه لو سُميت بها، و ذلك أنّ التاء من عرفات بإزاء التّون في المسلمين، إذ كان هذا الجمع من المؤنث بإزاء جمع المذكر الصّحيح، و لذلك لَمَّا كان ذاك في موضع النّصب و الجر بالياء، جعل هذا في موضع النّصب و الجر بالكسره، لأنّ الكسره أخت الياء، فلَمَّا كان الأمر على ذلك لم يكن كالتاء التي يبدل منها في الوقف هاء كالتى في طلحه و عزّه، و كان يمتنع الصّرف في المعرفه. و في القرآن:

فَإِذَا أَفْضُتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ [سوره البقره، الآية: ١٩٨] فصرفه و إن كان معرفه.

و مشاعر الحجّ واحدا مشعر و هو في موضع المنسك، و كذلك الشّعيره من شعائر الحجّ، و هى علاماته و أفعاله المختصه به، كالسّعى و الطّواف و الحلق و الذّبح، و كلّ ذلك يجوز أن يكون من شعرت، و ليت شعرى، فيرجع إلى العلم كما أنّ عرفه و عرفات في تصاريفه يرجع إلى المعرفه، و في القرآن: وَ الْبَيْدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ [سوره الحج، الآية: ٣٦] و قال الخليل: يقال: أشعرت هذه البدنه لله نسكا أى: جعلتها شعيره تهدي، قال: و قال بعضهم: إشعارها أن يوجأ سنامها بسكين فيسيل الدّم على جنبها فيعلم أنّها هدى. أو يعلم بعلامه تشدّ في سنامها. و كره قوم من الفقهاء تدميتها، و قالوا: إذا قلّدت فقد أشعرت.

و قوله تعالى: يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ [سوره التوبه، الآية: ٣] قيل: هو يوم النّحر، و قيل:

هو يوم عرفه و كانوا يسمّون العمره: الحج الأصغر.

و يوم النّحر: سمى به لأنّهم كانوا ينحرون البدن.

و يوم القر: بعده، و هو الذى يسميه العامه يوم الرّءوس، و سمى بذلك لأنّ الناس يستقرون فيه بمنى لا يبرحونها.

و يوم النفر: سمى به لأنّ الناس ينفرون فيه متعجلين.

و يقال: عيد الفطر، و عيد الإفطار، و عيد الصّحى و العيد أصله من عاد يعود لعوده كلّ سنه، لكن واوه انقلبت ياء لانكسار ما قبلها، ثم جعل البدل لازما حتى كأنه اسم وضع لليوم، لا- مناسبه بينه و بين المشتق منه، و هم يفعلون مثل هذا إذا أرادوا التّخصيص، لذلك قيل في تصغيره: عيد، و فى جمعه: أعياد و لم يجر مجرى قوله: ريح و رويحه و أرواح،

و مما يشبه هذا قوله: يا دارمته بالعلاء فالسند هو من العلو، فقلب الواو ياء، و قوله: فما أمّ خشف بالعلايه مشدن. مثله و ليس قبل واحد منهما ما يوجب القلب، لكنهم يفعلون ذلك كثيرا فى الأعلام و ما يجرى مجراها، و قد قالوا: الشكاية و حبيت الخراج حباوه و نحو منها، ما حكاه سيويه من القوايه قال عمرو بن براقه:

و مال بأصحاب الكرى عالياتها فإني على أمر القوايه حازم

و هو فعاله من القوه، و أصلها قواوه و كأنه كره اكتناف الواوين للألف.

و الأضحى، إذا ذكّر: يراد به اليوم، و إذا أنث أريد به الساعه، و التأنيث أجود.

و يقال: دنت الأضحى، و قيل: سميت الأضحيه لأنها تذبح ضحوه.

و الفطر: من فطرت التاقه إذا حلبتها فانفتحت رءوس أخلافها لأن الأفواه تنفتح بالأكل و الشرب، و يقال: أضحاه و أضحى و ضحيه و ضحايا و الأضحى يذكّر و يؤنث، فمن ذكّر ذهب إلى اليوم، و أنشد الأصمعي:

رأيتكم بنى الحدواء لمادنا الأضحى و صلّت اللّحام

و أنشد الثورى فى تأنيته:

قد جاءت الأضحى و ما لى فلس و قد خشيت أن تسيل النفس

و قال هشام بن معاويه: حكى الأصمعيّ: أضحاه و سمى الأضحى بجمع أضحاه فأنت لهذا المعنى و جاء فى الحديث: «على كلّ مسلم عتيه و أضحاه». و قال هشام: التأنيث فى الأضحى أكثر من التذكير، و جمع الأضحيه أضاحى، و جمع الضّحيه ضحايا.

و أيام التشريق سميت بذلك لأن لحوم الأضاحى تشرق للشمس، و قيل: بل سميت بذلك لقولهم: أشرق ثبير كيما نغير، و قال ابن الأعرابى: سميت بذلك لأن الهدى لا ينحر حتى تشرق الشمس.

و قال أحمد بن يحيى: أنا أذهب إلى أنّ الأيام المعلومات فى الأيام المعدودات لأنه جاء فى كتاب الله تعالى: وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ [سوره الحج، الآية: ٢٨] فدلّ على أنّها أيام نحر.

و يوم عاشوراء فى المحرم، و يقول الفقهاء: يوم عاشوراء التاسع من المحرم، و حكى بعضهم أنّه سئل النضر بن شميل عن التشريق، فقال: هو من قولهم أشرق ثبير: أى لتطلع الشمس، و قيل: أيام التشريق: لأنهم يشرقون اللحم، قال: فقلت له: إنّ وكيعا حدّثنا عن

شعبه عن سيار عن الشعبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ذبح إلا بعد التشريق» فقال وكيع:

التشريق الصلاة، قال: هذا حسن. قال النضر: وقد جاء في الحديث: «لا جمعه ولا تشريق إلا في مصر جامع»، والتفسير موافق للحديث، فأما قول أبي ذؤيب بصفا المشرق كل يوم يقرع. فقد حكى عن أبي عمرو الشيباني أنه أنشد بصفا المشقر فأنكره، وقال: المشقر حصن بالبحرين، والصيفا موضع، فما لأبي ذؤيب والبحرين، إنما هو المشرق، وكان ابن الأعرابي يرويه المشقر، و حكى عن الأصمعي أنه أنشد كل يوم، فقال الله أكرم من ذاك هو:

كل حين. ذهب الأصمعي إلى أن الحج يقال: كل سنة لا كل يوم، والحين يقع في كلامهم على المده الطويله والسنين الكثيره. وقال الأصمعي: المشرق المصلّى، ومسجد الخيف هو المشرق. وقال شعبه بن الحجاج: خرجت أقود سماك بن حرب في يوم عيد، فقال: امض بنا إلى المشرق يعنى المصلّى. وقيل: يعنى مسجد العيدين، وقال أبو عبيده: المشرق سوق الطائف، وقال الباهلي: جبل البرام.

[فصل فى] بيان الصلاة الوسطى:

فأما الصلاة الوسطى: فقد اختلفوا فيها: فروى عن عليّ كرم الله وجهه أنه الفجر، وقال غيره: هي العصر، وقد جاء القرآن فى توكيد أمر الفجر بما يصحح قول عليّ فيه، قال تعالى: أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً [سورة الإسراء، الآية: ٧٨] وكلتا الصلواتين متوسطه لسائر الصلوات، فإذا جعلت صلاة الفجر الوسطى فهى بين صلوات الليل والنهار والنهار: الظهر والعصر، والليل العشاء أن الأولى والآخرة. وإذا جعلت العصر هى الوسطى: فهى متوسطه بين الفجر والظهر من صلاة النهار. والعشاءين الأولى والآخرة من صلوات الليل، وقوله تعالى: الصلاة الوسطى [سورة البقرة، الآية: ٢٣٨] مؤكد للدلالة على أن الصلوات المفروضات خمس، لا زياده فيها، ويزيل التأويل فيما ذهب إليه بعض المتفقهه من فرض الوتر، بالخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زادكم صلاة وهى الوتر» وقد يزيد الله الناس مما يدعوهم إليه من أعمال البر مما هو فضيله لفاعله، و نافله للمتقرب به ولا يكون فى قوله: «زادكم صلاة» ما يوجب الفرض، ولو كان الوتر فريضه لكانت عدّه الصلاة المفروضات ستا، والسّت لا أوسط لها، ولا وسطى، وإنما الوسط للإفراد، لأنها تكون منها واسطه وحاشيتان متساويتان، كالخمس فإنها اثنان فى أحد الطرفين، واثنان فى الآخر، و واحد فى الوسط، ويجوز أن يكون معنى الوسطى: العظمى والكبرى، يراد بذلك فضل محلّها، و زياده ثوابها والله أعلم أى الوجهين هو المراد. وقوله تعالى: الشّهْر الحرام بالشّهْرِ الحرام والحُرْمَاتُ قِصَاصٌ [سورة البقرة، الآية: ١٩٤] يقول: حرمة الشّهْرِ تجب على الفريقين فى الكفّ عن

القتال لكنّ الكافر إذا اعتدى، فليس على المؤمن أن يقبض يده، و يلقى بها إلى التهلكه، بل إذا قوتلوا في الأشهر الحرم كان مطلقا لهم، و مفروضا عليهم قتالهم فيها.

و قوله تعالى: الْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ [سوره البقره، الآيه: ١٩٤] معنى القصاص: أن تفعل بصاحبك مثل الذى هو فعل بك، فإذا قتلت الكافر فى الشهر الحرام كما قتلتك فقد قاصعته و فعلت مثل فعله، و قوله تعالى: فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ [سوره البقره، الآيه: ١٩٤] معناه: جازوه جزاء الاعتداء، فسمى الجزاء باسم الاعتداء، طلبا للمطابقه فى اللفظ، و إيذانا بأنّ الثانى كالفرض المؤدى، فالمواصله فيه مرعيه.

فصل [فى ذكر العرب اسما تعلق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصفات و الأفعال]

حكى الأصمعى أنّ العرب ربما تذكر اسما تعلق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصفات و الأفعال منسوبه، و لشهرتها و ظهور الفرض منها استجيز معها ما لم يستجز فى غيرها، و لا يتقايس، فمن ذلك: لا آتيك مغرى الغرر، أى حتى يجتمع و ذلك لا يكون أبدا و لا آتيك أبى هبيرة، قال: و أبو هبيرة هو سعد بن زيد مناه بن تميم، و لا آتيك هبيرة بن سعد، و لا آتيك القارظه الغزى، و قولهم: زمن الفطحل: أى حين كانت الحجارة رطبه قال:

لو أننى عمّرت عمر الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل

كنت رهين هرم أو قتل جعل الموت حتف الأنف و القتل سواء، أو عام الفتق قال رؤبه: لم ترج رسلا بعد أعوام الفتق، يشيرون بذلك إلى زمن الخصب و الخير كأنّ جلود الأكله و الرّاعيه لسمنها فتقت فتقا، و كأنّ ظواهر الأرض و بطنانها فتقت بالنّبات، و يقال: آتية قيظ عام أول، و ما تركت من أيه مغدا و لا مراحا و لا مغداه و لا مراحه، يعنى من الشّبه به، و بعضهم يقول: و لا رواحا و لا رواحه و لا أكلمك آخر المنون، و أخرى المنون، و لا أكلمه آخر ما خلقى، يريد آخر عمرى أى ما بقيت.

و قال يعقوب: يقال: أخرى ما خلقى، و منهنّ أزمان الجنان، و هذا يشيرون به إلى الشر و الآفات و أنشد:

فمن يك سائلا عنى فإننى من الفتيان أعوام الخنان

يقال: حنّ الرجل و هو مخنون: إذا ضاقت خياشيمه حتى يجىء كلامه غليظا لا يكاد يفهم، و قال جرير: و أكوى الناظرين من الخنان، و الخنان داء يعترى العين، و قال الخليل:

الخنان فى الإبل كالزّكام فى النّاس، و قال الدّريدى: زمن الخنان معروف، و لم أسمع من

علمائنا تفسير أو ذكر بعضهم أنه يضرب بالخنان المثل في البلاء و الشده، لأنّ البعير إذا خنّ كوى ناظراه، و هما عرقان. قال:

قليله لحم الناظرين يزينا شباب و مخفوض من العيش بارد

يصف امرأه و على هذا تفسير بيت جرير: و أكوى الناظرين من الخنان: أى من داء الكبر، و يكون كقوله: يداوى به الصّاد الذى فى التواظر.

و ذكر بعضهم: خنّ فى الأكل: أسرف، و نحن فى خنان من العيش، و سنه مخنه أى مخصبه، و قد أخنت، و عشب أخنّ أى ملتف. قال الشيخ: و هذا الذى فسّرناه أخيرا يصلح أن يصرف زمن الخنان إلى الخير و السعه أيضا، إلا أنّ ما أنشده الأصمعى و رواه يدل على خلافه، و ذكر بعضهم أنّ الخنان أصله أنّ رجلا- من العرب غزا قوما فى الجاهليه، فلما فرّق الغاراه فيهم قال: خنّهم بالسيف، فشهروا يومه بزمن الخنان، و فسّر خنّهم، على ندودهم.

و اعلم أنّ القبائل مختلفه و لم أذكرها لقله فوائدها، و إن كان قطرب و غيره دؤنوها فى كتبهم فى الأزمنه و أسماء آلهتهم كيغوث و مناه و يعوق و نسر و هبل و ما أشبهها، و ذكر مطافهم و دورهم و ما يتعلق بأيامهم و أعيادهم و أسواقهم تجاوزتها لأنّ ما نعيد منها لا تحلّ به فى موضعه من الكتاب و تطويل الكلام بما ليس من الموضوع فى الأصل مرفوض فى مصنّفاتنا.

الباب الحادى عشر فى ذكر - سحر - و غدوه - و بكره - و ما أشبهها

إشاره

و الحين و القرن و الآن و أيان و أوان و الحقبه و الكلام فى إذ و إذا و هما للزمان و ما أشبهها قال أبو العباس محمد بن يزيد: اعلم أنّ المعرفه إذا أخبر عنها بنكره فإنها توجب فيها مثل ما يكون لها لو كانت معرفه بنفسها، و كذلك النكره إذا أسند إليها معرفه، و الذى جعلها على هذا كونها خيرا عن معرفه، و لو انفردت عنها لم يكن كذلك، يقول: زيد منطلق فالعلم أنّ المنطلق هو زيد جعله مختصا كزيد، و لو انفرد لكان شائعا، و على هذا ما يقرب من النكرات بالصفات و ما يجرى مجراها كقولك كان عند رجل من آل فلان، و ويل لزيد، لذلك يستفاد منه ما يستفاد من المعارف، أو تقاربه، فعلى هذا ما سمعنا بقول: سير عليه عشيه أو غدوه أو ضحوه و كل ذلك نكره لا يكون واحد من أمته أولى به من الآخر، و لا يوم من الأيام أحق بتعلقه به.

فإذا قلت: سير عليه يوم الجمعه عشيه، أو ليله الجمعه عتمه، و أنت تريد ذلك من يومك و ليلتك، لم يكن عشيه و لا عتمه و ما كان مثلهما إلا نكرات فى الأصل و لوصفك إياهنّ موضع المعرفه ضعفن و امتنعن الصّيرف، فلم تكن إلّا ظروفًا منصوبه بوقوع الفعل عليها، و لم يقمن مقام الفاعل، كما كان يجوز فيهنّ إذا قلت: سير عليه عشيه من العشيات، و ضحوه من الضحوات، لأنّ الظروف إذا قوين فى أبوابهنّ فعلن مفعولات على السّعه، و أقمن مقام الفاعل، و وضعن موضع الخبر مرفوعات، كقوله تعالى: مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ [سوره طه، الآية: ٥٩] و كقولهم: أقمنا ثلاثا لا أدوقهنّ طعاما و لا شرابا، و سير به يوم الجمعه، و كقول لبيد شعرا:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنّه مولى المخافه خلفها و أمامها

فعلى هذا يدور أمرهنّ، و إذا هنّ نكرات، أو كنّ معارف بأنفسهنّ فأما إذا وضعن و هنّ نكرات فى موضع المعارف، فقد أزلن عن بابهنّ و عرفهنّ غيرهنّ فلم يجز أن يخرجن من

الظروف إلى غيرها إذ كُنَّ قد أزلن عن أصولها فإذا قلت: آتيتك ضحوه يومك وعشاءه، لم يكن سبيله سبيل ما هو عام فيما وضع له، فلا- يحصل به اختصاص، بل هو موضوع موضع الضحوه بالعرف، فصار يجري مجرى المعهود للمخاطب، أو المضاف نحو قولك: ضحوه يومى و إذ كان كذلك بان الفرق بين الموضوعين، لأنَّ حكم اسم الجنس أن يكون شائعا فى الأصل.

ثم يحصل التعريف فيه بوجه من الوجوه المعروفه و قولهم: عتمه مصدر مثل الغلبه و معناه الإبطاء و التأخر قال:

يدكرنى ابنى السما كان موهنا إذا طلعا خلف النجوم العواتم

إلا أنه يستعمل ظرفا كما استعمل غيره من المصادر ظرفا، كخفوق النجم، و خلافه فلان، و غير ظرف أيضا يقول: سير عليه عتمه فينتصب انتصاب اليوم و الليله و يجوز أن يسند إليه الفعل، فيقال: سير عليه عتمه من العتمات، فيدخل الألف و اللام و قد يلزم الظرفيه فلا ينتقل و ذلك إذا أردت به عتمه ليله، هذا مذهب سيويوه و كان الأخفش يقول: ضحوه و عتمه إذا كان فى يومك لرفعهما أيضا، حتى أخذ العرب تمنع منه.

فأما غدوه فإنه اسم مشتق من قولك: غداه، فلَقَّب به الوقت، فصار علما له كما وضع زيد علما للرجل، فلذلك منع الصيرف، إذا قلت سيرته غدوه، لأنه معرفه، و جاز فيه ما جاز فى يوم الجمعة و أشباهه، لأنه معرف من جهة التعريف، يقول: سير بزید غدوه و إن شئت نصبت على أصل الظرف، و يكره فيها مثل ذلك إذا حملتها على غدوه، لأنَّ المعنى واحد، و إن أردت أن تجعلها كعشيه و ضحوه، فجيد، و إنما جعلوها معرفه تشبيها بما كان فى معناها و هى غدوه، لأنها غيرت بالتعريف كما غيرت غدوه و امتنعت من الألف و اللام، و نظير جعلهم نكره بمنزله غدوه، إذ كانت فى معناها رفع الاسم و نصبهم بها الخبر و إجراءها مجرى ليس، إذ كانت فى معنى ليس و إن ثبت تركها غير مشبهه فرفعت ما بعدها، و كذلك قولك: ودع يدع إنما كان الكسر نحو يعد و يزن، و لكن تعين فتحها و أجريت يذر مجراها لأنها فى معناها و لأنَّ الفتحة أخف و لهذه نظائر.

فإن قلت: قد قرأ أبو رجاء المطاردى بالغدوه و العشى، فجعلها شائعه كما تقول:

جاءنى زيد و زيد، تريد جماعه اسم كل واحد منهم، فيقول المجيب: و من الزيد الأول و الزيد الآخر. و هذا الزيد أشرف من ذاك الزيد، و على ذلك كانت تثنيه المعرفه و جمعها إذا كانت غير مضافه يخرجها إلى النكره، لأنَّ كل واحد يصير مرامه لكل واحد منها مثل اسمه، و تضيف زيدا و ما أشبهه كما تضيف النكره لأنه يصير معرفه بما أضيف إليه، كما قال الشاعر:

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم بأبيض من ظامى الحد يديمان

فإن تقتلوا زيدا بزید فإنما أقادكم السلطان بعد زمان

و أما قوله تعالى: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا [سوره مريم، الآية: ٦٢] فإن ذلك نكره ليس يريد كل بكره و كل عشيّه، و إنما تأويله و الله أعلم: أن الجنة لا ليل فيها يفضى إلى نهار، و لا نهار يتصل بليل، و لا شمس، و لا قمر إنما هو فى مثل مقادير العاده فى الدنيا.

و على هذا جاء الحديث: «نهار الجنة سجسج»: إنما المعنى أنه أبدا كالنهار و قوله:

سجسج أى معتدل لا برد فيه و لا حرّ. فإن قلت: كيف جاز أن يصير ما حكمه أن يكون شائعا فيما يصلح له مختصا ببعضه، حتى زعمت فى هذه الأسماء ما زعمت. قلت: ذلك لا- يمتنع فى عادتهم و طرقهم، ألا ترى أن قولهم: ابن عباس يختص بعبد الله حتى لا يعلم منه غيره، و إن للعباس أولادا دون عبد الله، و كذلك قولهم: ابن الزبير اختص به عبد الله فيما استمر من العاده.

فأما سحر: فإنك تقول: سير عليه سحر، فلا ينصرف و لا يتصرف إذا أردت سحر يومك، و معنى لا يتصرف لا يتمكن تمكن أسماء الأزمان فى أبوابها. و معنى لا ينصرف: لا يدخله الجر و التنوين. فإن أردت سحرا من الأسحار و هو فى موضعه نكره، فلا مانع له من التصريف و التمكّن، و نقول: إن سحرا جزء من آخر الليل، و فى سحر وقع الأمر. و قال الله تعالى: إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ [سوره القمر، الآية: ٣٤] و على هذا إن أدخلت الألف و اللام تقول: سير به السحر المعروف، و إنما منع الصرف حين قلت: آتيك سحر، و أنتظر سحر لأنه معدول عما فيه الألف و اللام.

و كان شيخنا أبو على الفارسي يختار أن يقال: إنه معدول عن أحوال نظائره ألا ترى أن أخواته إذا عرفت جاءت بالألف و اللام فهو جار مجرى آخر، و جمع فى العدل و إن كان آخر نكره و سحر و جمع معرفتان، و قد بينا الكلام فيه فيما يجرى و لا يجرى، و إنما لم ينصرف لأنه بلفظ النكره موضوع موضع المعارف من غير أن جعل علما، فهو مناسب لضحوه و عتمه إذا جعلنا من يومك الذى أنت فيه.

قال أبو على الفارسي: دخول الألف و اللام فى عتمه إذا أردت عتمه ليله لا أعلمه استعملت الكلمه بهما. و سيويه لم يذكره و لا يجوز حمله على ضحوه و غدوه و بكره قياسا كما يقوله الأخفش، فيرفع و ينصب. قال: و يقوى ما ذهب إليه سيويه من أن عتمه لا يستعمل إلا ظرفا إذا أردت به عتمه ليلتك، أن ما أشبهها من الظروف لم يستعمل إلا ظرفا.

فمن ذلك: سير عليه ضحى و صباحا و مساء و عشيّه و عشاء، إذا أردت بجمعها ما ليومك و ليلتك، و كذلك سير عليه ليلا و نهارا، أشبه بالمصادر و قد جعلت ظروفها.

فإن قيل: إن ضحى إذا أريد به ضحى يومه مثل عتمه، وقد دخله لام التعريف في قوله: أبصرته في الضحى يرمى الصعید به.

و في قوله: نؤوم الضحى قلت: إن هذا قد خرج من أن يكون ظرفا لمكان الإضافة إليه، و دخول حرف الجر عليه فاعلمه، فإن قيل: لم خص بعض أسماء أوائل النهار بأن جعل علما و بعضها بأن جعل معدولا من دون أسماء أجزائه الباقية؟ قلت: لما كانت المواعد و الحاجات استمرت العاده في أنها أكثر ما تعلق بأوائل النهار دون أوساطه و أواخره.

و كثر الاستعمال فيها لذلك استجيز فيها ما لم يستجز في غيرها من التغيرات، يشهد لهذا أنهم أقاموا مقام الأزمنه ما ليس منها، و ذلك كالمصادر نحو خفوق النجم، و خلافه فلان، و كصفات الزمان نحو: قليل و كثير و قديم و حديث. و هذا ما حضر في قولهم سحر و غدوه و بكره و نظائرها و فيه كفايه.

فصل في المحدود من الزمان و غير المحدود

قال أبو عمرو و غيره: الزمان سته أشهر، و الحين سته أشهر، قال الله تعالى: تُؤْتِي أكلها كُلَّ حِينٍ بِأذنِ رَبِّها [سوره إبراهيم، الآية: ٢٥] و حكى ثعلب عن ابن الأعرابي: الزمان عندهم أربعة أشهر و يقال: شىء مزمى أى أتى عليه زمان، و كان الزمانيه فيه لامتدادها.

و قال ابن الأعرابي: يقال من الزمان زمنه، و زمن و من الزمانه أيضا يقال: به زمنه و زمن، و يقال: لقيته فى الزمن بين الزمنين، ألا تراه قد حدّ للقاء وقتا، و للفراق وقتين، و كلّ قريب، و يقال: لقيته ذات الزمن أى ساعه فى مده من الدهر يسيره. و قال غيرهم: الحين الوقت فى كلّ عدد، و الملا غير مهموز مثله، و يقال: الحين سبع سنين، و احتج بقوله تعالى: لَيْسَ جُنَّةً حَتَّى حِينٍ [سوره يوسف، الآية: ٣٥] و قيل هو أربعون سنه لقوله تعالى:

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ [سوره الإنسان، الآية: ١] و ذاك أنه روى فى الخبر أن آدم عليه السلام أتى عليه بعد خلق الله إياه و هو طين أربعون سنه ثم نفخ فيه و لم يدر ما هو.

و قيل: الحين ثلاثه أيام لقوله تعالى: إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ [سوره الداريات، الآية: ٤٣] فكان فيما روى ذلك القدر. و قال آخرون: ثلاث مرّات فى اليوم لأنه تعالى قال:

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآية: ١٧] إلى و حِينَ تُظْهِرُونَ [سوره الروم، الآية: ١٨] قالوا: و هذا يقتضى أن يكون فى قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينٌ تُرِيحُونَ وَ حِينٌ تَسْرِحُونَ [سوره النحل، الآية: ٦] غدوه و عشيه قال الشيخ: المحصل الصحيح أن قولهم: الحين لما يتناول من الزمان و يتقاصر و يكون محدودا أو غير محدود.

و قد حكى عن أبى زيد و أبى عبيده و يونس أن (الدَّهْر) و (الزَّمان) و (الزَّمن) و (الحين) يقع على محدود، و على عمر الدَّنيا من أولها إلى آخرها. قال الأعشى شعرا:

لعمرك ما طول هذا الزَّمن على المرء إلّا عناء معن

يريد به الوقت الممتد و قيل فى قوله تعالى: وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ [سوره ص، الآيه: ٨٨] أراد يوم بدر و قيل: أريد به القيامه. و جميع ما حكيناه عند الفحص يدلّ على أنّ المراد به تبع لمقصود المتكلمين. فإذا قال: لم ألقك منذ حين و هو يريد تباعد الوقت، علم ذلك بالحال أو القرينه، و كذلك لو قال: أعطيك حقك بعد حين، و أراد: تقريب الوقت.

و إذا حلف الحالف على حين، فإن كان من أهل المعرفه بالحين أخذ بقوله، و إن لم يكن من أهلها حمله الإمام على أعرف الأوقات فيه عند العامه، و استظهرنا بعد الحالين فى الوجود.

و قال شرقى الزَّمن عندهم شهران- و الزَّمين شهر واحد. و قيل: الزَّمان سته أشهر- و الزَّمن أربعة أشهر- و الزَّمين شهران- و الحرس كمال السَّينه ما بين أولها إلى آخرها. و قال غيره: الحرس ما بين الحين إلى السنه. و قال الخليل: الحرس وقت من الدَّهر دون الحقب.

قال شعرا:

و عمرت حرسا دون مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

و يقال: شىء محروس، أى عليه حرس، و يقال: أحرس بالمكان، أقام حرسا. قال:

و علم أحرس فوق عنز- و العنز أكمه صغيره.

و البرهه عشر سنين. و قال الخليل للبرهه: حين من الدَّهر طويل- و العصر عشرون سنه. و قيل: العصر لا يكون إلّا لما سلف. و قوله تعالى: وَ الْعَصِيرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [سوره العصر، الآيه: ١، ٢] قال ابن الكلبي: هو الدَّهر كلّ الماضى و المؤتلف، و قد قيل:

عصر و أعصر و عصور. قال: كر اللّيالى و اختلاف الأحصر. و قال آخر: أبعصور من بعد تلك عصور، و العصران الغداه و العشى.

و الأشدّ ثلاثون سنه، و قيل: هو لما بين ثلاث و ثلاثين إلى تسع و ثلاثين. قال الشيخ:

تحقيقه بلوغ نهايه القوه و الشَّباب. و اختلف فى بنائه، فمنهم من يقول: هو جمع و واحده شد و مثله ضب و اضب. و منهم من يقول هو واحد و مثله من الأبنيه قولهم آنك و هو الأسرب و قولهم آجر. و قال سيبويه: افعل ليس من أبنيه الواحد. و هذان

أعجبان عند أصحاب العرييه.

و السبت من الدهر ثلاث مائه سنه، و قال بعضهم: السبت أربعون سنه و أنشده:

و قد نرتعى سبتا و لسنا بحيرهمحلّ الملوک تفده فالمغاسلا

و الحقبه من الستين إلى الثمانين. و قال بعضهم: من السبع إلى العشر. و قال الخليل:

الحقبه زمان من الدهر لا وقت له و الجمع الأحقاب. و قيل الحقب: السنين واحدا حقب، و الحقب: الدهر و الجمع الأحقاب. و قيل: فى قوله تعالى: لا يبين فيها أحقاباً [سوره النبأ، الآيه: ٢٣] واحدا الحقب ثمانون سنه، كل سنه اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم منها مقداره ألف سنه من سنى الدنيا. و ذكر قطرب أن الحقب بلغه قيس مائه سنه.

و القرن من الثمانين إلى المائه، و قالت طائفة منهم القرن ثلاثون سنه و قيل القرن أربعون سنه. و قال أبو عمرو غلام ثعلب: الصيحيح عندى أن القرن مائه سنه، و ذاك أن النبى صلى الله عليه و سلم مسح يده على رأس صبي و قال له: «عش قرنا» فعاش مائه سنه. و قد احتجوا أيضا بقوله عليه السلام: «خير الناس قربي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». و هذا يدل على أن القرن ثلاثون إلى الأربعين.

و قال ابن الأعرابي: الهنيد مائه سنه، و الهند مائتا سنه و الدهر ألف سنه. و قول الله تعالى: بضع سنين [سوره يوسف، الآيه: ٤٣] قيل: إنها سبعة. و قال أكثر أهل اللغة: إن البضع لما بين الثلاثه إلى العشر. و حكى البضع بفتح الياء و قال المبرد: هو ما بين العقدين إلى الواحد، و إنما جاز فى الاثنين أيضا عنده لأنه جمع، و بضع اسم الجماعة المحظوره بالعقود. و قال أحمد بن يحيى: البضع من ثلاثه إلى سبعة و أكثره تسعه، و يقال: بضع عشر و بضعه عشر شهرا، و بضع و عشرون إلا أنه مع العشره أكثر و أصله من القطع، يقال: بضعه بضعا و المقطوع بضع، فهو مثل الطحن و الطحن.

و ذكر أبو عبيد الوقص ما زاد من السنين على العشر، و إحدى عشره وقص و كذلك المياه التى لا تورّد بين الماءين المورودين وقص قال و الشنق فى الديه خاصه، و قيل: الوقص و البضع اسمان للعدد فهما يستعملان فى كل معدود و هذا هو الصحيح.

و النيف يجىء بعد العقود يقال: نيف و عشرون، و نيف و تسعون، و لا يقال: نيف و عشره، و يجوز عشره و نيف لأنه اسم لما يزيد على العقد و وزنه فيعل و أصله من ناف ينوف إذا ارتفع و أشرف و انبسط، و يقال: ناف النفس ينوف نوبا إذا تحرّك و نسّم بعد خفوضه و هموده. و يقال فى الدنف الحرض قد نافت له نفس ترجوه معه، و إذا حمحم الفرس للقصيم، قيل: ناف نوبا، و يقال: أناف على الشىء أى أشرف، نافه يناف. و التوف السنام لإشرافه و البطر لزيادته فى ذلك الموضع و العلم قال شعرا:

يخبّ به العطاف رافع نوفه له زفرات بالخميس العرمم

الآن: فقد قال أبو العباس: يشار به إلى حاضر الوقت، و تلخيص هذا أنه الزمان الذى يقع فيه كلام المتكلم فهو آخر ما مضى و أول ما يأتى من الأزمنه، و هذا مراد قولهم:

الآن حد الزمانين، و الذى أوجب بناءه أنها وقعت فى أول أحوالها بالألف و اللام. و حكم الأسماء أن تكون منكوره شائعه فى الجنس. ثم يدخل عليها ما يعرفها من إضافه، و ألف و لام فخالفت الآن سائر أخواتها من الأسماء، بأن وقعت معرفه فى أول

أحوالها، و لزمّت موضعا واحدا كما تلزم الحروف مواضعها التي وقعت فيها في أوليتها غير زائله عنها، و لا نازحه منها و اختيرت الفتحه لآخرها لخفتها و لمشاركتها للألف التي قبله. و قال الفراء فيه قولان:

الأوّل: أنّ أصله أنّ الشىء يئين إذا أتى وقته، كقولك: آن لك أن تفعل كذا و إني لك، ثم أدخلوا الألف و اللام عليه، و إن كان فعلا كما يروى أنه نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن قيل و قال فعلان ماضيان و أدخل عن الجاره عليهما و تركا على ما كانا.

الثانى: إنّ الأصل فيهما أوان، ثم حذف الواو فبقى آن، كما قالوا: رواح و راح، و الكلام عليه قد مضى فى غير هذا الموضع من كتبنا.

و قولهم أيان فإنه يقوم مقام متى، فهو يتضمّن معنى الألف و كان حكمه أن يكون ساكن الآخر، لكنّه حرّك لالتقاء الساكنين، و اختيرت الفتحه لخفتها و لأنّ قبلها ياء مشدّده، و هما بين الياء و النون، ليس بحاجز حصين و هو الألف.

و حكى الكسائى أنّ أبا عبد الرحمن السلمى قرأ: أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [سوره النحل، الآية: ٢١] بكسر الألف.

و إيّان و أفان فهما معربان متمكّنان و تضيفها فتقول: جئت على إيّان فلان و إفاته أى فى وقته، و تفردهما بنزع الجار منهما، فتقول: جئت إيان ذلك و إفاته، و انتصباهما على الظرف.

و أما قولهم أوان فمعناه الوقت و يجمع على آونه قال ابن أحرر شعرا:

يؤرّقنا أبو حنش و طلق و عمّار و آونه أنالا

و قد جاء مبينا منونا فى قول الشاعر:

طلبوا صلحنا و لات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

و إن كان متمكنا فى جميع الكلام تقول: هذا أوان طيب، و أدركت أوان فلان، قال أبو العباس: إنّما بنى من قبل أنّ الأوان من أسماء الزّمان، و أسماء الزّمان قد تكون مضافات إلى الجمل، كقولك: هذا يوم يقوم زيد، و أتيتك زمن عمرو أمير. فإذا حذف الجملة من

قولك أوان، وقد يضم معناها و هو فى حكم المعرفة بها استحق البناء، ثم عوّضت منها التّنين كما فعلت ذلك بقولك: حينئذ و ساعتئذ و فارق قولك: أوان الغايات، لأن الغايات مضافه إلى المفردات فى التقدير، و أوان مضافه إلى جملة فهو كاسم حذف بعضه و بقى بعضه و قد عوّض مما حذف فيه و الغايات لم يؤت فيها بما يكون عوضا، و تيه الإضافة فيه أقوى إذا كانت إلى المفرد لا إلى الجملة، و اختيرت الكسره فى أوان لما بنى لالتقاء الساكنين.

و ذكر بعض الكوفيين أنّ لآت جارت لأوان بمنزله حرف من حروف الخفض، و لو كان كذلك لفعل به مثل ذلك فى قوله تعالى: وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ [سوره ص، الآية: ٣].

و أما إذ و إذا فهما اسمان مبهمان. فإذا لما مضى و إذا للمستقبل، فهما كالأسماء الناقصه المحتاجه إلى الصيالات، لأنّ الأسماء موضوعها أن تدلّ على مسمياتها فى الأصل، فإذا صار بعضها لا يدلّ بنفسه على ما هو المطلوب منه و احتاج إلى ما يكشفه، و يوضح معناه حلّ بما بعده من تمامه محلّ الاسم الواحد، و صار هو بنفسه كبعض الاسم، و بعض الاسم مبنى. فإذا يوضح بالابتداء و الخبر، و الفعل و الفاعل تقول: جئتك إذ قام زيد، و إذ زيد قام، و إذ يقوم زيد و إذ زيد يقوم، فإذا كان الفعل مستقبلا حسن تقديمه و تأخيره. و إذا كان ماضيا قبح التأخير، لا- يقولون: جئتك إذ زيد قام، إلا مستكرها من قبل، أنّ إذ للماضى، فإذا كان فى الكلام فعل ماضٍ اختير إيّاه لمطابقتها و مشاكله معناهما. و إذ عند أصحابنا اسم مضاف إلى موضع الجملة التى بعدها، و لا يجازى بها، لأنها مقصوره على وقت بعينه ماضٍ.

و إذا من أسماء الزّمان أيضا و يقع بعدها الأفعال المستقبلة، و هى موضحة بما بعدها كما كانت إذ غير أنها لا يليها إلا الأفعال مظهره كانت، أو مضمرة كقولك: أجيئك إذا قام زيد، يعنى الوقت الذى يقوم فيه، و فيها معنى المجازاه فلذلك لا يقع بعدها إلا الأفعال.

فإذا رأيت الاسم بعدها مرفوعا فعلى تقدير فعل قبله، لأنّه لا يكون بعده الابتداء و الخبر و إنّما لم يجازيها لأنها تقع محدوده، و المجازاه معتوده على أنّها يجوز أن يكون و ألّا يكون تقول أجيئك إذا احمرّ البسر، و لا يجوز أن تقول: إن احمرّ البسر، فلما كان إذا لوقت معلوم لم يجاز بها، و إن كان فيها معنى المجازاه، إلا أن يضطر شاعر قال الفرزدق:

ترفع لى خندق و الله يرفعنانا إذا ما خبت نار لهم تقد

و معنى المجازاه: أنّ جوابها يقع عند الوقت الواقع كما يقع المجازاه عند وقوع الشّرط. و لإذا موضع آخر يكون فيه اسما لمكان و ذاك من ظروفه و سيجىء الكلام فيه فى الباب الذى يليه.

الباب الثاني عشر في لفظ أمس - و غد - و الحول - و السنه - و العام - و ما يتلو تلوه

اشاره

و لفظ حيث - و ما يتصل به - و الغايات - كقبل - و بعد - و ذكر أول - و حينئذ - و قط - و منذ - و مذ و إذ المكانية.

و من عل يقال: اليوم ليومك الذي أنت فيه، و أمس لليوم الذي يليه يومك الذي أنت فيه و قد مضى. و قال قطرب و غيره: يقول: رأيت أمس فتكسر، كما قالوا: قال الغراب:

غاق يا هذا في حكاية صوته، و تميم يرفعون أمس في موضع الرفع فيقولون: ذهب أمس بما فيه فلا يصرفونه لما دخله من التغيير و قال الزجاج:

لقد رأيت عجا مذكراً أمساءجائزا مثل السعالى خمسا

فكأنه ترك صرفه فى لغه من جرّ بمذ. و قال عدى بن زيد:

أ تعرف أمس من لميس طلل مثل الكتاب الدارس المحول

قال الشيخ: اعلم أنّ أمس اسم معرفه لما مضى و شوهده. و غد بخلافه لأنه و إن كان اسماً لليوم الذى يلى يومك الذى أنت فيه، و لم يجىء فهو نكره. و مثلهما قطّ و أبدا لأن قط معرفه و أبدا نكره، و فى بناء أمس طريقتان:

الأول: ما ذكره أبو العباس المبرّد و هو أنّ شرط الاسم أن يلزم مسماه، و لا سيّما ما كان معرفه ليكون علماً باقياً له. و أمس ليس يلزم مسماه لأنه اسم لليوم الذى يليه يومك الذى أنت فيه و قد مضى، فكلمة مضى يومك انتقل لفظ أمس عمّا كانت له إلى ما كانت بعده، فلمّا كان كذلك أشبهه الحروف فى أنّه لا لزوم لها و إنما ينقل إلى ما ينقل إليه كمن و فى و إلى، فيفيد معناها فيه فبنى لذلك.

الثانى: إنه كان حق تعريفه أن يكون بالألف و اللام ليؤدّى العهد فيه فلم يدخل عليه، بل ضمن معناهما، و الاسم إذا تضمّن معنى حرف، يجب أن يبنى، فهذا وجه بنائه فأما من

منعه الصيرف فإنه يجعله معدولا عمّا فيه الألف و اللّام كأنّه لا يأتي بهما، و هو يريد معناهما فى الاسم كما أنّ قولك: سحر كذلك و قد مضى القول فيه، فإن نكرته و جعلته شائعا صرفته به و صرفته، فقلت: مضى أمس و كذلك إن أضفته أو أدخلت عليه ألفا و لاما، لأنّه يصير موقتا محدودا تقول: مضى أمسك، و كان أمسا أطيب من يومنا، و مضى الأمس.

فإن قال: ما بال غدا لا يكون مبنيا قلت: أمس معرفه مشاهد معلوم، و غدا ليس بمعلوم و لا مشاهد، لأنّه لم يأت قبيلهما سبيل قط المشدّده و أبدا، لأنّ قطّ للقائل من لدن قوله أى ابتداء كونه فهو معلوم، يقول: ما رأيته قطّ، تحركت الطاء الأخيره لأنّه لا يلتقى ساكنان و يضمها كما يضم آخر الغايات، و سنين القول فيها كلّها، و إذا قلت: لا أكلمه أبدا، فالأبد مذ لدن تكلمت إلى آخر عمرك، فهو غير معلوم، و جار على أصله الذى له و صار مصروفا منصرفا لم يعرض فيه ما يوجب تنيرا.

قال قطرب: و أظنه حكى عن الخليل أنّهم أرادوا بأمس حين حفظوا رأيتهم بالأمس، فحذفوا الباء و الألف و اللّام كما قالوا خير عافاك الله فى جواب: كيف أصبحت؟ يريدون بخير، و كما قالوا: لاه أبوك الله أبوك. و قال ذو الأصبغ شعرا:

لاه ابن عمّك لا أفضلت فى حسب دونى و لا أنت ديانى فتجزونى

فحذف لام الإضافه و لام التعريف و هذا تقويه لقول الخليل، و مثله قول الآخر:

طال التواء و ليس حين تقاطع لاه ابن عمّك و التوى لعدوّ

انتهى كلامه. قال الشيخ: هذا الذى حكاه لا يكون بناء بل يكون الحركه فى أمس إعرابا كما أنّها فى حين و فى لاه أبوك شاذ، فلا يجعل أصلا لغيره. قال قطرب: فإذا دخلت الألف و اللّام فى أمس، فبعض العرب ينصبه، و يقول: رأيتهم الأمس و بعضهم يخفضه كحاله قبل الألف و اللّام، و يقول: رأيتهم بالأمس و قال نصيب شعرا:

و إنى حبست اليوم و الأمس قبله ببابك حتى كادت الشمس تغرب

انتهى كلامه.

قال الشيخ: الوجه فى إدخال الألف و اللّام أن ينكر أولا ثم يعرّف بهما، فأما من نصب بعد إدخال الألف و اللّام فهو القياس، لأنّ الألف و اللّام و التّنكير يرددان اللفظ إلى ما كان يجب عليه فى الأصل.

و أما ما حكاه عن يونس أنّه سمع الكسر مع دخول الألف و اللّام، فالمتكلم بذلك يجب أن لا يكون قد اعتدّ بالألف و اللّام، و لم ينكر قبل دخولهما، و بقى الكسر إيذانا بفعله ذلك، و يكون هذا كقوله شعرا:

و لقد جنيتك أكمؤا و عاقلاو لقد نهيتك عن بنات الأوبر

فأدخل الألف و اللّام على الأوبر و هو معرفه، لأنه لم يعتد بهما، أو يكون أجراه مجرى الخازباز و خمسة عشر و أخواته فى العدد، لأنّ الألف و اللّام لا يزيلان بناءهما و لا يردانهما إلى أصلهما، و الأول أجود و أكثر نظيرا فى الوجود. قال قطرب: و إذا جمعت أمس فى القياس قلت: ثلاثه آماس، لأنه مثل فرخ و أفراخ، و فلس و أفلاس، و قال الرّاجز شعرا:

مرّت بنا أول من أموس تميم فيه مشيه العروس

فجمعه على فعول مثل فروخ و فلوس، و قال بعض الأعراب:

مرّت بنا أول من أمسيه تجرّ فى محفلها الرّجليه

فبنى أمس انتهت الحكايه. قال الشيخ: الياء فى أمسيه لبيان الحركة، و كذلك فى الرّجليه، و كأنه أراد أول من أول من أمس فثنى أمس بدلا من تكرير أول، و هذا كما قال أبو العباس فيما حكى عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسى اضربا عنقه. و المراد: اضرب اضرب فأتى بدل التّكرير بلفظ التثنيه، فأما أول من قولك أول من أمس فهو صفه كان المراد به يوما أول من أمس، و قالوا: بعد غد، و لم يقولوا: قبل أمس، فكان أول بدل قبل، و بعد غد فى موضع الصّفه أيضا.

قال قطرب: فإن أضفته فإنّ بعضهم يجزّه كحاله قبل أن تضيف، كما كأن ذلك فى الألف و اللّام. قال الشيخ: الوجه فى أمس إذا أضيف أن يعرب و يصرف كما قلناه فى الألف و اللّام، فأما من بناه مع الإضافه فإنّه شبهه بخازباز و خمسة عشر و أخواته، لأنها بنيت، و إن أضيفت، و رجوع أمس فى التّنكير إلى أصله هو الذى يدل على مخالفته لباب خازباز و خمسة عشر و أخواته. و قد قال قطرب فى أمس: إذا جعلته نكره فإنه يجرى فيه الإعراب و كل ما يرده التّنكير إلى أصله تردّه الإضافه و اللّام إلى أصله، و خمسة عشر و أخواته بنيت نكرات، و إن كان كذلك كان الصّعف و البعد فى بناء أمس عند الإضافه و مع الألف و اللّام ظاهرين فاعلمه، و تقول: آتيك غدا أو شيّعه، و آتيك الجمعه أو شيّعه و المراد اليوم الذى يليه. قال عمر بن أبى ربيعه شعرا:

قال الحبيب غدا يفرّقنا أو شيّعه أ فلا تودّعنا؟!

فكان هذا من الاتباع، و فى الحديث: شاعه أبو بكر أى أتبعه، فيقال على هذا النّبى صلى الله عليه و سلم و شيّعه، أى مصدّقه و صاحبه و من هذا الشيّعه.

و قال ابن الأعرابى: يقع الشيّعه على كل من أحبّ و صدّق و حضّ على الاتباع أو حرّض تأخر عن المتبوع أو تقدم عليه. أ لا ترى قوله تعالى: وَ إِنَّ مِنْ شِيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ [سوره الصّافات، الآية: ٨٣] يعنى من شيّعه محمد صلى الله عليه و سلم فأما قوله:

كأن أمسيا به من أمس يصفّر ليس اصفرار الورس

فإنه يعنى عرق الإبل، و هو يصفّر إذا ببس و معنى أمسيا به: يريد عرقا ظهر منذ ثلاثة أيام، و معنى من أمس: منذ، كما قال: أقوين من حجج و من دهر و عرق الخيل إذا ببس اببص. قال بشر:

تراها من ببس الماء شهابمخالط درّه فيها اقورار

و الحول: السّنه بأسرها، و جمعه أحوال، و قد حال الحول يحول حولًا- و حؤلاً- و احتال الشىء و أحوال: أتى عليه حوال أو أحوال، و أحال بالمكان: أقام فيه حولًا، و قال الخليل:

أرض مستحاله تركت أعواما من الزّراعة.

و السّنه اسم لاثنى عشر شهرا، و هو اسم منقوص و الدّاهب منه فى لغه كثير منهم الهاء، كان الأصل سنه، فحذف الهاء لمناسبتها لحروف المدّ و اللين و على هذه اللغه تصغر سنيه، و يقال منه: هو يعمل مسانهه، كما يقال: معاومه و نخله سنهاء: تحمل عاما و تحول عاما قال:

ليست بسنهاء و لا رجييهو لكن عرايا فى السنين الجوائح

و فى لغه غير هؤلاء الدّاهب منه الواو، كان الأصل سنوه، فحذف الواو تخفيفا ثم جمعت على سنين جبرانا بالنقيصه لأنّ جمع السّلامه إذا حصل فى غير النّاطقين و من جرى مجراهم يكون للتّفخيم و التّعظيم، أو جبرا لنقص داخل على الاسم، و الأسماء المنقوصه تجد الدّاهب منها فى الأعم الأكثر الواو و الباء لاستثقالهم إيّاهما، و كما يحذفونهما حذفًا يعلّونهما بالقلب و الإبدال، لأنّ كلّ ذلك يؤدّى إلى التّخفيف، و على ذلك هذه اللّغه يصغّر سنيه و تجمع سنوات و يقال: هو يعمل مساناه، و يقال: أسنى القوم و هم مسنون: إذا أتت عليهم سنه، و قد جعل السّنه اسما للجذب، فيقال: أصابتهم السّنه، و جعل الفعل منه أسنت، فرقا بين هذا المعنى و غيره، يقال: أسنت القوم و هم مستنون، و على هذا لغه من جعل لامه واوا دون اللّغه الأخرى، و هم يفعلون ذلك بما فيه لغتان و يقال أيضا: رجل سنت: أى قليل الخير، و قوم سنتون، و التّاء من أسنت هو بدل من الواو، و هذا كما فعلوا فى بنت و أخت، ثم جعل البديل فى أسنت لازما كأنّهم أرادوا أن يختصّ بالجذب، حتّى كأنّه وضع له، فلا مناسبه بينه و بين ما للوقت و هذا كما جعل البديل فى قولهم: عيد، لازما، فقيل: عييد و أعياد فى تصغيره و جمعه و لم يردّوه إلى أصله، و إن كان من عاد يعود لقصدهم إلى أن يختصّ بما يفيد بعد الإبدال العارض فيه كأنّه بناء آخر له و ليس بمشتق.

فأمّا قولهم: العام، فيقال منه: عاومت النّخله إذا حملت سنه و حالت أخرى، و عنب معوم: كثر حملة سنه و قلّ أخرى. و فى الحديث نهى عن المعاومه، و هو: أن تببع الزّرع

عامك بما يخرج من قابل، و هو أن يزيد على الدّين، و يؤخّر فى الأجل، و يقال: أتيتّه ذات عويم: أى العام، و يقال: أعوام عوم و عام عائم على التّوكيد، كما يقال: شعر شاعر، و هو عامى إذا أتى عليه عام. قال العجاج: من أن شجاك طلل عامى.

فصل [فى تعريف العام و السنه]

قال قطرب: العام لما أنت فيه، و قابل للثانى لأنّه يستقبلك، و جمعه قوابل و قباقب للعام الثالث، و مقبب للعام الرابع. قال: و كان أبو عمرو بن العلاء يعرف مقببا فى العام الرابع، و جمعه القباقب بفتح أوله، و هذا كما قيل: عذافر و عذافر و جوالق و جوالق، و أنشدنا أبو على فى قابل و هو من أبيات الكتاب:

فقال: امكثى حتّى يسار لعلّنا نحجّ معا قالت أعاما و قابله؟

و مما يسأل عنه أن يقال: من أين جاز أن يقال عاما أوّل، و لا- يوما أوّل، و لا سنه أولى. و الجواب: أنّ قولهم عاما أوّل مما عمدوا فيه إلى تخصيصه بشىء لا- يكون فى غيره، اعتمادا على التّعارف، لأنّ المعنى: عاما أوّل من عامى، فلمّا كانت الكلمه متداوله و كانت الحاجه إلى كثره استعمالها ماسّه حذفوا و أوجزوا معتمدين على علم المخاطب، و التّيه الإتمام، و مثل هذا الاختصاص قولهم: اليوم فعلت كذا، جعلوه ليومك الذى أنت فيه، و لا يقولون: لقيته الشّهر، و لا السّينه، و قد قالوا أيضا: لقيته العام و إن كان العام بمعنى السنه قال:

يا أيّها العام الذى قد رابنى أنت الغداء لذكر عام أوّلا

فإن قيل: و لم احتجّ إلى من حتى قدرت فى قولك: عاما أوّل أنّ أصله عاما أوّل من عامى. قلت: إنّما افتقر الكلام إلى من لأنّهم أرادوا أن يبيّنوا فى أفعل ابتداء الزّيادة من أى شىء كان ليعرف حدّه و مبتدؤه. ألا ترى أنّ معنى قولك: زيد أفضل من عمرو أنّ ابتداء زياده فضله من فضل عمرو، فهو حدّه. و أوّله، فكذلك قولهم: عاما أوّل فاعلمه.

و اعلم أنّ حيث فى الأمكنه بمنزله حين فى الأزمنه، بدلاله أنّه يقع على كل مكان، لا جهه من الجهات الست إلّا و لإبهامه يقع عليها، و احتاج فى الاستعمال إلى جملتين: جمله يضاف إليها، و جمله تفيد حدثا يقع فيه، كما أنّ حين يقع على كلّ زمان. و لذلك أضيف إلى الجمل الخبريه من الابتداء، و الخبر و الفعل و الفاعل و الشّروط و الجزاء، كما فعل ذلك ياذ و أخواته- و إن كان ذلك خارجا من شروط الأمكنه، لأنّ المكان إذا جاء بهما حكمه أن يضاف إلى مفرد يخصّيه، فلمّا تنهى حيث فى الإبهام لانتظامه جميع الجهات، و لم يضيف إلى مستحقّه من مفرد يخصّيه بل أضيف إلى جمله، صار هو مضافا إليها فى حكم المفرد

فأشبهه الغايات من نحو: قبل و بعد و ما أشبههما، لأنها هي مفردة تضمّنت معنى المضاف إليه و هو معرفه فبنيت جميعا لذلك، إلّا أنّ الغايات وجب أن تبنى على حركه لأنها ممّا قد يتمكّن في غير هذا الموضع، فصارت لها مزيّه على ما لا يتمكّن البتّه، فبناؤها لما لها في أوّل أمرها و حيث وجب أن تبنى على سكون لعدمها تلك المزيّه، لكنّه حرّك آخره لالتقاء الساكنين.

و في حيث لغات أربع: حيث و حيث و حوث و حوث، فالضمّ لدخوله في شبه الغايات مما ذكرناه و الفتح لخفته. و حكي الكسائي عن بعضهم أنّهم يكسرون حيث فيقولون: من حيث لا يعلمون كسره إعراب، و يمكن في هذا أن يقال فيه: إنّه شبهه باسم الزمان إذا أضيف إلى غير متمكّن، نحو من خزي يومئذ و يومئذ و على حين عاتبت و حين عاتبت.

و الغايات أصلها الظروف و إعرابها في الأصل: للنصب و الجر، و كان تمامها بما كانت تضاف إليه، فأفردت عنه اعتمادا على علم المخاطب به و جعلت في نفسها غايه الكلام و نهايته، حتّى كأنّه لا افتقار فيه إلى غير هذا، و قد ضمّن معنى ما كان مضافا إليه و يصير به معرفه، و الاسم إذا تضمّن معنى حرف فحقّه أن يبنى، و إنّما قلنا: و يصير به معرفه أنك لو نكرته لأعرب و أجرى على أصله، تقول: جئت قبلا و بعدا كما تقول: أولا و آخرا كما أنك لو أضفته، فقلت: من قبل كذا، و من بعد كذا لأعرب و لم بين.

و قال أبو العباس: يقول في الجملة: إنّ كلّ ما كان حقّه الإضافة فحذفت منه استغناء بعلم المخاطب فإنّه معرفه من غير جهة التعريف و حقّه البناء، فمن ذلك: قبل - و بعد - و أوّل - و منذ - و ليس - و غير - يدلّك على حذف المضمّر ما يحذفه بعد حرف الاستثناء إذا قلت: عنده درهم ليس إلّا، حذفت ما بعد إلّا استغناء و منها: من عل و يا زيد، و منها: قطّ و هو لما مضى من الدهر و حسب و هي للاكتفاء و معنى قطّ فيما مضى فانقطع، و القطّ القطع عرضا، و القدّ القطع طولاً، فهو معرفه لا يدخله الألف و اللّام و لا الإضافة.

و قال شيخنا أبو علي: قطّ اسم ينتظم أوّل وقت، ذى الوقت إلى آخر ما بلغه منه، فهو عباره عن أمده و مدّته، فوجب لذلك أن يكون مضافا إلى ذى الوقت كما أضيف إليه قبل و بعد، فلما اقتطع عن الإضافة بنى على الضمّ كما بنى، و مثل قط في انتظامه أوّل الوقت إلى آخره، منذ: إذا أريد به تعريف أمد الشىء و ذلك نحو أن تقول: لم أر زيدا، فيقال: ما أمد ذلك، و ما مدّته، يعنى انقطاع الرّؤية فتقول: منذ عشرون يوما فابتداء الوقت و انتهائه هذا في انتظام الاسم الذى هو مدّه لهما، و من ثم بنى منذ أيضا على الضمّ حيث كان غايه مثل قطّ، و يجوز في جوابه المعرفه و النكره و أبدا يدخله الألف و اللّام لأنّه نكره و معنى أبدا فيما اتّصل و امتدّ من الوقت، و منه الآبده و الأوابد. و معنى قطّ مخفّفه مسكّنه إذا قلت: قطك ليكفك

و اكتف و مثله قدك و حسبك و لتضمّنهما معنى الأمر فى أول أحوالهما، استحقا البناء، و مثل قَطَّ و قطك فى أنه يستعمل مثقلا و مخففا قولهم: بخ و بخ.

قال محمد بن زيد: يقال: بخ بخ، و ينقل أيضا كما قال فى حسب بخ و عزاقس و أنشد غيره شعرا:

بين الأشخّ و بين قيس باذخ بخ بخ الوالده و المولود

و قال أبو إسحاق الزيادى: الدليل على أنّ مه ليس من قولك مهلا أنه ليس فى الدنيا اسم انصرف و هو تام، و امتنع من الصّرف و هو ناقص. فقال أبو عثمان المازنى: بلى قَطَّ المخففه، زعم سيبويه أنها مخففه من قولك قططته قَطًا، قال: و الدليل على ذلك أنّ معنى قَطَّ معنى حسب، فهو لقطع الشىء يقوى ما ذهب إليه أبو عثمان فى هذا المعنى قولهم فى حسب: بخ فأعربوه مثقلا و بنوه مخففا و تقول: جئت من فوق، و من تحت، و من أمام و من دون، فالضمّ فى جميع ذلك مستعمل على الوجه الذى بينته.

فأما قولك: من عل فمعناه من فوق، و فيه عده لغات ذكرها أهل اللّغه و سبيلها سبيل ما قدّمناه من أنّ جميعها فى تقدير الإضافة، فإذا حذفت المضاف إليه لم يخل من أن يكون معرفه أو نكره، فإن كان المحذوف نكره تنكرت و أعربت و إن كان معرفه بنيت لأنها بمنزلة اسم قد اكتفى ببعضه عن جميعه، و بعض الاسم يبنى و هو ظاهر.

و اعلم أنّ ل: إذ موضعا آخر غير ما ذكرنا، و هو قولك: بينا زيد قائم إذ رأى عمروا.

و بينما زيد قائم جاء عمرو، فبينما عباره عن حين، و المعنى وقت أنا قائم جاء عمرو، إلّا أنّ بينما متمكّنه فلها صدر الكلام بمنزله مذ الذى يرفع الخبر. و كان الأصمعى يجزّبها المصدر خاصه و ينشده: بينا تعتقه الكماه و روجه، يريد حين يعتقه و النّحويون يخالفونه لأنها مبهمه لا تضاف إلّا إلى الجمل التى بينتها. و قال سيبويه: إذ يكون للمفاجأه إذا قلت: بينا أنا جالس إذ حضر عمرو، و بينا أنا أكلم عمرو إذ طلع زيد.

و كان الأصمعى و كثير من النّحويين يابون وقوع إذ فى هذا الموضع، لأنّ معنى بينا الحين، فإذا قلت: حين زيد قائم إذ طلع عمرو، فلا معنى له إنّما الكلام حين زيد قائم طلع عمرو، و إذ فضله. قال أبو العباس: أشعار العرب على ذلك قال:

بيننا نحن نرقبه أتانامعلق و فضه و زنا دراع

و قال امرؤ القيس:

فبيننا نعاج يرتعين خميلهاكمشى العذارى فى الملاء المهذب

فكان ينادينا و عقد عذاره و قال صحابى قد شأونك فاطلب

فأما ما قاله سيبويه فغير بعيد، وقد أجازته قوم. و أنشد سيبويه شعرا:

بينما هنّ بالكثيب ضحى إذ أتى راكب على جملة

و قولك: خرجت فإذا زيد قائم، يجوز أن يقال: فإذا زيد قائم خرجت كما تقول:

خرجت فإذا زيد، لأنّ إذا ظرف مكان و سُمّي الاسم به و المعنى: فحضرني زيد و إذ إذا جعل للمفاجأه كان في مثل معناه و أمّا مذ و منذ فقد قال أبو العباس: أول ما يذكر من أمرهما أنّه يجوز أن يكون كلّ واحد منهما اسما و حرفا جازا و لذلك قال سيبويه: إنّ مذ فيمن جرّ بها بمنزله من في الأيام و مذ و منذ شىء واحد إلّا أنّ الأغلب على مذ أن يكون اسما و على منذ أن يكون حرفا لأنّ النقصان إنما يكون في الأسماء و الأفعال دون الحروف، و ذلك في نحو:

دم و يد و خذ و كل.

و الدليل على أنّ مذ منقوصه من منذ أنّك لو سُميت إنسانا أو غيره بمذ ثم صغرته لقلت منيدا، فرددت ما ذهب فإنما هو بمنزله لد و لذن و من عل و من علا و آتيك غدا و غدوًا، فإن أردت في منذ أن يكون حرفا قلت: لم أرك منذ يومين، و مذ يوم الجمعة و معناه: من هذه الغايه، و كذلك سرت من مكان كذا، و إذا أردت أن يكون اسما قلت: لم أر ذاك مذ يومان أى أمد ذاك يومان و هذا ابتداء و خبر و الرفع في مذ أكثر. و إذا قلت: أنت عندنا مذ الليله أو مذ اليوم صارت بمنزله منذ التى غلب عليها الحرفيه، و ذاك لأنّ العله التى يوجب منها الاسميه قد زالت لأنك إذا قلت: لم أرك منذ يومان، فالمعنى بينى و بينك يومان و إذا قلت: أنت عندنا مذ الليله، فليس معناه بينى و بينك الليله، إنما هو فى الليله فإنما المعنى فإذا قال: رأيت زيدا مذ يومان، فيجوز أن تكون الرؤيه متّصله، و يجوز أن يكون رآه فى ذلك الوقت، ثم لم يره بعده، و إنّما هذا على قدر ما تقدم، يقول القائل: إنّ زيدا يأتيك مذ مده، فأقول: أنا رأيت مذ يومان أو شهران، و تأويل هذا إنّما حدثت هذه الرؤيه فى هذا الوقت، أو يقول القائل: زيد أ يأتيك فى كلّ يوم؟ فأقول: ما رأيت مذ يومان، أى قد انقطع عنى بعدهما، و لو قال القائل مبتدئا: رأيت زيدا مذ يومان، ثم لم يصله بكلام، و لم يعطفه على كلام، لم يحكم فيما بعد الوقت بشىء و يتصل بهذا أن تقول: رأيت زيدا مذ يومان، يختلف إلى عمرو، و رأيت زيدا مذ يومان يضرب عمرا، فإنما خبّرت بوقت الضرب و لم تعرض لما بعده و تقول: رأيت زيدا يوم الجمعة أى أول ما فقدته أول يوم الجمعة، فيقع النفى على جميع اليوم كما كانت الرؤيه فى جميعه. و يجوز أن يكون النفى واقعا على بعض اليوم فيكون حدّ الرؤيه منه مجاوز الأول الفقدان، و قول القائل: لا كالمشيه زائر و مزورا معناه: لم أر زائرا كزائر رأيت اليوم، قال: و لا يقولون فى سائر الصّيفات، يعنى الظّروف لا يقولون لا كنصف النهار و لا لا كهذه السّينه قال الشاعر شعرا:

روحوا العشيّه روحه مذكورها إن متن متن و إن حين حيننا

إن متن متن و إن حين فلا أرى لا كالعشيّه إن بقين بقينا

و اعلم أنّ قول القائل: ما برحت أفعل كذا براحا. أى أقمت على فعله مثل ما زلت أفعله، و هذا فى الزّمان و لا بدّ له من خبر. فإن قلت: ما برحت من مكان كذا، فالمعنى ما زلت براحا و بروحا، و هذا فى المكان كالأول فى الزّمان و قد مضى القول فيه، و يمضى فى غير موضع من هذا الكتاب.

و قد قيل: إنّ براح اسم للشمس معدول عن البارحة الزّائله مثل قظام و قولهم جبل براح يوصف به الأسد و الشّجاع، لأنّ زواله متعذّر كأنه شدّ بالجبال، و هذا غريب فيما يشفق، و مثله قول القائل: البارح من الطّبا و الطّير هو المنحرف عن الزّامى إلى جهه لا تمكّنه من الرّمى، و السّانح المقبل المتعرّض فى جهه تمكن. قال: و لذلك يتشاءم بالبارح، و يتيمّن بالسّانح، قال: فأما من تيمّن بالبارح، فلائنه نجا، و من تشاءم بالسّانح لأنه هلك. و قول ابن الأحمر:

غدوا و أعدوا الحيّ الزّيالو شوقا لم يبالوا العين بالا

الغدو يحتمل أمرين: يجوز أن يكون مصدرا، و يجوز أن يكون اسم اليوم الذى يلى يومك، فإن جعلته مصدرا يكون مثل غدا غدوا، و يكون مفعولا و أعدوا الزّيال المفعول الثانى، و ينعطف عليه شوقا كأنهم لما و عدوا بالزّيال المهيج للشّوق فقد و عدوا بالشّوق.

و مثله الغدوّ فى القرآن: غُدُوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَّاحُهَا شَهْرٌ [سوره سبأ، الآية: ١٢] فالغدوّ:

مصدر بدلاله أنّه قابله بالزّواح، و التّقدير مسيره غدوّها مسيره شهر، و إن جعلته اسم اليوم فمثله قوله: بها يوم حلّوها و غدوا بلاقع. و المعنى فى غدو: أعدوا الحيّ الزّيال و شوقا، و يكون المفعول الثانى محذوفا، و أما قوله تعالى: وَ ظَلَّالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ [سوره الرعد، الآية: ١٥] فيجوز أن يكون الغدوّ: جمع غد مثل نحو و نحو، و يقوى ذلك أنّه قوبل به الجمع الذى هو الأصال، و يجوز أن يكون المصدر، و يقويه قوله: بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ [سوره آل عمران، الآية: ٤١] و قال:

أفد الرّحيل و ليته لم يَأفدْ فاليوم عاجله و نعذل فى غد

أى اليوم عاجل البين، و نعذل فى غد أى فى أخبار غد يضيف المصدر إلى المفعول به لأنّه خرج بانجراره من أن يكون ظرفا، فهو مثل: من دعاء الخير، و بسؤال نعجتك، و قال:

و ليس عطاء اليوم مانعه غدا. أى مانعه عطاء غد فحذف المضاف.

الباب الثالث عشر فيما جاء مثنى من أسماء الزّمان و اللّيل و النّهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها

إشاره

يقال: اختلف عليه العصران أى اللّيل و النّهار و قد يراد بهما الغداه و العشى، لأنّ العصر من أسماء العشى، و لذلك قيل: صلاه العصر، ثم يسمّى الغداه أيضا عصرا، و يثنى كما يقال: القمران فى الشّمس و القمر، و قد تصرفوا هذه اللفظه فقالوا: أ لم يجىء فلان لعصر بضم العين أى لم يجىء حين مجىء .

و فى العصر لغتان: الضّم و الفتح و استعمل فى هذا أحدهما، و كذلك قالوا: أ ما نام لعصر أى لم ينم حين نومه، و ما نام عصرا، و كلّ ذلك بالضّم و يقال: أعصرت الجاربه أى بلغت حين إدراكها. قال: قد أعصرت أو قد دنا إعصارها. و هذا كما يقال: أحصد الزّرع و أجدّ النخل، كأنّها بلغت عصر شبابها و عصور شبابها و عصر شبابها، فأما فعل كذا عصره أى مره، فيجوز أن يكون من ذلك أيضا.

و حكى بعضهم أنّ العصر لما قد سلف، و لم يجىء فى شعر الفحوله إلا- كذلك و قد جاء فى شعر من دونهم، و قال ابن الكلبي: هو الدّهر كلّ الماضى و المؤتلف، و يقال: لا أكلمك العصرين، و ما اختلف العصران، و هما القرنان و الطّفلان. قال لييد:

و على الأرض غيابات الطّفلى. و قال: يسعى عليها القرنين غلام، و هما العصران و البردان و الأبردان و البردتان، و يجمع فيقال: الأبارد. و يراد بها أطراف النّهار.

و قال أبو سعيد الصّريير: العيوق ما دام متقدّما على الثّريا، ففى الزّمان بقيه من الأبارد، و إذا استوى العيوق مع الثّريا فقد بقى منها شىء قليل، و قال ذو الرّمه:

و ماج السّفا موج الحباب و قلّصت مع النّجم عن أنف المصيف الأبارد

و يقال: اختلف عليه الملوان: أى اللّيل و النّهار. قال ابن مقبل:

ألا يا ديار الحىّ بالسبعان أمل عليها بالبلى الملوّان

و هذا تشبيه ملا، و فسّر أمل عليها: طال عليها. قال الشيخ: و يجوز عندى أن يكون أمل من إملال الكتاب، يقال: أمل الدّروس و الخلوقة عليها الملوّان، و يكون الباء فى قوله:

بالبلى: إن شئت زائده للتأكيد، و إن شئت قلت: أراد بسبب البلى و يكون مفعول أملى محذوفاً.

و ذكر بعض النّظار أنّ قولهم: ملوان لا- يكون اللّيل و النّهار بدلاله قول ابن مقبل نهار، و ليل دائم ملواهما. و الشىء لا يضاف إلى نفسه و لكنّه المتّسع من الدّهر، و لو قيل: غدوّها و عشّيها كان أشبه. و قال ابن أحمر شعراً:

ليهنكم أنا نزلنا ببلدهكلا ملوه بها ميبس غير منعّم

و قد تصرّفوا فى هذه اللفظه على أبيته مختلفه فقالوا: لقيت عنده ملوه من الدّهر و ملوه و مليا. قال الله تعالى: وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا [سوره مريم، الآية: ٤٦] و مضت ملاوه من الدّهر و ملاؤه و ملاوه. قال أبو ذؤيب شعراً:

حتّى إذا جزرت مياه رزوبهو بأىّ حزّ ملاؤه يتقطّع

و من هذا قوله تعالى: فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ [سوره الحج، الآية: ٤٤] أى أخرت النّقمه منهم يقال: أملى الله لفلان العمر: أى أخر عنه أجله، و قوله: بأىّ حزّ ملاوه، لفظه استفهام و المعنى معنى الخبر أى: تنقطع تلك المياه فى حين، و أى حين، و المراد فى أشدّ ما كان حاجه إليها عند انتهاء الحر و ذهاب الرّطب، و انتشار الغدران، و هذا كما تقول: فى أىّ حين و وقت زيدا حين تمكّن العدو منه، و ضاقت المسالك به، و يقال: على أىّ حزه أانا فلان؟ أى أى ساعه و حين، و جئنا على حزه منكره، و كأنه يعنى ما حزّ من الدّهر أى قطع، و إنّما أضاف الحزه إلى الملاوه، و هما اسمان للوقت، لأنّ المراد بأىّ ساعه من الدّهر، فالحز اسم للجزء اليسير. و الملاوه: للممتد المتّصل، و هذا كإضافه البعض إلى الكل، و يقال: تملّيت حبيبا: أى عايشته طويلا ملاوه و حيناً، و ملاك الله نعمه أى أدامها و أطال وقتها، و قال الأسود بن يعفر:

آليت لا أشريه حتّى يملّنى و آليت لا أملاه حتّى تعارقا

قال قطرب: قوله: أملاه أتى به على مليه: بلاه و قالوا: أملاك الجديدان و الأجدان و الفتان: أى اللّيل و النّهار، و ابنا سمير، و كل ذلك اشتقاقه و طريقتة ظاهر، قال:

لم يلبث الفتان أن عصفا بهم ليل يكرّ عليهم و نهار

و قال آخر:

غدا فينا دهر و راحا عليهما نهار و ليل يكثران التواليا

و من هذا الباب قولهم: لا أفعله ما اختلف الصرعان أى الغداه و العشى، و يقال:

الصّرعان: أى الغداه، و بالفتح أيضا و يقال: أتيته صرعى النهار أى طرفيه من طلوع الشمس إلى الصّحى، و بالعشى بعد العصر إلى الليل، ثم قالوا: هما صرعان: أى مثلان، فعلى هذا يراد باختلافهما تصرّفهما، و يقال أيضا: هو ذو صرعين: أى لونين و يجمع على الصروع، و ما أدرى على أى صرعى أمره وقع، أى حاله و تركهم صريعين: أى ينتقلون من حال إلى حال، و هو يفعل على كل صرعه، أى على كلّ حاله.

و حكى ابن الأعرابى: لا- أكلّمك ما اختلف الصّرعان: الحينان غدوه و عشيّه، و من كلامهم: عندك ديك يلتقط الحصى صرعيه، يقال: هذا مثلا للنّمام، قال: و على هذا: يراد الاختلاف الذى هو ضد الوفاق. فأما قولهم: المصراعان فى الأبواب و أبيات الشّعير فيجوز أن يكون من التماثل، و يجوز أن يكون من قولهم: هو صرع كذا أى حذاه. الزّيادة اختلف عليه الفتان، أى الغدوه و العشيّه من الفتون و هو الضّروب.

و قال أبو سعيد فى قول الله تعالى: وَ فَتَنَّاكَ فَتُونًا [سوره طه، الآية: ٤٠] أى فتونا فى اليمّ و فى مدين و حيث قيل: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ [سوره طه، الآية: ١٢] و ذكر يعقوب زرتّه:

البردين و القرنين أى طرفى النهار. و زرتّه الغربين أيضا: أى غدوه و عشيّه. الأصمعى اختلف إليه الرّدفين أى الغداه و العشى- و الغداه ردف اللّيل و العشى ردف النهار.

و يقال: لقيته بأعلى سحرين و بأعلى السّحرين أى وقت السّحر الأعلى و هو قبيل الصّبح. قال: غدت بأعلى سحرين تذأل. و بأعلى سحر. قال العجاج: غدا بأعلى سحر و أجرسا. رد بعضهم بيت العجاج و قال: كان ينبغى أن يقول: بأعلى سحرين لأنّه أوّل تنفس الصّبح، ثم الصّبح و تقول: أسحرنا كما تقول: أصبحنا- و تسحرنا أكلنا سحورا- و جئتك بسحر- و بسحره- و بالسّحر- و سحيرا. و قال أحمد بن يحيى: الأسحار: الأطراف و به سمى سحر، و أنا أراك منذ سحر.

و قال قطرب: أتيتك سحره و سحريا و سحر، و يقول: سحرى هذه اللّيله أيضا. قال فى ليله لا نحسّ فى سحرّيه و عشائها.

و يقال: صبح و لا جمع له، و صباح و صبيحه و أصبحه و أصبحه و أصبح، لأنّ العرب تجعل الإصباح لنفس اللّيل، فيقول: أصبح قال فبات يقول: أصبح ليل حتى تجلّى عن صريمه الظّلام.

و الصّبح صبحان، كما أنّ السّحر سحران. و يقال: ابنا جمير اليومان اللذان يستسر القمر

فيهما في المحاق قبل البحيره، و ابن حمير أيضا.

و حكى أبو العباس المبرد أنه يقال للشتاء و الصيف: العصران و كذلك لكل مختلفين معناهما واحد. قال الزبيح بن صبيح:

أصبح منّا الشّباب قد بكر إن بان منّا فقد ثوى عصرا

يعنى سنين كثيره، و القارنان الليل و النهار و أنشد للكيميت شعرا:

يا من عذ يرى من ذواله كم ذا يزيد على إباله

يغدو علىّ مقارنا كالقلونين مع الغزاله

فلا جبانك مشقصا أوسا أويس من الهباله

قوله: على إباله، مثل يقال للرجل إذا جاء بمكروه ثم أعقب بعده بمثله ضغث يزيد على إباله، و الإباله الحزمه الكبيره. قوله فلا جبانك يريد لأرمينك بسهم جبالك. و الأوس العطيه، و أويس تصغير أوس و هو الذئب. و الهباله من الاهتبال و هو الاغتنام، و قال بعضهم:

الهباله اسم ناقه. يقول من يعذرني منه مقارنا غدوه و عشيه و قيل في القارين هما الليل و النهار. و يقال للشمس و القمر القمران. قال: لنا قمرها و النجوم الطوالع. و يقال لهما السّيراجان من قوله تعالى: وَ جَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا [سوره نوح، الآيه: ١٦] و النيران و مما جاء مثنى من أسماء الكواكب السّما كان الزّامح- و الأزل- و النّسران: الطّائر- و الواقع- و الفرقدان و الشّعريان- العبور- و الغميصاء- و المرزمان و هما مرزما الشّعريين و الهراران- قلب العقرب و النسر الواقع و الخراتان(١) في الأسد و الغميصاوان و الوزان حضار- و الوزن و المحلفان و هما حضار و الوزن أيضا.

و قال ثعلب الهراران النّسران لأنهما إذا طلعا في المشرق فهو نهايه البرد و هذا كما قيل: سهيل لأنّ الحرّ يسهل عند طلوعه، و قيل للدّبران الحادى و الدّابر و التّابع و يقال: ما رأيت من أجردان و جريدان و أجدان و جديدان أى يومان أو شهران. و ابنا سمير الليل و النهار و السمر الدّهر و ابنا سبات الليل و النهار، و قيل ابنا سبات رجلان و أنشده شعرا:

و كنا و هم كابنى سبات تعزفاسوى ثم كانا منجدا و تهمايا

و عرفوتا الدلو و الفرغان للمقدّم و المؤخّر، و حكى أبو العباس ثعلب: الأثرمان: الدّهر و الموت و أنشد شعرا:

١- و الخراتان نجمان و هما زبره الأسد و الزّبره بالضم الكاهل و كوكب من المنازل و هما كوكبان تيران بكاهلى الأسد ينزلهما القمر- قاموس.

و لَمَّا رَأَيْتَكَ تَنْسَى الذَّمَامَ وَ لَا قَدْرَ عِنْدَكَ لِلْمَعْدَمِ

وَ تَجْفُو الشَّرِيفَ إِذَا مَا أُخِلَّ وَ تَتْنَى الدَّنَى ء عَلَى الدَّرْهِمِ

وَهَبْتَ أَخَاكَ لِلْأَعْجَمِينَ وَ لِلْأَثْرَمِينَ وَ لَمْ أَظْلَمِ

أخْل: احتاج من الخله و الأعجمان: السَّيْل و الحريق، و حكى أبو عمر و غلام ثعلب مرزم السَّمَاك و مرزم الجوزاء.

فصل في ترتيب الأوقات و تنزيلها

قال أبو نصر: تكوير الليل على النهار و النهار على الليل أن يلحق أحدهما بالآخر.

و إيلاج النهار في الليل، و الليل في النهار، دخول أحدهما في الآخر. و قال الخليل: التكوير تغشيه الليل النهار و النهار الليل. و منه كاره القصار. و قال الدَّريدي: الكور كور العمامه و القطعه العظيمه من الإبل، و فى المثل: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أى التَّقْصَان بعد الزَّيَادَة، و كرت العمامه كورا، و كذلك الكاره و كار الرجل، و استكار: أسرع فى مشيته يكور كورا، و زلف الليل من النهار و النهار من الليل ساعات كل واحد منهما يأخذه من صاحبه، و الواحده زلفه. قال تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ [سوره هود، الآيه: ١١٤] و منه المزالف و الزلْفى و مزدلفه.

و قال الخليل: مزدلفه: سميت بهذا الاسم لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضه من عرفات، قال الأصمعي: إذا طلع الفجر فأنت مفجر حتى تطلع الشمس فإذا طلعت فأنت مشرق إلى ارتفاع النهار، ثم أنت مضح. و فى القرآن: فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ [سوره الشعراء، الآيه: ٦٠] فى وقت طلوع الشمس، و الإشراق و التَّشْرِيق انبساطها، و الشروق طلوعها. ثم أنت مضح حتى تزول الشمس، فإذا زالت فأنت مهجر و مظهر إلى أن تصلَّى العصر، ثم أنت معصر و مقصر و موصل إلى أن تحمَّر الشمس، ثم أنت مطفل إلى أن تغيب، فإذا غابت فأنت مغيب و مغرب و موجب و مشفق و مسدف، فإذا غاب الشفق فأنت مظلم و مفحم.

قال أبو العيَّاس ثعلب: يقال: رجل نهر و سابع إذا كان يتصرَّف فى النهار دون الليل، فإذا كان بالليل دون النهار قيل: هو ليلي لابس، و هذا أخذه من قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا [سوره النبأ، الآيه: ١٠ - ١١] و قوله تعالى: إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ٧] و قد قيل: سبحا أى: عملا و قلبا و منه سَمَى السَّابِح لتقلبه بيديه و رجليه و لباسا: أى استمتاعا من قوله:

لبست أبى حتى تمليت عيشه و مليت أعمامى و مليت خاليا

و ذكر بعض أصحاب المعانى أنّ العيشه و العيش ليسا بالحياه، و لكن ما يستعان به على الحياه و استدلل بقوله تعالى: وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا [سوره النبأ، الآيه: ١١] قال: و هذا كما قال فى الآيه الأخرى: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ٧٣] و قال فى موضع آخر: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ النَّوْمَ سُبَاتًا [سوره الفرقان، الآيه: ٤٧] أى ما ألبسهم من ظلمته فلبسوه لباسا، و النوم سباتا أى سكونا و أنشد لأميّه:

ما أرى من يعشنى فى حياتى غير نفسى إلّا بنى إسرال

و قال: المراد بقوله: يعشنى يعيننى على أمر الحياه، و السّ يكون إنّما هو فى اللّيل و الابتغاء من فضله بالنّهار، و لكن لما عطف أحدهما على الآخر أخرجا مخرج الواحد الجامع للشّيين، و نظير هذا من الكلام: لئن لقيت زيدا و عمرا لتلقينّ منهما شجاعه و فصاحه، على أنّ الفصاحه لأحدهما و الشّجاعه للآخر، و هذا بمنزله ما يقع فى الجمع إذا قلت: فى بنى فلان خير و شر، لأنّ الدّعوه قد ضمّتهم جميعا فانطوت على الخير و الشرّ، و إن كان الخير فى جماعه و الشرّ فى آخرين، و كذا كلّ تشبيه و جمع تعلق الخبر به على الإجمال، لأنّه يصير كالواحد.

و قال تعالى فى موضع آخر: وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا [سوره الفرقان، الآيه: ٤٧] أى:

ينشرون فيه عن نومهم باللّيل، و الانتشار التّصرف. و قال فى موضع آخر: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا [سوره القصص، الآيه: ٧٢] أى دائما، يقال: هو يسهر سهرا سرمدا إذا لم يكتحل فيه بغمض و لا يكون السّرمدا ما يقع فيه فصل، و قوله تعالى: تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّنَنَّهٗ وَ أَهْلَهُ [سوره النمل، الآيه: ٤٩] أى تحالفوا، و كلّ عمل باللّيل تبسّيت. و يقال: هو أمر دبر بليل. و يقال للصّقيع: البيوت، لوقوعه باللّيل، و فى القرآن: إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ [سوره النساء، الآيه: ١٠٨] و أنشد أبو عبيده شعرا:

أتونى فلم أرض ما يتّواو كانوا أتونى بأمر نكر

و قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً [سوره الفرقان، الآيه: ٦٢] الخلفه ما خلف بعضه بعضا أى كلّ واحد يخلف صاحبه، قال زهير:

بها العين و الأرام يمشين خلفهوا أطلاؤها ينهضن من كلّ مجثم

و معنى لمن أراد أن يذكر، يريد لمن أراد أن يتذكّر و يستدلّ على نعم الله على خلقه و على أنواع لطفه فيما تعبدهم به و تظاهر حججه و تبيانه فيما ندبهم إليه، و هذا كما قال تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ * [سوره القمر، الآيه: ٣٢] و كقوله تعالى:

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * [سورة الرعد، الآية: ١٩] و قوله تعالى: أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [سورة الفرقان، الآية: ٦٢] يريد أو يتأمل ما ينقل فيه حالا بعد حال من صنوف آلائه، و وجوه إحسانه، فيضم الشكر فيه. قوله: خلفه فيما يؤديه من المعنى كما حكاه أبو زيد من قولهم: ولد فلان شطره، و المراد ذكورهم بعدد إناثهم، فهذا من الشطر، كما أنّ ذاك من الخلافه. و النشأه و الناشئه أول ساعات الليل.

و قال ابن الأعرابي: إذا نمت من أول الليل نومته ثم قمته، فتلك الناشئه و النشأه حجر يكون على الحوض. قال و منه قوله: هرقله في بادي النشيئه دائر و النشيئه الجارية.

و منه قول الشاعر شعرا:

و لو لا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار

قال أبو العباس المبرد: إذا قال القائل: ما رأيته مذممه من يومى علم أنّ ذلك ساعه أو ساعات. و إذا قال: مذممه من عمري علم أنّ ذلك سنه أو سنون أو ما يدانيه.

و من ظروف المكان منى فرسخين: و كان شيخنا أبو على يقول: هذا كان يقوله الدليل لمن يستهديه، أى: إنى أرشدك فى فرسخين، و معنى من شأنى و أمرى كما قال: فإنى لست منك و لست منى و يجوز أن يقول: أنت منى فرسخان، كأنه جعله نفس الفرسخين.

و المعنى: بيننا هذه المسافه، فأما قولهم: هو منى معقد الإزار و مقعد له لقابله، و مناط الثريا فإنما ساعته أن تكون ظروفًا و إن كان المحدود من الأماكن لا يجعل ظروفًا لأنها أزيلت عن مواضعها، فوضعت موضع القرب و البعد، فدخلها بذلك الإبهام، و تقول: اليوم الجمعة و اليوم السبت، و جعلت الثانى هو الأول، فرفعت لكونه مبتدأ أو خبرًا، و إن نصبت فقلت:

اليوم السبت و اليوم الجمعة جاز. و تجعل الثانى كالحديث لتضمّنه معنى الفعل، فيصير كقولك: اليوم الخروج، و غدا الارتحال، و لو قلت: زيد اليوم لم يجز، لأن ظروف الأزمنة لا تتضمّن الأشخاص و الجثث، لأنها لا تخلو منها على كلّ حال، فلا يحصل فى الكلام فائده، و كذلك إذا قلت: حضرت يوم الجمعة، كان يوم الجمعة ظرفًا لا غير، لأنك إن جعلته مفعولًا لم يكن فيه فائده، لأنه لا يغيب عنه أحد و على هذا قوله تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ [سورة البقره، الآية: ١٨٥] و يقول: الصيام عشره أيام إلما يومًا، فلا يجوز إلا الرّفح لأنه يريد الوقت كلّهُ فهو كقوله تعالى: غَدُوها شَهْرٌ وَ رَوَّحُها شَهْرٌ [سورة سبأ، الآية: ١٢] و تقول: اليوم عشر من الشهر و الاختيار النّصب، و كذلك إذا قلت لك: اليوم شهران أو سنتان نصبت اليوم، و إن سقط من الشهر شىء لأنّ الاسم يستحق منه على نقصانه، و تقول: لا أكلمك أخرى الليالى ذكر أخرى ليصلها بما قد مضى، و كذلك غابر الدهر: أى باقيه و قوله: رآها مكان السوق أو هو أقربا، مثل قوله تعالى:

وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ [سوره الأنفال، الآية: ٤٢] أى فى مكان أقرب أو أسفل و يقول: هو منى قدر أن تناوله يدى، و فوق أن يناوله يدى، و بعضهم يرفعه و الوجه النَّصْب و على هذا قوله شعرا:

و قد جعلتنى من خريمه إصبعاو يقول: لقيته من قبل قبل

على التكرير، غايه و لقيته من قبل قبل تضيف الأول و لا تضيف الثانى، و التيه فى الإضافة أن تكون إلى نكره، و إن كانت التكره فى مثل هذا المكان تفيد فائده المعارف، بدلاله قوله آتيك غدا، لأنه نكره كالمعرفه، و قبل الذى لم تضيفه معرفه لكونه غايه بما ضمّن، و هو فى حكم البدل من قبل الأول، لأنّ إبدال المعرفه من التكره هو الأصل، و إن شئت قلت لقيته من قبل قبل، تنوى الإضافة فيهما على ما بيّنته. و مثله قولهم: من وراء وراء فى الوجوه كلّها. و قد ذكر سيبويه فى قولهم: من عل أنه مضارع لقولهم: من عل لأنهما لمّا وقعا لمعنى واحد على تقديرين مختلفين سمّاه مضارعه، فأما قوله: و قد علاك مشيب حين لا حين، فالمراد حين غير حين أى جاء المشيب فى غير أوانه، فأدخل النفى على حدّ ما كان موجبا.

فصل فى قوله تعالى: ما ذا قال آنفاً [سوره محمد، الآية: ١٦]

و فى أحرف سواه يكثر البلوى به.

قال أبو زيد: يقال: ائنتفت الكلام ايتنافا و ابتدأته ابتداء أو هما واحد، و أنشد:

وجدنا آل مرّه حين خفناجريرتنا هم الأنف الكراما

و يسرح جارهم من حيث أمسى كأنّ عليه مؤتفا حراما

قال السيكرى: الأنف: الذين يأنفون من احتمال الضيم. قال شيخنا أبو على: فإذا كان كذا فقد جمع فعلا على فعل، لأن واحد أنف أنف بدلاله قوله:

و حمّال المئين إذا ألمت بنا الحدثان و الأنف النصور

و وجه هذا أنه شبّه الصّيفه بالاسم، فكسّرها تكسيره، فقالوا فى جمع نمر: نمر و أنشد سيبويه: فيها عياسل أسود و نمر. و ليس الأنف و الأنف فى البيتين ممّا فى الآية فى شىء، لأنّ ما فى الشعر من الأنف، و ما فى الآية فى معنى الابتداء و لم يسمع أنف فى معنى ابتداء و إن كان القياس يوجبه.

و قد يجىء اسم الفاعل على ما لم يستعمل من الفعل نحو: فقير جاء عن فقر و المستعمل افتقر. و كذلك شديد، و المستعمل اشتدّ، فكذلك قولك أنفا و المستعمل ائنتفت،

فأما قوله: كان عليه مؤتلفا حراما، فالمعنى كان عليه حرمة شهر مؤتلف حرام، فحذف المضاف و أقام الصِّفه مقام الموصوف، و التقدير: أنّ جارهم لعزّهم و منعتهم لا يهاج و لا يضام، فكأنّه فى حرمة شهر حرام و قوله: و يأكل جارهم أنف القصاع، فإنه يريد أنّهم يؤثرون ضيفهم بأفضل الطّعام و خيره فيطعمونه أوّله لا البقاياء، و ما أتى على نقاوته، فهذا جمع على أنف مثل: بازل و بزل قابل و قبل. و إذا كان كذلك قرئ قراءه من قرأ: ما ذا قالَ آنِفًا [سوره محمد، الآيه: ١٦] و أمّا ما روى عن ابن كثير من قوله: أنفا فمجوز أن يكون توهمه مثل حاذر و حذر، و فاكه و فكه و الوجه الرّوايه الأخرى أنفا بالمدّ كما قرأ عامتهم.

و قال بعض أصحاب المعانى: لا يمتنع أن يكون الباب الذى قسمه كلّه من أصله واحدا و هو التقدّم، و تكون الأنفه من الأنف الذى هو الجارحه، و سمّيت به لتقدّمه فى الوجه. ثم جعل ما يؤنف منه من الدّلل، كإضافه الأنف و جدعه يبيّن هذا و يشهد له قولهم:

بعير أنف و مأنوف: إذا عقره فى الخشاش فانقاد لما يراد منه، و فى الحديث: «المسلم هين لئين إن قيد انقاد» و قد نسب الدّلل إلى الأنف فى كلامهم حتّى قيل: هو يحمى أنفه من كذا و هو حمى الأنف، و الشاعر قال:

و لا نال أنفا منه بالذل نائل

و قال أبو إسحاق فى قوله تعالى: ما ذا قالَ آنِفًا [سوره محمد، الآيه: ١٦] أراد فى أوّل وقت يقرب منّا، و قال الخليل: أنفت فلانا أنفا، كما تقول: الذى قبل أى قبل كأنه أراد أنفته فأنف أنفا، و المعنى حرّكته من أقرب وقته فابتداء هذا بيان ما رمى به الخليل. و يجوز فيه وجه آخر: و هو أن يريد ما ذا قال فيما أنفه و أنفا و يكون أنفته و أنفا من باب قم قائما و أشباهه. و يكون اسم الفاعل نائبا عن المصدر، قال: و ائنتفت ايتنافا أوّل ما يتبدأ فيه، و المستأنف من الكلام و الأمر كذلك.

قال أحمد: و على ما حرّراه من كلام المعترض و حكايه الخليل، صحّ قراءه ابن كثير و توجه اختياره أنفا غير ممدود قياسا و سماعا، و لم يكن متوهمًا فاعلمه.

و من الأحرف التى نداولها قوله تعالى: وَ أَذْبَارَ السُّجُودِ [سوره ق، الآيه: ٤٠] هو مصدر و المصادر تجعل ظروفًا على إرادته إضافه أسماء الزّمان إليها و حذفها كقولك: جئتك مقدم الحاج، و خفوق النّجم، و خلافه فلان، يريد فى ذلك كلّ وقت كذا فحذفه فكأنّه قال:

وقت أدبار السّجود، إلا- أنّ المضاف المحذوف فى هذا الباب لا يكاد يظهر و هذا أدخل فى باب الظّروف من قولك أدبار السّجود إذا فتحت و كأنه أمر بالتّسبيح بعد الفراغ من الصّلاه.

و قد قيل: أريد به الرّكعتان بعد المغرب، و أدبار جمع دبر و دبر و قد يستعمل ظرفا نحو: جئتك فى دبر الصّلاه، أى فى أدبار الصّلاه، و قال شعرا:

على دبر الشهر الحرام لأرضنا وما حولها جدت سنون تلتفع

وقوله تعالى: **وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ*** [سوره يوسف، الآية: ٢٢] أى منتهى شبابه وقوته واحدها شدّ مثل فلس أو شد مثل فلان ودى، و القوم أودى، أو شد مثل نعمه و أنعم، و معناه قال مجاهد: ثلاثا و ثلاثين سنه و استوى معناه أربعين سنه، قالوا: و أشد اليتيم ثمانى عشره سنه. قال أبو زيد: يقال: هو الأشد و هى الأشد، و فى القرآن: **حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَهُ** [سوره الأحقاف، الآية: ١٥].

قال الفراء: الأشد هنا هو الأربعون أقرب إليه فى النسق، و أنت تقول: أخذت عامه المال، إذ كله لا يكون أحسن من أن يقول: أخذت أقلّ المال، أو كله و أنشد المفضل فى شدّ:

عهدى به شدّ النهار كأنما خضب اللبان و رأسه بالعندم

و عند أكثر أصحابنا البصريين أنّ الأشدّ واحد، و أنّه شاذّ لأنّه لم يجىء فعل فى الواحد.

وقوله تعالى: **أَحْسَنُ مَقِيلًا** [سوره الفرقان، الآية: ٢٤] من القائله و هو الاستكنان فى وقت انتصاف النهار، و جاء فى التفسير لا ينتصف النهار يوم الجمعة حتى يستقرّ أهل الجنّه فى الجنّه و أهل النار فى النار، فتحين القائله، و قد فرغ من الأمر فيقول كل من الفريقين فى مقره.

التينون التى دعا النبى صلى الله عليه و سلم فيها على مضر و قال: **«اللهم اشدد وطأتك على مضر، و اجعلها سنين كسنى يوسف»** يقال: كان الناظر منهم يرى بينه و بين السيماء دخانا من شدّه الجوع، و يقال: بل قيل للجذب دخان، حتى قيل فى قوله تعالى: **بُدْخَانٍ مُّبِينٍ** [سوره الدخان، الآية: ١٠] أى جذب، ليبس الأرض، و ارتفاع الغبار، فشبهه ذلك بالدخان، و من مجازهم و اتساعهم: ارتفع له دخان إلى السماء هذا لبشر و ذلك إذا علا.

الباب الرابع عشر فى أسماء الأيام على اختلاف اللغات و مناسبات اشتقاقها و تثبتها و جمعها

قال قطرب: أسماء الأيام: السبت- و الأحد- و الاثنين- و الثلاثاء- و الأربعاء- و الخميس- و الجمعة. فالأحد هاهنا اسم و أصله: و حد و قد يكون صفه مثل قوله: بذى الجليل على مستأنس وحد. و معنى الواحد الذى لا ثانى له و إنما لم يثنّ و هو اسم لأنه متى ثنى خرج من أن يكون واحداً، فلذلك لم يقل: وحدان و إبدال الهمزة من الواو المفتوحة جاء فى أحرف معدوده. و الاثنين من تثبت الشىء إذا ضعفته ثنياً ثم يسمّى المثنى ثنياً، و لا يقال فى أحد اثن، لأنه إذا أفرد عما يثنى به لم يستحقّ هذا الاسم. فأما الثلاثاء و الأربعاء و الخميس فإنها و إن أريد بها ما يراد من أسماء العدد إذا قلت ثلاثة و أربعة و خمسة، فإنّ فى تغيير الأبنية لها قصد. و سبويه قال: أحبوا فى الأوقات أن يحصوها بأبنية تلزمها من بين سائر المعدودات، و شبّها بقولهم: عدل و عديل و وزين و وزان فى الفصل بين الأجناس.

و حكى سبويه: هذا يوم اثنين مباركاً فيه. و استدللّ على تعريفه بانتصاب الحال بعده، و فيه على هذا تعريفان.

الأول: باللام تعريف الحارث و العباس.

الثانى: تعريف العلميه و الوضع، كما أنّ عروبه، و العروبه للجمعه كذلك، و السبت سُمى به قيل: للراحه، و منه السبات النّوم، و يقال: انسبت الرّجل إذا اعترته سكته. و قيل:

أصل السبت القطع. و منه السّبات لأنه يحول بين التمييز و صاحبه، و يقطعه عن عادته و تصرّفه، و يقال: سبتوا عنقه إذا قتلوه. و المنسبت من النّخل: ما يجرى الإرتاب فى جميعه، فكأنّه انقطع من حدّ البسر، و يقال لضرب من النّعال: السبت، و إنّما هى التى قد نثر شعرها. و يقال: إنّ السبت إنّما سُمى لما أخذ على اليهود فى السبت و نهوا عنه فى هذا اليوم مما هو مباح فى غيره، و انقطاع حكمه من حكم غيره، و من جعل السبت إنّما يسمّى به

للزّاحه، يقول قوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ [سوره ق، الآيه: ٣٨] هو ردّ على اليهود فى قوله تعالى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ* آخرها يوم الجمعة و استراح فى يوم السبت فردّ الله ذلك عليهم و أبطل قولهم. و سَمِيَ السَّيِّبُ: شيارا و اشتقاقه من شيرت الشىء إذا أظهرته و بينته، و يقال: شيرأى حسن الشياره و هى ظاهر منظره، و من هذا قيل: القوم يتشاورون أى يظهرن آراءهم كأنّ كلّ جماعه منهم يظهرن ما عندهم و يعرضونه. و يجوز أن يكون قولهم لخيار الإبل الشيار من هذا الذى ذكرناه. و قيل للأحد: أول لأنهم جعلوه أول عدد الأيام. و قالوا للإثنين: أهون و أوهد فأهون من الهون و هو السَّيِّبُ يكون من قوله تعالى: يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا [سوره الفرقان، الآيه: ٦٣] و أوهد يدلّ على هذا المعنى لأنّ الوهده الانخفاض كأنّهم جعلوا الأوّل أعلى ثم انخفضوا فى العدد. و قالوا للثلاثاء الجبار أى جبر به العدد، و أعظم به العدد و قوى، لأنّه حصل به فرد و زوج.

و قال الخليل: سَمِيَ به فى الجاهليه الجهلاء، و فى الخبر العجماء جبار و المعدن جبار. أى يهدر الأرض فيه، فهو يخالف المعنى الأول. و قولهم للأربعاء: دبار لأنّه عندهم آخر العدد و قد تمّ بإجرائه العقد الأوّل. و دبر كل شىء مؤخّره، و إنما كان كذلك لأنّ الخميس - و الجمعة - و السبت - سمّوها بأشياء تصنع فيها فاستغنوا بها عن عددها. و قيل للخميس: مؤنس لأنّه يؤنس به لقربه من الجمعة و فى الجمعة التأهب للاجتماع. و قيل للجمعه: العروبه لبيانها عن سائر الأيام، و الإعراب فى اللغه الإبانة و الإفصاح، و العرب شوكة البهيمى و الواحده عربيه، سمّى بذلك لأنّ الورق يسقط منه فيظهر الشوك. فالتأويل أنّه قد بان من الورق و العرابه عسل الخزم، سمّى به لأنّه يقال لثمره العراب، و الواحده عرابه، و قد أعربت الخزم، و يقال للمرأه الغزله هى عربيه و عروبه أيضا. و منه قوله تعالى: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَثْرَابًا [سوره الواقعه، الآيه: ٣٥ - ٣٦] و قيل: العروبه المتحبيه إلى زوجها، و يقال للمتهلّل الوجه: عرابه. و بير عربيه: كثيره الماء. و قد قيل:

العروبه بالألف و اللّام و بغير الألف و اللّام كأنّه جعل علما، و أنشد فيه شعرا:

و إذا ترى الزّواد ظلّ بأسقف يوما كيوم عروبه المتناول

يروى يوما كيوم، و يوما كيوم، قال: و لم يزل أهل كل دين يعظّمونه و جعله متطاولا للعباده فيه، و المعنى و إذا ترى هذا الحمار الوارد ظلّ له يوم طويل و طوله طول مكثه يميل بين الورود و تركه. و إذا نصبت اليوم: فالمعنى ظلّ الحمار يوما طويلا فى هذا الموضع، و إذا رفع فالمعنى ظلّ بأسقف يوم له، و روى الأرواد فكأنّه جمع ورد و المعنى: أهل الأوراد أو يجعل الورد للواردين. و قال القطامى: فأتى بالألف و اللّام شعرا:

نفسى الفداء لأقوام هم خلطوا يوم العروبه أورادا بأوراد

(و تسمى الجمعه) حربيه أيضا، سميت بذلك لبياضها و نورها فهى فى الأيام كالحربه.

(و ذكر أصحاب) السّير أنّ أولاد نوح عليه السّلام عزموا على المسير فى الأرض ليروها، و يختاروا منها لمطافهم و أوطانهم فبدءوا بمسيرهم فى يوم الأحد فسّمى الأوّل. (ثم لما كان اليوم الثّانى) كان السّير الذى شق عليهم فى الأوّل أخفّ فسّمى الاثنيّن أهون. و (فى الثّالث) جبروا ما تشعّت من أحوالهم بعد ما نزلوا سمى لذلك الثّلاثاء جبارا، و لأنّهم جبروا ما كانوا خفّفوه من سيرهم فيما قبله فسّموه جبارا. و (فى الرّابع) انتهوا إلى عقاب و جبال فحجزتهم و منعّتهم فأدبروا و غيروا الطّريق فسّمى الأربعاء دبارا. و (فى الخامس) تسهّل الطّريق و رأوا ما أنسهم فسّمى الخميس مؤنسا. و (سميت الجمعه) العروبه لأنّ كلمتهم اجتمعت و بان لهم من الرّأى ما كان خافيا فتعربوا و اتّفقوا. فإذا جمعت السّبت فيما دون العشره أسبت و الكثير سبت. و إذا جمعت الأحد قلت فى القليل: آحاد و فى الكثير أحواد مثل جمل و أجمال و جمال و أسد و أسود و آساد. و الاثنان لا يثنى فإنّه مثنى، فإن أردت تثنيته جئت بالمعنى فقلت: هذان يوما الاثنيّن و لا يحسن مضى الاثنان، فيحصل الإعراب مرتين. قال قطرب: و مع ذلك قد حكى. و فى الجمع أيضا تقول: مضت أيام الاثنيّن، إلا أنّهم قد قالوا: اليوم الثّنى فلا بأس على هذا أن يجمع فيقول: مضت أثناء كثيره.

و حكى عن بعض بنى أسد: مضت آتان كثيره، كأنّه جمع أثناء مثل: قول و أقوال و أقاويل، و أسماء و أسامى، فلا بأس بذلك. قال: و حكيت لنا مضت أثنين، و لا وجه لهذا لأنّه من ثنيت الشىء، فالثّون الأخيره لا مدخل لها، فأما جمع الثّلاثاء و الأربعاء فثلاثاوات، و أربعاوات بالألف و الثّاء، لأنّ فيها علم التّأنيث و هو الهمزه بعد الألف كألف حمراء و صفراء.

و زعم يونس أنه يقال: مضت ثلاث ثلاثاوات، و أربع أربعاوات، على تأنيث اللفظ و يقال: ربعت الجيش إذا أخذت ربع القسمه منهم و لم يأت على وزن المربع فى تجزئه الشىء غير المعشار و المربع المكان الباكر بالنبات. و منه قوله: رزقت مرايع النّجوم، و فى الأربعاء لغات الأربعاء بفتح الباء و الأربعاء بكسر الباء و الهمزه، و يجمع على أربعاوات و أربع، و تقول أيضا: ثلاث ثلاثاوات و أربعه أربعاوات على معنى التّذكير، لأنّ اليوم مذكّر و قال الشّاعر شعرا:

قالوا: ثلاثاؤه خصب و مآدبهو كلّ أيامه يوم الثّلاثاء

و حكى المفصّل فى الثّلاثاء الأثالث فى الكثير. و حكى فى جمع الأربعاء الأربع أيضا، و أمّا الخميس فإذا جمعته على أقلّ العدد كان على أفعله تقول: ثلاثه أخمسه، كما

قالوا: جريب و أجربه و كتيب و أكثبه، و يجوز في القياس جمعه على فعلاّن نحو خمسان، كما قيل: كتيب و كئبان و رغيف و رغفان.

و قال يونس: أحمسه في الأيام، و أحمساء في الخمس، تقول: إذا أخذ الخمس قد أخذ أحمساء في ماله. فأما الجمعه فإنها إذا جمعتها لأدنى العدد كانت بالتاء: ثلاث جمعات، أتبع الضمه مثل ظلمات، و إن أسكنت فقلت جمعات و ظلمات كما أسكن عضد و عضد و عنق و عنق جاز و إن شئت فتحت فقلت ثلاث جمعات و ظلمات. و قال النابغة:

و مقعد أيسار على ركبانهم و مربوط أفراس و ناد و ملعب

و إن شئت قلت ثلاث جمع كما تقول: ثلاث ظلم و ثلاث برم. و إن شئت كان ذلك لكثير. و أيام العجوز سبعة كما قال:

كسع الشتاء بسبعة غير أيام شهلتها من الشهر

فبأمر و أخيه مؤتمرو معلل و مطفى الجمر

فإذا مضت أيام شهلتها بالصن و الصنبر و الوبر

ذهب الشتاء موليًا هربا و أتتك و واقده من النجر

قال أبو سعيد: سميت هذه الأيام غربا للغبره و الظلمه. و الشهله العجوز. و أمر سميت بذلك لأنه يأمر الناس بالحدز منه، و سمى مؤتمر لأنه يأتمر بالناس أى يرى لهم الشر و يؤذيههم. و منه قول امرئ القيس:

أجاز ابن عمر و كأنى خمرو يعدو على المرء ما يأتتم

و سمى (صنا) لشده البرد. و الصن البرد. و سمى (صنبرا) لأنه يترك الأشياء من البرد كالصيره في الجمود، و كل ما غلظ فقد استصبر. و سمى (وبرا) لأنه وبر آثار الأشياء أى عفا.

(و التوبير) المحو و الإخفاء، كتوبير الأرنب، و هو أن يمشى في حزونه لا يوقف على أثره، و سمى (مطفى الجمر) بذلك لأن شده البرد تطفى الجمر. (و معلل) سمى بذلك لأنه يعلل الناس بتخفيف البرد. (و النجر) و قده الحر، و منه قيل شهر ناجر. فهذا ما قاله أبو سعيد الضريير، و من الناس من يقول في أيام العجوز هي: المسترقه في أول الشتاء. و منهم من يجعلها في آخر الشتاء، و يسميها أيام الشهله. و منهم من يعدها خمسه، و منهم من يعدها سبعة على ما تقدم. و حكى أن الكسائي سأله الرشيد عن سببها، فقال: كانت امرأه من العرب قد اهرمت، و كان لها سبعة أولاد فقالت لهم: زوجوني زوجوني و هم يضربون عنها و لا يكثر ثون لها فأنشأت تقول شعرا:

أيا بنى إننى لنا كحفيان أيتم إننى لجامحه

هان عليكم ما لقيت البارحهمن الهياج و حكال الوامحه

و يروى الفاضحه. و قيل: أرادت بالوامحه الواحمه أى المشتيه من قولهم: و حمت المرأه توحم و حما و هى امرأه و حمى، فقالوا لها: بيتى لنا سبع ليال على ثنيه هذا الجبل لكل ابن ليله لنزّوجك بعد ذلك، فجاءوها بعد السابعه و قد انقضت.

(فمن عدّها) سبعة فقال: هى: صن (١) و صنبر- و وير- و آمر- و مؤتمر- و معلل- و مطفى الجمر- (و من عدّها) خمسها قال هى: صن- و صنبر و اختهما و بر- و مطفى الجمر- و مكفى الظعن.

و قال أبو سعيد الصّريير: سمّيت أيام العجوز لأنّ العرب جزّت الأصواف و الأوبار مؤذنه بالصّيف، و قالت عجوز منهم لا أجزّ حتى تنقضى هذه الأيام فإنّى لا آمنها، فاشتدّ البرد لها، و أضرب بمن قد جزّ و سلمت العجوز بما لها.

و قال أحمد بن يحيى: الصّيحج أنّ العجوز عجلت بجزّ صوفها لحاجتها إليه و ثققتها بالحر، فجاء البرد و موّت غنمها، و كانت سبعة فماتت كلّ يوم واحده فمن جعلها سبعة فلهذه العلّه، و إلّا فبرد العجوز ربّما بقى عشره أيام أو أكثر.

و قال أحمد بن يحيى: (معتدلات سهيل) بإزاء (برد العجوز) (و الكسع) ضرب الصّرع بالماء البارد حتى لا يدر، و كسع الشّتاء ضرب آخره بهذه الأيام. و (الشّهله) العجوز، و تشهّل الغلام إذا تغيّر بخروج لحيته أو لغير ذلك. قوله (بأمر) أى بيوم استعدّ فيه للبرد كأنّه أمر بذلك. و (مؤتمر) أى ايتمر للحدى أمره بذلك فقبله و قوى برده. و (معلل) من العلل و هو شرب بعد شرب كأنّه جاء ببرد بعد برد (و مطفى الجمر) أى لشده البرد لا يكون للجمر ثبات. (و الصّن) المتكّم برد شديد، (و الصّينبر) مثل ذلك. (و الوبر) يكون من الوبر الذى احتيج إليه من البرد. (و الوقده) شده الحرّ من الوقود و هو النّار. (و النّجر) شده العطش.

و شهرنا ناجر) تموز و حزيران.

و قال الصّريير فى قول أبى عبيده فى الكسعه إنّها الحمير إنّّه خطأ، لأنّ الكسعه تقع على الإبل و البقر العوامل و الحمير و الرقيق لأنّها تكسع بالعصا، أى تساق أو بالخب، فكيف جعلها حميرا و حدها؟ و مما يصدّق ما قلنا قول الشاعر فى أيام العجوز كسع الشّتاء، يريد كسعت أيام العجوز الشّتاء كما تكسع السّيقة إلى حيث يراد بها، و يقال: إنّ يومنا لصنبر،

١- قال فى القاموس: (الصّن) بالكسر أول أيام العجوز. و (الصّينبر) الثّانى من أيام العجوز، و (الوبر) من أيام العجوز، و (آمر) (و مؤتمر) آخر أيام العجوز. (و معلل) كمحدث يوم من أيام العجوز، و (مطفى الجمر) خامس أيام العجوز أو رابعها. ١٢ القاضى محمد شريف الدين المصحح عفى عنه.

و هو القر. و قال غيره فى شدّه البرد: الخرص و الصّينبر و الزّمهير. و قال بعضهم: أيّام العجوز: الصّن- و الصّينبر و ابن عمهما الوبر- و الموضوعى فى القبر- و المسند اللّامه الجمر و المدخل الفتاه فى الخدر و المسلخ العجوز فى الوكر.

و قد سمّت العرب الأيّام الخمسه بأسماء كما خصّت أيّام العجوز بأسماء و هى الهنبر- و الهنزير و قالب القمر- و حائق الظفر- و مدحرج البعر. قال أبو حنيفه: أمّا أيّام العجوز فهى عند علماء الحضرة فى نوء الصّرفه بعد انقضاء الجمرات و هى خمسه.

و قال الكلابى: هى بالباده عند ثلاثه بعد سقوط الجمره الآخره من الجبهه بنحو من سبع ليال، قال: و هذه الأيّام تسمّى صفوان. و الثّانى الصّافى و هو أشدّها قرا، و الثّالث صفى و هو آخرها، و أوّل نهاره يشبه الأوّلين، و آخر نهاره يتباشر النّاس بلبنه. و روى غيره عن العرب أوّل يوم صفى. و الثّانى صفوان. قال و ذلك إذا اشتدّ البرد. و الثّالث همام لأنّه يهيم بالبرد و لا برد له. و قال أبو زياد: فيها يقولون: أيّام العجوز ثلاثه، و قد كان أيّام العجوز لنا شهرا. قال: و أيّام العجوز عند الجمهور سبعة، و سقوط الجمره الأوّلى عند العوام لسبع من شباط. و سقوط الجمره الوسطى لأربع عشره من شباط، و سقوط الأخيره لإحدى و عشرين من شباط. و أوّل أيّام العجوز عندهم لخمس و عشرين من شباط، و آخرها لثلاث من آذار.

الباب الخامس عشر فى أسماء الشهور على اختلاف اللغات، و ذكر اشتقاقاتها

إشاره

و ما يتصل بذلك من تثنيتها و جمعها و هو فصلان:

فصل [فى بيان] معنى الشهر

أنّ الناس ينظرون إلى الهلال فيشهرونه يقال: محرّم و محرّمان و محاريم و محرّمات و إنما سمى محرّمًا لأنّهم كانوا يحرمون القتال فيه و صفر و صفران و أصفار و سمى صفرًا لأنّهم كانوا يغزون الصّفريه و هى مواضع كانوا يمتارون الطّعام منها، و قيل: لأنّهم كانت أوطانهم تخلو من الألبان و من كلامهم: نعوذ بالله من صفر الإناء و قرع الفناء. و يقال:

صفرت عيبه الود من فلان أى خلت قال شعرا:

و إذ صفرت عياب الودّ منكم و لم يك بيننا فيها ذمام

و يقال شهر (ربيع الأول) و الأوّل فمن خفض رده على ربيع و من رفع رده على الشهر.

و كذلك شهر ربيع الأوّل و الأوّل و شهور ربيع الأوائل و الأوّل- و حكى ربيعا الأوّل و أربعه الأوّل- و قالوا: أربعه الأوليات و الأوّل و ربيعا (الآخر) و أربعه الأواخر و الآخر. و سميا ربيعين لارتباع القوم- أى إقامتهم. و (جمادى الأولى) و جماديان و جماديات و جماديا الأولى- و قالوا: الأوليين- و جماديات الأولى و الأوّل و الأوائل- و (جمادى الأخرى) و الأخريين و جماديات الأخرى و الآخر و الأواخر. قال الشاعر:

إذا جمادى منعت درّهازان جنابى عطن مغصف

و يروى قطرها، و إنّما يصف نخلا- فيقول إذا قلت الأمطار و لم يكن عشب فزين الإبل أعطنه الناس، فإنّ جنابى يزينه النخل، فجعل أعطانها منابتها (و المغصف) يقال نخله مغصفه إذا كثر سعفها. و رواه بعضهم: معصف بالعين و الصّياد، يقال: مكان معصف أى كثيره العصف و هو التّبن، و الأجود الأوّل و الأصح.

(وقال البصريون و الكوفيون) جميعا الشهور كلها ذكران إلّا جمادى: لجمود الماء فيها. و يقال: (رجب) و رجبان و أرجاب و أراجيب و أرجبه و سَمِي رجا لترجيبيهم آلهتهم فيه، و التّرجيب: أن يعظموها و يذبحوا عنها، و كانوا يعظّمون الشّهر أيضا و قال الشّاعر: لا بِل من أجل و أرجب. و يقال له: شهر الله الأصم، و منصل الال بعد ما مضى غير أداء، و قد كاد يذهب، و ذلك لعودهم فيه عن الغزو و الكف عن الغاره فلا- يسمع فيه قعقه سلاح، و لا تداعى أبطال، و لا استصراخ لغاره، و يقال: رجبت الأمر إذا هبته و عظّمته، و منه قيل في المثل: أنا جدي لها المحكّك و عذيقها المرّجّب.

و قال أبو داود: صادف منصل آله في فله فجرين سرجا. و يقال لليله التي لا يدري أ هي من الشّهر الحرام أو الحلال فله. و (شعبان) و شعبانات و شعابين و سَمِي شعبان لتشعب القبائل فيها و اعتزال بعضهم بعضا.

و رمضان و رمضانات و رماضين و سَمِي رمضان لشده وقع الشّمس و تناهى الحرّ فيه و يقال: هذا شهر رمضان و هذا رمضان و قال شعرا:

جاريه في رمضان الماضي تقطع الحديث بالإيماض

أى إذا ابتسمت: قطع الناس حديثهم ناظرين إليها و إلى ثغرها و مستملحين كلامها و مثل هذا قول الآخر:

ديار التي كادت و نحن على منى تحلّ بنا لو لا نجاؤ الرّكائب

و المعنى: كادت تصرفنا عن مقصدنا اشتغالا، لو لا استعجال الناس، قال الفراء:

و كان أبو جعفر الفارسي يروى عن المشيخه أنّهم كرهوا جمع رمضان يذهبون إلى أنّه اسم من أسماء الله تعالى، و الله أعلم بهذا.

و شؤال و شؤالان و شؤالات و شواويل و سَمِي بذلك لشولان الإبل بأذناها عند اللّقاح، و يقال سَمِي بذلك لأنّ الألبان تشول فيه و تقل. و يقال: شال اللبن و شال الميزان إذا خفّا.

و ذو القعدة و ذواتا القعدة و ذوات القعدة، سَمِي بذلك لعودهم في رحالهم لا يطلبون كلاً و لا ميره.

و ذو الحجّه و ذوات الحجّه لحجّهم و قالوا: ذواتا القعدتين، و ذوات القعدات و كذلك قيل في ذى الحجّه، و يقال: شهر ناجر لشده الحر، و منه نجر من الماء إذا جعل يشرب فلا يروى و أنشد شعرا:

و يوم كأنّ الشّمس فيه مقيم على البيد لم تعرف سوى البيد مذهبها

و يوم على قوسين فى شهر ناجر سعت لأصحابى وراءه منشبا

شبه وشى ردائه بأفواق النشاب و هى السيهام. و قال الأصمعى: شيبان و ملحان اسمان لشهرى قماح و هما الشهران اللذان يشتد فيهما البرد، سَمى شيبان لبيضاض الأرض بالثلج كذلك ملحان مأخوذ من الملح و هو البياض.

و قال قطرب: يقال لجمادى الأولى و جمادى الآخرة شيبان و ملحان من أجل بياض الثلج و قال قولهم: مات الجندب و قرب الأسيب أى قرب الثلج. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جنوبها الملحان أو شيبان و اليوم أشهب

و ذكر المفضل: أن من العرب من يسمى المحرم (المؤتمر) و الجمع مأمير و مأم. قال الشاعر:

لولا ايتمارى بكم فى المؤتمر عزمت أمرى للفراق فانتظر

و قال آخر:

نحن أجزنا كل ذبال فترفى الحج من قبل وادى المؤتمر

و اشتقاقه يجوز أن يكون من شيئين. (أحدهما) أنه يؤتمر فيه الحرب قال: و يعدو على المرء ما يأتتمر. و الآخر: أن يكون من أمر القوم إذا كثروا فكأنهم لما حرموا القتال فيه زادوا و أكثروا. و يسمى صفر ناجرا و الجمع نواجر. قال:

صبحناهم كأسا من الموت مرهناجر حين اشتد حرّ الودائق

و قال الكميت:

قطع التنائف عائدا بك فى وديقه شهر ناجر

و تكون تسميتهم إياه بذلك من شيئين: (أحدهما) أن يكون من النجر و النجار و هو الأصل، فكأنه الشهر الذى يتبدأ به الحرب، و منه قيل لجاده الطريق: المنجر. قال: ركب من قصد الطريق منجره. (و الآخر) أن يكون من النجر و هو شدّه الحرّ فيكون وقوع حراره الحرب و الحديد فيه. و منه قوله: كل نجار إبل نجارها و كل نار المسلمين نارها، و يسمى ربيع الأول (خوان) مخفف. و قال الفرّاء: بعضهم يقول خوان و الجمع أخونه و خوانات.

قال لقيط الإيادى:

و خاننا خوان فى ارتباعنا فنقد للسّارح من سوامنا

وقال الآخر:

و فى النَّصف من خوان ودَّ عدونا بآته فى أمعاء حوت لدى البحر

و اشتقاقه من الخون و هو النَّقص، لأن الحرب يكثر و يشتد فيه فيتخونهم أى ينتقصهم و يسمّى ربيع الآخر (و يسان) مضموم خفيف و قال الفراء: بعضهم يقول: بسان، و بعضهم يجعل الواو أصلا فيقول: وبسان فيجزم الباء و الجميع بصانات و أبصنه. قال:

و سيان بسان إذا ما عددته و يرك لعمرى فى الحساب سواء

و اشتقاقه من الوبيص و هو البريق، أو من البصيص. و أنشد شعرا:

و يوم كأنّ النار يوقدها له هواجر وبسان عسفت به الحرقا

على ما يرى الضبعين يشبه دالجأحال بدلويه على حوضه دفقا

و يسمّى جمادى الأولى: الحنين و بعضهم يقول الحنين، و الجمع أحنه. قال المهلهل:

أتيتك فى الحنين فقلت رنى و ما ذا بين رنى و الحنين!؟

و قال:

و ذو النَّحب يؤويه فيوفى بنذره إلى البيض من ذاك الحنين المعجل

و اشتقاقه من الحنين لأنّ الناس يحنون فيه إلى أوطانهم.

و يسمّى جمادى الآخرة: رنى و ورنه بجزم الرّاء. قال الفراء: هكذا السّماع لبعضهم و غيره يقول: رنه مثل ورنه، و الجمع ورنات. قال:

و أعددت مصقولا لأيام ورنها إذا لم يكن للرّمى و الطّعن مسلك

و من قال: رنه قال فى جمعه رنات مثل زنه و زنات، فأما رنى فسمّى به لأنّه يعلم فيه ما نتجت حروبهم. (و الرّنى) الشّاه الحديثه التّاج، و أما رنه و ورنه فمشتق من أرن يأرن، إذا نشط و تحرّك فأبدل الواو من الهمزه، و كأنّه أريد الوقت الذى يتحرّكون فيه للغزو، فورنه مثل وجهه، ورنه (1) مثل وجهه. و قال:

مدّج الرّيح تربّعن ورنها إذا عاقل و صغن برومان

فالمائر فلما دنا لهبان الشّاء يّممن أحرجه الحاجر.

و يسمّى رجب الأصم و الجمع صم. قال:

١- ورنه فى القاموس اسم ذى القعدة- محمد شريف الدين عفا عنه.

يا ربّ ذى خال و ذى عن عمم قد ذاق كأس الحتف فى الشّهر الأصم

و إنّما سمّى به لتركهم الحرب حتى لا يسمع فيه صلصله حديد.

و يسمّى شعبان (و علا) بكسر العين و الجمع أوعال. قال الفراء: و بعضهم يقول و علان. و يقال وعل أيضا، و هو الملقب، يقال: ما لى عنه وعل: أى ملجأ، و لم أجد إليه و علا، أى سيلا، و كأنه سمّى الشهر به لأنّ الغاره كانت تكثر فيه فيلتجئ كلّ قوم إلى ما يتحصّن به. و التّوَعْل التّوَقْل و منه اشتقّ الوعل و المستوعل من الحمير المحترز.

قال و (يسمى رمضان) (ناتق) و الجمع نواتق. قال:

و فى ناتق أجلت لدى حومه الوغاو و لت على الأدبار فرسان خثعما

و إنّما سمّى بذلك لأنّه كان مكثرا لهم الأموال، يقال: نتقت المرأة: إذا كثرت الولد، و التتق الجذب أيضا، كأنه كان يجذب الناس إلى غير ما هم عليه. قال الرّاعى:

و فى ناتق كان اصطلام سراتهم ليالى أفنى القرع جلّ إباد

نفوا إخوه ما مثلهم كان إخوهلحى و لم يستوحشوا لفساد

و يسمّى شؤال عاذلا، و الجمع عواذل. قال تأبط شرا:

شعب الوصل عاذلى بعد حجرى حبّذا عاذل أتى خير شهر

يا ابنه العامرىّ جودى فقد عيل على القرب و التوى منك صبرى

و قال:

أبوتا الذى أنسى الشهور لعزّه فعاذل فينا عدل و علان فاعلم

هذا البيت شاهد لشعبان و شؤال جميعا. و قال زيد الخيل فى وعل:

هيهات هيهات برّيات الكلل قد كان أدنى متوعد منك و عل

قد مرّ شهران و لم يأت الرّسل و كأنه سمّى بذلك لأنّه كان يعذلهم على الإقامة، و قد حلّت الحرب و الغارات.

و يسمّى ذو القعدة: هوعا، و الجمع أهوعه، و إن شئت هواعات. قال شعرا:

و قومی لدى الهیجاء أكرم موقعا إذا كان یوما من هواع عصب

و قیل له ذلك: لأنه كان یهوع الناس أی یرجهم من أماکنهم إلى الحج. و یقال: هاع فلان یهوع هوعا إذا قاء، و تهوع و ما یرج من حلقه هواعه.

و يسمّى ذو الحجّه (برك) و جمعه بركات، و لك أن تفتح الرّاء. قال:

أعن لى على الهنديّ مهلا و كرهلدى برك حتّى تدور الدّوائر

يعنى بالهندي سيفه (و المهلل) دردى الرّيت، (و الكرت) البعر، أى احفظ سيفى من الصدأ و اصقله بذلك، و كان الشّهر سمّى بذلك، لأنّه معدول عن بارك و كأنّه الوقت الذى يبرك فيه الإبل للموسم، و جائز أن يكون مشتقا من البركه لأنّه وقت الحج، فالبركات تكثر فيه، و أصل البركه من الثّبات و منه برك البعير.

أسماء الشهور العربيّه غير الأسماء المشهوره:

و قال الدّريدى: و المشهور أسماء غيرها بلغه العرب العاربه، و هم كانوا يسمّون (المحرم) موجبا، و (صفرا) موجزا، و (ربيع الأوّل) موردا، و (ربيع الآخر) ملزجا و (جمادى الأولى) مصدرا، و (جمادى الآخره) هوبرا، و (رجبا) مويدا، و (شعبان) موهبا، و (رمضان) ذيمرا، و (شوالا) جيفلا، و (ذا القعده) محلسا، و (ذا الحجّه) مسبلا، و كانوا يبدءون من السّينه برمضان و قد نظم بعضهم المحدثين أسماء الشهور فقال شعرا:

أردت شهور العرب فى جاهليّتهفخذها على سرد المحرّم يشترك

فهو تمر يأتى و من بعد ناجرو خوآن مع وبصان يجمع فى شرك

حنين ورنى و الأصم و عاذل و ناتق مع وعل و ورنه مع برك

و قال أحمد بن يحيى: إنّما خصّت العرب شهر ربيع و شهر رمضان بذكر شهر معهما من دون غيرها من الشّهور ليدلّ على موضع الاسم، كما قالت العرب: ذو يزه، و ذو كلاع، فزادت ذو ليدل على الاسم، و المعنى صاحب هذا الاسم. قال و يصغّر جمادى على جميدى و جميدى و جميديه و جماديه و جماديه، كما قالوا: حبارى و حبيره، و كان الحكم أن يقال فى هذا: شهر الرّبيع الأوّل، و شهر الرّبيع الآخر، إلاّ أنّه مما أضيف فيه المنعوت إلى النّعت مثل دار الآخره، و حق اليقين و صلاه الأولى، و مسجد الجامع، حكى ذلك الكسائى و اللّحيانى.

و حكى أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى أنّ جمع ربيع المطر: أربعه، و ربيع النّهر أربعاء. و جمادى الأولى و الآخره على ما يجب لأنّه أتبع فيه النّعت المنعوت و لم يضيف إليه، و منهم من يجيز جاء رمضان، و لا يذكر الشّهر و لفظ القرآن (شهر رمضان) و حكى الخارزنجى أنّه يقال فى جمع ربيع الأوّل و ربيع الآخر: هذه الأربعه الأوائل، و الأربعه الأواخر، و الربعه أقصى غايه العدد، و أنشد فيه:

فصل اعلم أن سرار الشهر

آخره، وفيه لغات: يقال سرار الشهر، و سراره و سرّه و سرره.

و يزيد التوء عندهم غراره و حمدا إذا كان في سرار الشهر. لذلك قال الرّاعى:

تلقى نوؤهنّ سرار شهر و خير التوء ما بقى السّرار

و قال الكميت:

هاجت له من جنوح اللّيل رائحهلا الضّب ممتنع منها و لا الورل

فى ليله مطلع الجوزاء أولهادهماء لا قرح فيها و لا رجل

(قوله): لا الضّب البيت يعنى السّيل يدخل عليهما فيستخرجهما لبلوغه النّجوات، و ذلك أنّ الضّب و الورل يرفعان مكانهما عن مجرى السيول. (و قوله): لا قرح يريد أنّها من السّرار فلا ضوء فى أولها و لا فى آخرها. و قال الحطيئه شعرا:

بانت له بكثيب حريه ليلهو طغا بين جمادين درورا

و هى اللّيله التى لا يدرى من أى الشّهرين يكون مشكوكا فيها، و قد يحمد أن يكون فى أوّل الشهر أيضا. قال الكميت:

و الغيث بالمتألقات من الأهلّه فى التّواحر

التّواحر: جمع ناحره و هى اللّيله التى تنحر الشّهر، و يقال لها أيضا: النّحيره. قال أبو حنيفه: و اختلف فيها فزعم بعض أهل العلم أنّها أول ليله من الشّهر يذهب إلى أنّها فى ناحره، و زعم غيره: أنّها آخر ليله من الشّهر لأنّها تنحر الشّهر الدّاخلى، قال: و لا أظنّه قال هذا إلّا لأنّ يجعل الاختيار فى السّيرار، لأنّه أشهر لكنه قد جاء بالمتألقات من الأهلّه، و جاء أيضا وافق غر شهر نحيرا، و لا يقال غرّه إلّا و هى ليله الهلال، و قد قال الفرزدق: فى ناحرات سرار بعد إهلال. فجعلها من السّيرار و جعلها ناحره و جعلها بعد الإهلال. قال: فإن كانت هذه الرّوايه صحيحه فلا أعلم لها وجهها، إلّا أنّ اللّيله دخلت و هى من السّيرار، لأنّ ما بين استسرار القمر إلى أن يرى الهلال سرار، كلمه، فدخلت و هى من السّيرار، ثم روى فيه الهلال فصارت نحيره، و صار ما فيها من غيث بعد الإهلال، هذا أقرب ما أعرف منها. و إن كانت الرّوايه كما يزعم آخرون أنّها قبل الإهلال، فهذا ما لا كلام فيه. و يكون حينئذ مثل قول الرّاعى شعرا:

و مرده و طغا و افق نوؤهاقبل الهلال بديمه ديچور

و يكون حينئذ في السرار المحض. فأما قول ابن أحمز:

ثم استهلّ عليها و اكف همع في ليله نحرث شعبان أو رجبا

فإنه يحتمل المعنيين جميعا، هذا إن كانت التحيره معروفه عند العرب أنّها أول ليله من الشهر. و قيل في قول الشاعر:

كان ابن مزنتها جانحاقسيط لدى الأفق من خنصر

مثل قول الكميت، لأنّ ابن المزنه هو الهلال و قول أبي و جزه:

جيران دان من الجوزاء منحور. فليس هو من التحيره بل هو مثل قول الزاعي:

فمرّ على منازلها فألقى بها الأثقال و انتحر انتهارا

أى يشقق بالماء و تعشق فعلى هذا مذهب العرب في اختيار السيرار و الغزه، قال أبو حنيفه: و قد قال أبو و جره في ليله لتمام النصف من رجب: خواره المزن في اقتادها طول.

فلا أعرف أحدا وافقه على هذا الاختيار و لا أعلمهم حمدوا المحاق بليله، فكان محاقا كلّ ذلك الشهر. و قال الأخطل شعرا:

فإن يك كوكب الصّمعاء نحسابه وافت و بالقمر المحاق

و تزعم الهند فيما يحكى عنها أنّ النّحوسه أبلغ في الأمطار، و إنّما النّحوسه عندهم ما دام القمر مستسرا محترقا، فإذا فارق الشّمس ذهب عنه النّحوسه لأنّه قد خرج عندهم من الاحتراق، و العرب تقول: إذا نأت النّجوم بغير مطر: خوت تخوى خيا و خويا و أخوت تخوى إخواء. فإذا أمحلت فلم يكن فيها مطر فذلك الخي و الأخلاف، فإذا لم يخلف قبل صدقت و قد صدق التّوء إذا كان فيه مطر و ما كان فيها من أمطار أو بوارح: فهي الهيوج و الواحد هيج. قال الأصمعي: يقال: هذا في الهيج المتقدّم. و قال ذو الرمه:

فلما رأين القنع أسغى و أخلفت من القصر بيّات الهيوج الأواخر

(القنع) المكان الذى انخفض وسطه و ارتفع جوانبه، و إنما وصف نساء دفعن إلى بوارح. و قال آخر:

و نار وديقه في يوم هيج من الشّعري نصبت لها الجينا

قال ابن الأعرابي: العرب تسمّى نجوم الأسد كواكب النّحوس لشده بردها. و قال عمر بن اللّجاء شعرا:

لَمَّا خَشِيتُ كِبَةَ التَّنْكِيسِ وَ قَحْمَ السَّيْرِ بِمَرِّ مَرِيْسِ

خَنَسْتُ فِي الْبَاقِلِ وَ الْخَلِيْسِ وَ اقْتَحَمْتُ كَوَاكِبَ النَّحُوْسِ

وَ الْكَيْسِ اَحْيَانًا مَعَ الْخَنُوْسِ حَتَّى وَضَعْتُ غَدُوهُ دَرِيْسِ

أخبر أنه اقتحمت كواكب النحوس فسقطت فوضع ثوبه غدوه، و لم يخف البرد، و قوله: (خنست) في الباقل أى لم أنتجع، و (الباقل) البقل و الخليس من نبات البقل فيه رطب و يابس و منه قولهم: أجلس الإنسان: إذا خالطه شيب، و أنشد:

قَوْمَ أَبَا الْجَهْمِ صُدُورِ الْعَيْسِ أَمَا تَرَى الْبَرْقَ عَلَى خَلِيْسِ

رأى أن يقع الندى و العرب تقول إذا سبق الندى للقر، فلذلك عام خصب يستحبه العرب، و يقولون: أجدحت (١) السماء و يزعمون أنه من علامات الحياء. قال سهيل المدلجى: و أسد الشتاء عنها مجدح. و إذا سبق القر الربيع خشوا أن يكون ذلك العام جدب.

١- فى القاموس مجادىح السماء أنواؤها- المصحح.

الباب السادس عشر فى أسماء الدهر و أقطاعه

إشاره

و ما يتصل بذلك و هو فصلان:

فصل قالوا: الأزلم الجذع و الأزلم الجذع

حكى باللام و النون، و أنشد قطرب:

إنى أرى لك أكلا لا يقوم له من الأكوله إلا الأزلم الجذع

قال: و بعضهم يرويه الأزلم بالتون، فمن قال الأزلم أراد أن الأوقات التى يعرض فيها كالزّنمات له، تشبيها بزّنمات الشّاه، و هى الزّوائد المعلقه من حلقها و من تحت حنكها.

و من قال: الأزلم أراد أنه سريع المر و الثقلّب، يقال: ازلام به إذا أخذه و عدا به مسرعا.

و منه قوله: أم قيد فأزلم به شاء و العنن. أراد أنه لا يسمع أن قد فات به الموت و سبق و طار.

و منه قيل للقدح: الزّلم لخفته فى جولانه، و هذا كما قيل فى صفاته قدح زلول و دروج، و معنى الجذع أنه لا يهرم.

و زعم الفراء أن الأصل هو الأزلم من الزنمه، و أنّ اللّام مبدله من التّون، و حكى الخليل: أنّ الزّلم: تكون زائده فى حلق المعز فإن كانت فى الأذن فهى زنمه، و النّعت إزلم و إزلم، فعلى هذا يكون المعنى فىهما على طريقه واحده و هو ما ذكرناه من تشبيه الحوادث بالزّنمات. و يجوز أن يكون سمى الدهر إزلم تشبيها بالزّلم يكون من القداح لأنّها على غرار واحد. و كذلك اللّيالى و الأيام تجىء على مثال واحد، و لذلك جاء فى المثل: ما أشبه اللّيله بالبارحه، فكأنّ الزّلم هى القطع و القدّ. و لذلك قيل: هو العبد زلمه أى: قدّه قد العبيد، و يقال: رجل مزلم أى يشبه القدح فى الخفه و النفاقه.

و من أسمائه المسند و يقال: لا أفعله آخر المسند و إلى المسند و يد المسند و المعنى إلى أن يسند الدّنيا إلى الآخره، كان المراد آخر الوقت المسند، و إلى الوقت المسند، و يجوز

أن يكون لما أسندت الحوادث إليه لاعتقادهم به الجالب لها و السابق سَمَى مسندا، و كان يجب أن يقال: المسند إليه فحذف إليه تخفيفا. و من أسمائه: عوض، يقال: لا أفعله عوض العائضين و دهر الداهرين، قال الأعشى:

رضيعي لبان ثدى أم تقاسما بأسحم داج عوض لا يتفرق

و (عوض لا- يتفرق) يفتح و يضم، و قد جاء عوض كلمه يقسم بها يقال: عوض لا- يكون ذلك أبدا. و روى بيت الأعشى: (بأسحم داجي العوض) و فسّر على أنّ عوض كلّ شيء جوفه. و يستعمل في الزّمان، فيقال: عوض اللّيل أى مثاه.

و حكى بعضهم أنّ عوض اسم للضمّ و أنشد: (حلفت بمائرات حول عوض) و قال بعضهم: يجوز أنّ استعمالهم إياه في القسم من حيث كان في الأصل اسما للضم، فأما استحقاؤه للبناء فمن حيث كان متضمنا معنى لام التعريف، فمن فتحه فلاّن الفتح أخفّ الحركات، و من ضمّه فلاّنّه شبه بقبل و بعد.

قال الشّيخ: و يجوز أن يكون عوض في الأصل مصدر عاضه يعوضه عوضا و عياضا.

و جعل اسما للزّمان، و المعنى ما عوض الدّهر النّاس من أيّامه لأنّ الدّهر ليل و نهار يتعاقبان و يتعوضان، و العوض و العياض و العوض البدل، و يقال: هو عوض لكّ و عياض لكّ أى عوض.

و المصادر تقام مقام أسماء الفاعلين و المفعولين. و معنى العائضين النّاس المقيمون في العوض فأما قوله: و هل عائض منى و إن جلّ عائض. فالمراد به هل معط للعوض منى بمعط و إن جلّ أمره و عظم شأنه. و المعنى لا يفى عوض من الأعواض بى و إن جلّ، لأنى أكون أفضل من كلّ عوض. و يقال: عضته كذا فاعتاضه، كما يقال: وهبت له كذا فاتهبه، و قضيته الدّين فاقترضاه، و على هذا قيل في الشىء: هذا لا يعتاض منه، و أنشد صاحب العين شعرا:

يا ليل أسقاك البريضى الوامض و الدّيم الغاديه الفضافض

هل لكّ و العارض منكّ عائض في هجمه يعذر منها القابض

سدس و ربع تحتها فرائض

أى هل لكّ في العارض منكّ على الفضل، قال: كان من قصته أنّ رجلا خطب ليلي، فقال: أعطيك مائه من الإبل يدع السائق منها إذا ساقها بعضا لكثرتها فلا يطيق شلّها و أنا معارضك، أى معطيك الإبل مهرا، و أنا آخذ نفسك، فأنا عائض قد عضت أى صار العوض كلّ لى، فالفضل فى يدى. و منه قولهم: لا أفعله يد الدّهر، و جدى الدّهر، فمعنى يد الدّهر

أى ما كان للدهر يد أى حكم، كما تقول: لفلان فى هذا يد أى ملك و أمر، و معنى جدى:

أى ما كان للدهر جدى أى عطيه.

و من أسمائه الأبط و قال: فى سلوه عشنا بذاك أبطا. أى دهرا. و قال بعضهم:

الأبط فى الأصل جمع أبط، و يخفف و يتقل: و هو الحبل يعقل به البعير فإذا قلت لا أفعله أبطا. فالمعنى ما كان للدهر سبب. قال الشيخ: أقرب من هذا أن يكون من الأبط و هو العقل و الشد كان المراد فى زمان عقد علينا لا انفكاك منه. و يكون الأبط فى أنه مصدر، و الأبط فى أنه المأبوض كالسيد و السده و العقد و العقده. و يجوز أن يكون سمى بذلك لأنه يضعف و يقيد بالهرم، و يقال للذابه و الطير إذا أصابه عقل فلم يسلس: إنه لموتبض النسا و أبوض النسا. قال:

و ظلّ غراب البين مؤتبط النساله فى ديار الجارتين نعيق

و قال أبوض النسا بالمسمين خسوف، و لا أقبله ما اختلف الجرّه و الدرّه أى أبدا، لأن الدرّه إلى أسفل، و الجرّه إلى فوق.

و منه: الأبد و الأبيد. و يقال: لا أقبله أبدا لأبيد، و أباد الآباد، و أباد الآبين و أباد الأبد، و أباد الأبدية، و المعنى إقامه الدهر و مكته، و الإصافه فيه على طريق التأكيد. و الأبد المقيم الذى لا يبرح، و أوابد الشعر، سميت أوابد لبقائها على مرّ الأيام و أنشد شعرا:

صار لطول الدهر من آباده كمهرق لم يبق من مداده

غير بقايا نونه و صاده قولك: أباد الآباد كقولك: دهر الدهور، و أباد الآبين، كدهر الدهرين أى دهر الناس المقيمين فى الدهر، و أباد الآبد كدهر الدهر، و من أمثالهم أتى أباد على لبد للشىء، و قد مضى و انقطع، و لبد اسم لنسر لقمان.

و من أسمائه: الطيل و الطول قال: و إن بليت و إن طالت بك الطيل.

و يروى الطول، و إنما أخذ من الطول، و يقال: لا- أكلمك طول الدهر، و إنما أنت الشاعر الطيل ردا على المعنى، كما يؤنث الألف إذا أريد به المعدوده.

و من أسمائه: المنون، و هو من منت أى قطعت و يقال: جبل منين: أى مقطوع، قال أبو ذؤيب:

أ من المنون و ريبه تتوجع و الدهر ليس بمعتب من يجزع

فإن قيل: ما باله ذكر المنون و هو و المنيه سواء، و أنت إذا رويتها و ريبها قلت: أنته

لأنه أريد المنيه. قلت: المنون و يراد به الدّهر يشبه أسماء الأجناس و لذلك لا يجمع، و كما لم يجمع لم يؤنث أيضا، و إذا أريد به المتيه أشبه اسم الفاعل فأجرى مجراه فى التأنيث به لمعناه، و يقال: ما فعلته قط.

قال ابن السّيكيت: فيه ثلاث (لغات: قطّ بالفتح و التّشديد و ضم القاف و التّشديد و فتح القاف و تخفيف الطاء إذا كان بمعنى الدّهر. و إذا كان بمعنى حسب فهى مفتوحة ساكنه و أصله من قططت أى: قطعت و المعنى ما فعلته قطع دهرى كلّه، و أبدا فى المستقبل: بمعنى قط فى الماضى. و يقال: لا أفعل كذا ما سمى ابنا سمير، يعنى اللّيل و النّهار، و لا أفعله ما سمر السّمير، و هم النّاس يسمرون باللّيل و ما اختلف ابنا سمير، و لا أفعله السّمير و القمر أى أبدا. و حكى: جاء بالسّمير و القمر أبو سعيد و قال: معناه بالنور و الظلمه، كما يقال: جاء بالضّيح و الزّيح، و يقال: السّمير الدّهر، و ابناه اللّيل و النّهار. و قيل: الغدوه و العشى. و قيل فى السّمير: إنّه ظلّ القمر فضم النّهار إلى اللّيل. و قيل: السّمير الظلمه و المقيم فيه سامر.

و منه السّامره و السمر: حديث القوم باللّيل.

و قالوا: لا- أفعله حرى و حارى دهر و حيرى دهر، بتسكين الياء. و المعنى ما حار الدّهر: أى رجع، و يجوز أن يكون من حار الدّهر يحير: أى أقام، و يقال: حيروا بهذا الموضع، أى أقيموا. قال بعضهم: و منه سميت الحياه. و حكى حير الدّهر جمع حيرى، كما قيل: زنجى و زنج، و عربى و عرب.

و يقال: لا آتيك سجيس عجيس، أى الدّهر، قد يصرف فيقال: عجيس أى الدّهر، فقوله: عجيس يجوز أن يكون من عجسه أى قبضه و حبسه، و منه معجس القوس أى مقبضه، و عجاساء اللّيل: ظلّمته، لأنّها تحبس النّياس و يكون المعنى ما بقى الدّهر و حبس على أهله. و يجوز أن يكون من عجس اللّيل و عجيسه أى آخره، و منه تعجس عن القتال و عجس: أى تأخّر فيكون المعنى: آخر الدّهر. و سجيس فعيل و يفيد الامتداد على حاله، و سج و سجسج و سجس فى طريق. و فى الحديث: «نهار أهل الجنه سجسج» أى معتدل متّصل لا آفه فيه. و قال الأعشى:

قيس سجسج ساب إذا هبطت به السّهل و فى الحزن مرجلا عجلا

قال أبو عبيده: السّجسج: اللّين المروّض، و السّاب من الأرض مسائل صغار، و كذلك السّيب، و روى أبو عمرو الشّيبانى سجسا مسجا: إذا هبطت، و قال: السّجسج السلس المنقاد لا يتغيّر، و المعنى: أنّ هذا البعير إذا سار فى السّهل امتدّ فى السّير على حاله و هو فى الحزن مرجل، أى رجيل قوى المشى. و يروى مرجما و مرجلا، فعلى هذا جعل

سجيس الدهر لامتداده و سلاسته فى الاتّصال و الاستمرار. و من قال: سجيس عجيس: جعل الأول مع الثّانى كالشئى ء الواحد و بناءهما لتضمّن معنى حرف الجر، كان الأصل سجيسا لعجيس، فحذف حرف الجر و ضمن الأول و الثّانى معناه، و من أضاف الأول إلى الثّانى كان أمره ظاهرا و قالوا: لا أكلمك آخر الأوجس، و سجيس الأوجس، أى آخر الدهر، و سجيس اللّيالى. قال تأبط شرا:

هنالك لا أرجو حياه تسرّنى سجيس اللّيالى مسبلا بالجرابير

أى ما اتّصل اللّيالى و انقادت على حاله. و الأوجس: جمع و جس و هو ما يحصل فى النّفس من دعر و فزع لصوت أو حركة، و منه ترجس الوحشى، و فى القرآن: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى [سوره طه، الآيه: ٦٧] فكأنّه سمّى الزّمان بالحوادث المفزعه فيه أو جعل إقطاع الزّمن يجس و يحدث بمنكرات الأمور حالا بعد حال.

و ذكر بعضهم الحوب فى أسماء الدهر، قال: يجمع على أحوب و أحواب و حوبه كما قالوا: عصر و عصره، و دهر و دهره، و غصن و غصنه، و قرد و قرده و كأنّه من الشّده و العظم لأنّ الحوب الاثم الكبير، و يقال: يحوب الصّائح إذا اشتدّ صياحه. قال الخليل: الحوبا روح القلب، لأنّه ملاك الحى.

و من أسماء الدهر: المخبل، و التّخيل الزّمانه، و الخبل الفساد و يقال: خبل خابل.

قال: فأبلغ سليط اللّوم خبلا خابلا. فالخبيل المفسد، و إنّما سمّى الدهر مخبلا، لأنّه إمّا يهرم، و إمّا يقتل. قال الحارث بن حلّزه:

فضعى قناعك إنّ ريب مخبل أفنى معدا

و يقال: لا أفعله سنّ الخبل: أى دوامه و بقاؤه، لأنّ سنّه من لحيه و ليس بمركب فيه، فلا يسقط، و لا أفعله مالات العفراء بأذناها، و يقال: الفور و هى الطّباء و ما مصع الطّيبى بذنبه، و قال الأصمعى: الفور لا واحد له من لفظه، و لا أفعله ما جنح ابن أنان، و يقال:

لقيته أول ذات يدين أى أول شئى ء، و أما أول ذات يدين: فإنّى أحمد الله، و آثر ذى يدين، و ذوات يدين أى أول ما يأذن.

و الفطحل: يقال للزّمن القديم قال أبو عمر نوح زمن الفطحل، و يقولون: حين كانت الحجاره رطبه و قد مضى ذكره.

و لا- آتيك هبيره بن سعد و أبوه ابن هبيره: أى أبدا، و قال الأصمعى: يقال فى مقابله أغبيت الزّياره، اغتمت الزّياره بالغين المعجمه، أى: أكثرت، قال: و قالوا كان العجاج يغم

أى يطيل الشَّعر، و يكثر و يقال: أشوى الدَّهر كذا أى تركه و هو من قولهم: فلان أكثر النَّاس شوايه أى بقيه من قومه، و ما أشوى لنا الدَّهر له.

و حكى الدَّريدى: لا آتيك حد الدَّهر و عجيس الدَّهر، و سجيس الأوجس و سجيس الحرس، و سجيس الأَبض.

و حكى غير واحد جبر مبتيَّه على الكسر، يراد به الدَّهر و ربما أجروها مجرى القسم، يقال جبر لأفعلن كذا أى حقًا لأفعلن و أنشد شعرا:

ابنى جبر و إن عزَّ رهطى بالسَّويداء الغداه غريب

و من أسماء الدَّهر الخز و الملاوه و قد تقدّم القول فيه، و ذكر ابن الأعرابى قال أنشدنى المفضل شعرا:

و فى بنى أم زبير كيس على الطَّعام ما غبا غيبس

قال: الغيبس الدَّهر و غبا: بقى.

الأصمعى: لا أفعل ذلك بأسوس الدَّهر، أى: أبدا، و هذا كأنه من قولهم فى ترك اللقاء: لا آتيك ما أيس عبد بناقه، و هو أن يقول: بس بس يسكن منها للحلب، و يقال: ما زال على است الدَّهر محنونا، و على أسن الدَّهر. و يقال: تركته بأست الدَّهر، أى و لا شىء معه، و تركته بأسمر المتن: و هو متن الأرض: أى الصَّحراء الواسعه. و لقيت منه است الكلبه أى: ما كرهته، و هو أَمنع من است النَّمر: للذى لا يطلق الدنو منه لمناعته.

قال أبو حاتم: الدَّهر سبات: أى أحوال مختلفه: سبه حرّ، و سبه برد، و سبه روح، و سبه دفىء. و يقال: أصابتنا سبه من برد أى لأشد ما يكون من القرفان أصابك برد فى آخر الرِّبيع قلت: أصابتنا سبه من الرِّبيع و أصابتنا سبه من حرّ و هى مثل الوقوده فى نحو من عشره أيام أو أكثر.

و حكى بعضهم: الأعرم: الدَّهر، لأنَّ فيه نوائب و صروفا متلوّنه، و يقال: عرم الصَّيبى: يعرم إذا أتى بألوان من الغيث، و يقال للأفاعى: العرم، لأنَّ فيها نقطا تخالف لونها و أنشد: رءوس الأفاعى فى مساربها العرم.

فأمّا قوله: حياكه وسط القطيع الأعرم، فإنّما يعنى أنّ بعضه ما عز و بعضه ضأن، و يقال: لا أفعل ذاك حتى تحنَّ الضَّب فى إثر الإبل الصَّادره، و لا أفعله حتى يبيض القار، و لا أفعله ما أبس عبد بناقه، و إيساسه: تحريك شفتيه. و لا أفعله ما هدهد الحمام. و لا أفعله ما صلّى على النَّبى مصلّ، و ما دعا الله داع. و لا أفعله ما حلب حالب أضرع الدَّهر.

فصل فيما يجرى من التأكيدات فى أوقات الدّهر

يقال: دهر داهر، و أبد آبد و أبيد و حين حائن، و محين، و مده ماده و مديده، و ليل لاييل.

قال هميان بن قحافه: فصدرت تحسب ليلا لائلا. و قيظ قائظ و صيف صائف، و شتاء شات، و ربيع رابع: أى مخصب، و يوم قائظ، و يقال عام أعوم و معيم و أعوام عوم، قال:

من مرّ أعوام السنين العوم، و حول محيل، و سنه سنهاء و شهر أشهر، و يوم كريت و قميط قال شعرا:

أقامت غزاله سوق الضّراب لأهل العراقين حولاً قميطاً

و شهر أجرد و أقرع و أصلع، و سنه جرداء و قرعاء و صلعاء. و قال قطرب: نهار أنهر و ليل أليل، و ليله ليلاء: لتأكيد شدّتها. و قال غيره: نهار و نهر، و يوم يوم و يم لآخر يوم من الشّهر، و قيل: الأيوم فى الشّديد. قال مروان: مروان أخو اليوم اليمى، و قيل: اليمى أريد الشّديد فى حرب أو قتال. و إذا ذكر أمر عظيم حدث فى يوم قيل: أيوم يوم، و إن كان ليلا قيل: ليل أليل، و إن كانت ليله مشهوره قيل: ليلي و ليلاء، قال فى ليله ليلي، و يوم أيوم.

و قال:

كم ليله ليلاء مدلهمّه كابدتها لحاجه مهمّه

و آخر ليله فى الشّهر لظلمتها ليلي مقصوره، و ليلاء ممدوده، و ليل ليلي. قال: لما أرجحن ليله اللّيلي. و يقال: أتانا فلان حين هراق اللّيل أوّله إذا مضى بعضه و قال ابن أحمز:

تغمرت منها بعد ما نفذ الصّبى و لم يرو من ذى حاجه من تغمّرا

فبتّ أعاطيها الحديث بمسّنن من اللّيل أبقتّه الأحاديث أخضرا

(تغمرت) أى أصبت شيئا يسيرا، (و من ذى حاجه) أى من حاجه، و ذى زائده.

(و المسنّف) المتقدم، (و أبقتّه الأحاديث) أى انقطع الأحاديث قبل أن يتغد اللّيل، و قوله:

(أخضر) يحتمل ضربين: يكون صفة مسنّف لأنّه نكره مثله و يجوز أن يكون حالا من الهاء فى أبقتّه، و مثله من الحال قوله: و مال لقنوان من البسر أحمرأ.

و الحرس: الزّمان و الدّهر، قال الكاتب: و اختاره من سائر الأمثال فى حرسه أى فى زمانه، و فى كتاب الخليل: الحرس وقت من الدّهر دون الحقب. قال بعض أصحاب المعانى من هذا قولهم: بناء أحرص. للأصم من البنيان.

الباب السابع عشر في أقطاع الدّهر و أطراف النّهار و اللّيل – و طوائفهما

إشارة

و ما يضارعهما من أسماء الأمكنة أو يداخلها من ذكر الحوادث فيها. و هو ثلاثة فصول

فصل [في بيان غيره و برهه و زمنه و طرقه و حقه و هبه و سبه و غيرها]

قال الأصمعيّ و غيره: يقال: غبر برهه من دهره و برهه و زمنه و طرقه و حقه و هبه و سبه أي زمان. قال أبو ذؤيب:

بقرار قيعان سقاها صيف واه فأثجم برهه لا يقلع

و أقام درجا من دهره، و حرسا من دهره لا يفعل كذا أي زمانا، و مضت سنبه من الدّهر و سنبيه أي قطعه، و ذكر سيبويه في زياده التاء هذه اللفظه، و استدلّ على أنّه فعلية لسنبه، و أنشد الأصمعيّ:

ربّ غلام قد صرى في فقرته ماء الشّباب عنفوان سنبه

و يروى شرته.

و غير مهوان من الدّهر و هو مفعال من الهون، و يقال أيضا: بينى و بينه مهوان من الأرض: أي بعد و مهون أيضا. و يقال: بقى سبتا يفعل كذا قال شعرا:

لقد نرتعى سبتا و لسنا بجيرهمحلّ الملوّك نقده فالمغاسلا

و السّبت القطع، كان المراد به قطعه، كما يقال: الخلق في المخلوق.

و يقال: إنّي لآتية الغينه بعد الغينه، و فينه بعد فينه. قال:

لك البيت إلّا فينه تحسنيها إذا حان من ضيف على نزول

و حكى أبو عمرو غلام ثعلب: (فإن يفين فينه): إذا زار وقتا بعد وقت، و يقال لقيته

فيه يا هذا، فجعلوه كالعلم، و لم يفعلوا ذلك برهه، و هذا كما قالوا للغراب: ابن دايه و لم يفعلوا ذلك فى الظهر. و يقال: أتيته
آئنه بعد آئنه، بوزن عائنه أى تاره بعد تاره و كأنه اسم مبنى على فاعله من الأوان كاللأئمه من اللوم و الناظره من الأنظار. و قرئ
(فناظره إلى ميسره) و النَّائل من النَّوال، و لا يجعل آئنه جمعا لأوان مثل الآونه و أنشد:

ترى قورها يغرقن فى آل مرهو آئنه يخرجن من غامر نخل

أى و تاره يخرجن، و أوان كزمان و أزمه. قال ابن أحمـر:

أبو عمرو يؤنسنا و طلق و عمّار و آونه أثالا

قال أبو عبيده: لقيته أدنى ظلم و معناه القرب. و قال الأحمـر: فإن كنت تلقاه فى اليومين و الثلاثة فصاعدا قلت: لقيته أفرط فى
الفرط، و لا يكون الفرط فى أكثر من خمس عشره ليله. و يقال: فلان تفارطته الهموم: أى لا تصيبه الهموم إلّا فى الفرط.

قال أبو زيد: فإن لقيته بعد شهر أو نحوه قلت: لقيته عن عفر. قال: فإن لقيته بعد الحول أو نحوه قلت: لقيته عن هجر. قال: و إذا
كان الرجل يمسك عن إتيان صاحبه الزّمان ثم يمسك عنه نحو ذلك أيضا ثم يأتيه قال: لقيته بعيادات بين.

قال الأصمعى: فإن لقيته بين الأعوام قلت: لقيته ذات العويم، قال أبو عبيده: فأما الغب فى الزّياره فمعناه الإبطاء و التّقليل على غير
وقت معلوم، و أحسب الأصل كان فيه من غب و هو أن ترد الإبل الماء يوما و تدع يوما. و مثله غب الحمى ثم انتقل المعنى من
هذا فى الزّياره خاصه إلى ما فوق وقت الورد و وقت الحمى. قال: و من هذا المعنى قوله صلى الله عليه و سلم فى الحديث: «زر
غبا تردد حبا» فقد علم فى هذا أنه أراد الإبطاء فى الزّياره. قال: و كذلك الإلمام نحو الغب، إنما معناه الأحيان على غير مواظبه و
لا- وقت محدود، فهذا ما قاله، و الإلمام للزّياره لا للوقت، كما أنّ الاعتمار اسم لها متى كانت لا للوقت. و يقال: رأيت عينا عنه
أى: الساعه من غير أن طلبته و قيل: أول عائنه أيضا. و يقال: أتيته على حباله ذاك أى على حين ذاك.

و حكى الخليل: أقمت عنده فى ضغيغ دهره، أى قدر تمامه. (ابن الأعرابى) فعلنا كذا و كذا و الدهر إذ ذاك مسجل. و المعنى
لا يخاف أحد أحدا. و يقال: لهذا دهر حول قلب إذا كان كثير التّبديل، كما يقال: رجل حول قلب. (ابن الأعرابى) يقال: حول
كميل و دكيك و قميط و كريت أى تام و أنشد فى الكميل شعرا:

على أننى بعد ما قد مضى ثلاثون للعجر حولا كميلا

أى فصل بين الثلاثين و بين الحول ضروره، و يقال: فى ضد الكميل حول ختت(١) أى ناقص. و يقال: فعلته أياما حسوما أى متتابعه، و قيل: تامه و هو من قولك: حسمت الشىء أى فصلته من غيره، و فى القرآن: سَبَّعَ لَيْالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا [سوره الحاقه، الآيه: ٧] أى نحوسا و الأول أصح. و يقال: أرمى فلان على الخميس و ذرف و أربى و أوفى.

و حكى الفراء فيه ودى و هذا و إن كان أصله فى الزيادة فى السنين فقد استعمل فى الزيادة فى غيرها و أنشد:

و أسمر خطيا كأنَّ كعوبه نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر

و قد ظلف على الخمسين و قد أكل عليها و شرب، و قد طلع على الخمسين و قد ولَّها ذنبا. قال: و سمعت الطوسى يقول: قيل لبعض الأعراب: كم سنه أتت لك؟ فقال: ولتني الأربعون ذنبا. و قيل لآخر مثل ذلك فقال: أنا فى قرح الثلاثين، أى فى أولها و فى أول شهر منها، و الأقراح أوائل الأشياء، و اقترح فلان على كذا. و قال ابن الأعرابى فى قول أوس:

على حين أن حد الذكاء و أدركت قريحه كحسى من شريح مغمم

جعل شباب شريح حين بدا كحسى الماء لا ينقطع ماؤه، و مغمم أى ملاً كل شىء، و غمّه غرقه. و يقال: سند فى الخمسين، و ارتقى فيها هذا عن بعضهم. و قال أبو صاعد:

ارتقى فيها فحسب.

و قال ابن الأعرابى: قلت لأبى الجماهر: ابن كم أنت؟ فقال: قد ولتني الخمسون ذنبا. و قلت لآخر مثله فقال: حبوت إلى الستين. و قال بعضهم: أخذت بعنق الستين.

و قال آخر: راهمت الثمانين. و هذا مأخوذ من الرهام و هو العدد الكثير. و يقال: ساعه طبقه أى طويله. و قال الأصمعى: سمعت أعرابيا يقول: منحت الأعقد الخمسه بالخاء المعجمه و بالخاء أيضا يعنى خمسين سنه و معنى منح قطع. (أبو يوسف) يقال للجاريه التى قد استقمت عصر شبابها: معصر و هى كاعب أولا إذا كعب ثديها ثم يخرج فيكون ناهدا، ثم استوى نهودها فتكون معصرا. قال الزجاج:

أوانسا كالزبرب الزبايب من ناهد و معصر و كاعب

و يقال: لقيت فلانا بادئ بدء و بادئ بدأ قال:

١- فى القاموس فى فصل الخاء المعجمه مع التاء المشاه فى (الخت) و الختيت الخسيس و الناقص و الله أعلم- الحسن النعمانى المصحح كان الله له.

و قد علتني ذراه بادی بدی و ریته ينهض في تشددي

و يقال: كسفت النَّاقه و أكسفت إذا نتجت في كل عام و إذا أَلقت النَّاقه أو الشَّاه ولدها لغير تمام قيل خدجت. و إن كان تام الخلق و أخذجت إذا أَلقت ناقص الخلق و إن كانت أيامه تامه. و يقال شجره مبكار و بكور إذا أدركت حملها في أوَّل السَّينه، و شجره منجار إذا أدركت حملها في آخر السَّينه. و شجره معوام إذا حملت سنه و حالت سنه. و يقال: عاده الوجع عدادا إذا عاوده في الشَّهر أو في السنه لوقت معلوم و أنشد:

أصبح باقي الودّ من سعاداعلاقه و سقما عدادا

إذا أقول قد برأت عادا و قال آخر:

تلاقى من تذكّر آل سلمى كما يلقي السليم من العداد

و يحلّ الهدى يوم النَّحر بمنى و يبلغ محلّه. و المحل الموضع الذي يحل فيه نحره، و هو يوم النَّحر إذا رميت جمره العقبه. معنى يحل يجب و قرئ قوله تعالى: يَحْلِلُ عَلَيْهِ غَضَبِي [سوره طه، الآية: ٨١] و المعنى يجب و إذا قرئ يحلل فمعناه ينزل، و يقال: بيننا و بينهم ليال آيات: أى هينات السَّير. و الأوان الدَّعه. و يقال: تعاملنا من آمنه و معاومه- و مساناه- و مسانهه- و مشاهره- و مسابعه- و معاشره- و مياومه- و مواضحه من وضح النَّهار و مناصفه- و مباركه- و مغاداه- و مظاهره- و مراوحه- و معاصره- و ملايله- و يقال: أسقينا مغارطه أى للسَّابق- و مناوبه- و معاقبه- و مداوله- و مراقبه- يرقب حتى يفرغ الغارطه- و مقالده- و مواضحه- و مساجله- و مكابله أى دلوا فدلوا- و مساوقه- أى مرّه أسوق عليه السَّانيه- مرّه يسوق على- و مؤالبه أى يألّب الدُّلو إلى. قال:

يبشّرني بماتح ألوب مطرح شبه غضوب

و معارضه- و مرافضه- و مياينه يبين له الدُّلو عن الحجاف- و معالاه- أى يعلى و هو أن يجذب الحبل عن حجر ماء في جانب البير. قال:

لو أنّ سلمى شهدت مظلي أمتح أو أدلج أو أعلى

إذن أراحت غير ذات دلّ و مطارده- و مطاوحه- و مناوشه- أى يأخذ على الدُّلو و آخذ عليه و مدالجه أى أدلج بالدُّلو إلى الحوض و يدلج و هو المناقله- و معاطفه يريد عطف السَّانيه- و ملاطفه و هو أن يحتمل أحدهما لصاحبه فوق الشرط عليه إيجابا له و لطفاه. و مراواه- أى يرتوى إبلى ثم يستقى- و مراوحه و ملاطمه ينزل فيخرج الطين و مداومه- و مثابره- و مجاحفه- إذا نقص

الماء نزل و غرف فى الدلو. و يقال سقينا إبلنا رفها و مرافهه- و ظاهره- و زعزعه أنصاف النهار- و عريحا مرّه بالغداه و مره بالعشى- و غبا و مغابه- و ربعا و مرابعه و عشرا و معاشره- و مطارده. ابن الأعرابى يقال:

سال واديك من غير مطرك و أطرده عيشك فى جداول دهرك

لمن عاش فى غيره و أنعش بحدّ سواه. و يقال للسّيل إذا سال واديه من مطر- و إذا خرّ سال دراو و إذا سال من مطرك- قيل سال ظهرا. يقال: مضى لذلك دهر داهر- و دهر دهارير- و المراد التّطاول. قال الشّاعر:

و الدّهر بالإنسان أينما حال دهارير

و قال آخر:

أنا الدّهر يفنى الموت و الدّهر خالدفجئنى بمثل الدّهر شيئا يطاوله

و قيل: الدّهر تكرار اللّيل و النّهار، و الزّمان: اللّيل و النّهار، و صرف الدّهر ما يتصرف بالشىء من أحوال تختلف، و لهذا قال الشاعر:

و الدّهر بالإنسان دوارى. و الحين يصلح كلّ وقت طال أو قصر، لأنّه اسم كلّ زمان، و منهم من يجعل الجزء و الجزأين من الزّمان حينا و يستدل بقوله. تطلّقه حينا و حينا تراجع.

و يقال: مضى هذا الأمر لحين أوان: أى لوقته. قال شعرا:

لأركب صعب الأمر إنّ ذلوله بنجران لا يقضى لحين أوان

و قد حان يحين- حيونا- و حينونه- و حينت الشىء- جعلت له حينا- و التّحّين فى الحلب من هذا، و هو أن يجعل له وقتا معلوما يحلب المحلوبه فيه لا- يستنقص و لا- يستقصى، و هو خلاف الأفن و هو الاستقصاء- و الامتحاق و الانفصاح و هو ذهاب اللّبن أجمع. و منه قيل للقمر: امتحق و انفصح. و ذلك فى ليالى المحاق إذا لم يبق ضوء. و شىء متأبّد أتى عليه أبدا. و لا أفعله حتى يفنى الأبد. قال حسان شعرا:

و اللّوم فيك و فى سمراء ما بقيت و فى سمّيه حتى ينفد الأبد

و لا- أفعله آخر كلّ ليله و أبدا الله- و طوال الدّهر- و طوال الله- و طوال اللّيالى- و سجيس الأوجس- و سجيس الأعجس- و أوجس أعجس- و أحنى أقوس، و أحنى أشوس- و سجيس المسند- و لا أفعله ما أن فى السّماء نجما- و ما أن فى السّماء نجم يريد: ما عنّ أى عرض. و يقال: مضى له أمه، و هى مدّه من الزّمان طويله و لا تجمع. و قال أبو العباس

ثعلب: الأمه مائه سنه فما زاد. و يقال: إنَّ الملوين اللّيل و النَّهار. و منهم من يقول هما اختلافهما و أنشد شعرا:

نهار و ليل دائم ملواهما على كلّ حال المرء يختلفان

قال أحمد: لو كان الملوان اللّيل و النَّهار لم يضافا إلى ضميرهما من حيث لا يضاف الشئى ء إلى نفسه، و لكن يريد تكثّر الدّهر و اتّصاله بهما. و مضت ملوه من الدّهر- و ملوه و زمنه- و مده طبقه- و ساعه طبق- و مده طبق- و المراد من كلّ الطول و جمع ملوى ء إملاء و جمع طبق أطباق. و يقال: انتظرتة مليّا من الدّهر أى متّسعا منه فهذا صفة استعمال الأسماء. و يقال تملّيت حينما أى عشت معه ملاوه و قال التّوزى: يقال: ملاوه و ملاوه و ملاؤه و الملاء المتّسع من الأرض. قال: الأغنيانى: و ارفعا الصوت بالملاء. و فى القرآن: وَ أَمْلى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ* [سوره الأعراف، الآيه: ١٨٣].

و قال ثعلب: الحقب واحد و هو بلغه قيس سنه. و قال غيره: الحقب ثمانون سنه و الحقبه السنه. و قال يونس فى قوله:

إنى أرى لك أكلا لا يقوم له من الحليفه إلا الأزلم الجذع

و بعض يقول الأزلم- و يقال: الأزلم المتجاذع. و يقال: خروف متجاذع إذا كرب يجذع. و قال:

ما زال ذاك الداب حتّى رأيتهم يعزون سنّ الأزلم المتجاذع

و إنّما سمّى جذعا لأنّه أبدا جديدا. و لذلك قال بعضهم: سن الدّهر سن الحسل أى: لا يزال جذعا لا يطرى عليه سنّ أخرى فينتقل إليها و يقولون: لا أفعله سنّ الدّهر- و سنّ الضّب- و سن الحمل- و المعنى واحد. و قوله: الأزلم و الأزلم يراد به ما يتعلق به من الحوادث بممرّه و متصرّفاته، و يقال: أفعل ذلك غدا أو سلعه إذا كان بعد الغد أو قريبا منه.

فصل [فى أن عادا سمّت الشهور بأسماء]

ذكر ابن الكلبي أنّ عادا سمّت الشهور بأسماء، و جاء عن أبى عمرو الشّيبانى و الفراء و قطرب و الأصمعى و ابن الأعرابى و غيرهم من العلماء وفاق فى بعضها و اختلاف فى بعضها، و ربما كان الاختلاف فى التّرتيب، و ربما اختلفوا فى بناء الكلمه و وضعها و صرفها و ترك صرفها، كتر كهم الصّرف للشمس و الشّمال فقالوا: هذه شمس بازغ، و هذه شمال بارده.

و قال الشّاعر حالفا:

أما و شمس لتحصنهم دما و قال:

إذا هبت شمال غدرت فيها بلفظ بين مقرحه و آن

فمن ذلك قالوا للمحرّم: مؤتمر إجماع منهم. و لصفرة: ناجر و منهم من لا يصرف فيقول ناجر. و لربيع الأول قال قطرب: خوان و خوان مخفّف- و قال غيره: خوان بالضّم و التّشديد، و لربيع الآخر: قال قطرب: وبصان و بصان- و قال غيره بصان بالتّخفيف و الضّم و وبصان و وابصه- و جمادى الأولى: قال قطرب: حنين- و قال ابن الكلبي: ربي بالباء- و قال ابن الأعرابي: رنى بالنّون- و قال ابن دريد حنين- و جمادى الآخرة قال قطرب: ربي و ربه- قال ابن الكلبي: حنين- و قال الشّيباني و الفراء: حنين و أنشدا شعرا:

و ذو النّحب ينويه فيوفى بنذره إلى البيض من ذاك الحنين المعجل

رجب قال قطرب: الأصم و هو إجماع منهم- شعبان عاذل- ابن الكلبي و ابن الأعرابي و عل- الفراء، و عل مثل فخذ شهر رمضان- قطرب: ناطق و غيره نتق- شؤال: و عل- ابن دريد و عل- ابن الكلبي و ابن الأعرابي عاذل- غيرهم معتدل. ذو القعدة: قطرب: ورنه- غيره ورنه- آخررنه- غيره رنه- الشّيباني يقال له: هواع قال:

و قومي لدى الهجاء أكرم موقعا إذا كان يوم من هواع عصب

ذو الحجة: برك يا إجماع منهم- و روى الصّولي عن أحمد بن يحيى في أماليه زعم ابن الكلبي أنّ العرب كانت تسمّى المحرم مؤتمرا- و صفرا ناجرا- و شهر ربيع الأول خوان- و شهر ربيع الآخر وبصان- و جمادى الأولى ربي- و جمادى الآخرة حنين- و رجب الأصم- و شعبان عاذلا- و رمضان عاذلا- و شؤال وعلا- و ذو القعدة ورنه- و ذو الحجة برك.

فصل [مستخرج من كتاب سيبويه في الأماكن والأوقات]

استخرجناه من كتاب سيبويه يستغرب أكثر ما فيه و نختم به الكلام في الأماكن والأوقات و يتصل به ذكر شيء من الخلاف بيننا و بين الكوفيين إذا تأمل انشرح به كثير من هذا الباب.

قال سيبويه: يقول هو ناحيه من الدّار و داره ذات اليمين و أنشد لجرير:

هبت حونا فذكرى ما ذكرتكم عند الصّفاة التي شرقى حورانا

قال: و سمعت بعض العرب ينشد:

سرى بعد ما غار الثّريا و بعد ما كأنّ الثّريا حلّه الغور منخل

فانتصاب هذه الأحرف كانتصاب قولك هو قصدك قال: و سمعنا ممن يوثق به من العرب هما خطان جنابتي أنفها يعني الخطين اللّذين اكتنفا جنبى أنف الطّيبه. قال الأعشى:

نحن الفوارس يوم الحنو صاحيهجنبي فطيمه لا ميل ولا عزل

و يقال: زيد جنب الدار، و جانب الدار، و قالوا: هم حوله و أحواله و حياله و حوالية و هم جنبه و جنبيه و قطريه و أقطاره. و أنشد لأبي حيه النّميري:

إذا ما تغشاه على الرّحل جنبتي مساليه عنه من وراء و مقدم

يعنى بمساليه عطفيه فهو بمنزله جنبى فطيمه. و كقولهم: هو وزن الجبل أى ناحيه منه، و هو زنه الجبل، و قولك أقطار البلاد فإن جعلت الآخر هو الأوّل رفعتة و أردت به الثقل أعنى الوزن و الزّنه. و من ذلك قول العرب: هو موضعه أى فى موضعه كما قالوا: هو صددك و سبقك أى قربك. و تقول كيف أنت إذا أقبل قبلك و يجىء نحوك قال: كيف أنت؟ إذا أريدت ناحيتك، و كيف أنت إذا أقبل التعب الرّكاب جعلهما اسمين. و النقب الطّريق فى الجبل و المراد بقوله جعلهما اسمين، أى لم يجريا على المصدر فهو بمنزله قولهم هو قريب منك، فإن شئت قلت: هو قريبا و هل قريبا منك أحد. قال: و مما لا يحسن أن يكون ظرفا قولك: جوف المسجد، و داخل الدّار، و خارج الدار و ذلك لمفارتها خلف و قدّام و ما أشبههما مبهمه .. و المختصّ من أسماء الأماكن لا يكون ظرفا. قال و ممّا شبّه من الأماكن المختصه بالمكان قولهم: هو منى منزله الشّغاف و هو منى مزجر الكلب و أنت مقعد القابله.

قال فوردين و العيوق مقعد رأى الضّربا.

و قال آخر:

و إنّ بنى حرب كما قد علمتم مناط الثّريا قد تعلّت نجومها

و قال: هو منى معقد الإزار، و هم درج السّيل قال ابن هرمة:

انصب للمتيه لقربهم رجالى أم هم درج السيول

و كل هذا و أشباهه وضعت مواضع القرب و البعد فلذلك استجيز فيها على اختصاصها وقوعها ظرفا قال: فاستعمل هذا ما استعمله العرب و أجزوه منه ما أجازوه قال: و زعم يونس أنّ بعضهم قال: هو منى مزجر الكلب، فرفع جعله بمنزله مرأى و مسمع. و يجعل الآخر هو كالأوّل. فأما قولهم: دارى خلف فرسخا فكأنّه لما قال دارى خلف دارك، و هو مبهم فلم يدر ما قدر ذلك فقال: فرسخا و ذراعا.

و زعم يونس أنّ أبا عمرو كان يقول: دارى من خلف دارك فرسخان، كما تقول: أنت منى فرسخان و فرسخين. قال فأما قولهم: اليوم الأحد و اليوم الاثنان و كذلك إلى الخميس فلائها ليست يعمل فيها أراد أن يفرّق بينها و بين السّبت و الجمعه فتقول اليوم خمسه عشر من

الشهر، إذا أردت أنّ اليوم تمام خمسه عشر- و من العرب من يقول: اليوم يومك، فيجعل اليوم الأوّل بمنزله الآن، لأنّ الرّجل قد يقول: أنا اليوم أفعل كذا ولا يريد يوماً بعينه.

و اتّفق الكوفيّون و البصريّون على أنّ قول القائل: خلفك و قدّامك و ما أشبههما من الأماكن العامه ظروف في الإضافة، و اختلفوا فيها إذا أفردت، فقال البصريّون: هي ظروف على ما كانت في حال الإضافة.

و قال الكوفيّون: إذا أفردت صارت اسماً فقولك زيد خلفاً و قدّاماً عند البصريّين ظرف. و عند الكوفيّين زيد خلف على معنى متأخر، و قدّام بمعنى متقدّم، و كذلك إذا قلت:

قام زيد خلفاً نصبته على الظرف عند البصريّين. و الكوفيّون يقولون: تقديره تقدير الاسم الذي هو حال كأنّه قال: قام متأخراً و كذلك إذا قلت: قام مكاناً طيباً يكون ظرفاً.

و الكوفيّون يقولون: ناب عن قولك مترفاً و معتبطاً، و إنّما يحتاج إلى الإضافة عندهم لأنّه يكون خبراً عن الاسم، كما يكون الفعل خبراً في الوقت، زيد يذهب فلما كان الفعل يحتاج إلى فاعل و يتّصل به أشياء يقتضيها من المصدر و المكان و الزّمان و المفعول ألزموا المحلّ للإضافة ليسدّ المضاف إليه مسدّ ما يطلبه الفعل و يدلّ عليه.

و قال البصريّون: إنّما الإضافة لتعيين الجهه و التعريف. و الأصل هو التّكثير و إنّما التّعريف داخل عليه. و أجمع الفرقان على أنّ الوقت يرفع و ينصب إذا كان خبر المرفوع مبتدأ في حال تعريف الوقت و تنكيره. فالتّعريف قولك: القتال يوم الجمعة و اليوم. و إن شئت قلت: اليوم و يوم الجمعة. و التّكثير كقوله: (زعم البوارح أنّ رحلتنا غداً) و غد.

فالتّقدير في الرّفح وقت القتال اليوم فحذف المضاف و النّصب بإضمار فعل كأنّك قلت:

القتال وقع اليوم، و إذا كان الفعل مستغرقاً للوقت كلّّه- فالبصريّون يجيزون فيه النّصب على الظرف، كما يجيزونه في غير المستغرق و يدخلون عليه (في).

و الكوفيّون لا يجيزون فيه النّصب و هذا غلط، و يجعلونه خبراً هو الأوّل، و لا يدخلون في تقول صيامك يوم الخميس، و الصّوم يستوعب اليوم و يجوز في قولهم: صمت في يوم الخميس. و الكوفيّون لا- يجوزون النّصب و يمنعون من إدخال (في) لأنّها عندهم: توجب التّبعيض، و الصّوم يستوعب اليوم. و قولهم فاسد لأنّ (في) لا يمتنع دخولها على زمان الفعل و إن قلّ، و يقول: كلّمت في القوم أجمعين، فيدخل (في) و قد استوعبتهم الكلام، و امتنع الكوفيّون من زيد خلفك أشدّ منع حتّى قال بعضهم في قوله: ألا جبرائيل أمامها إنّ ذلك إنّما جاز لأنّ جبرائيل لعظم خلقه يملأ الأمام كلّّه، و هذا في التّحصيل خطأ لأنّ الأمام لا نهايه له، و كذلك سائر الجهات. و أجازوا ذلك في أخبار الأماكن فقالوا: دارى خلفك و منزلى أمامك، و على هذا حمل ثعلب قول لبّيد: خلفها و أمامها و إذا تأملت فلا فصل.

الباب الثامن عشر فى اشتقاق أسماء المنازل و البروج و صورها

و ما يأخذ مأخذها و الكواكب السبعة و هو فصلان:

فصل [فى بيان معنى] العواء

العواء (١) يمد و يقصر، و القصر أجود و أكثر، و هى خمسة كواكب كأنها ألف معطوفه الذنب و أنشد:

فلم يسكنوها الجزء حتى أظلمها سحاب من العوا و تابت غيومها

و سميت العواء: للانعطاف و الالتواء الذى فيها، و العرب تقول: عويت الشىء إذا عطفته، و عويت رأس الناقة إذا لويته، و فى المثل: ما ينهى و لا يعوى و كذلك عويت القوس و الشَّعر و العمامه إذا عطفته. و يجوز أن يكون من عوى إذا صاح كأنه يعوى فى أثر البرد، و لهذا سميت طارده البرد، و يقولون: لا أفعله ما عوى العواء و لوى اللواء. و قال بعضهم:

إنما سميت العواء لأنها خمسة كواكب كأنها خمسة كلاب تعوى خلف الأسد و نوؤها ليله.

السِّماك و سَمَى السِّماك الأعزل لأنَّ السِّماك الآخر يسمّى رامحا لكوكب تقدّمه، يقولون: هو رمحه و قيل: سَمَى أعزل لأنَّ القمر لا ينزل به، و قال صاحب كتاب الأنواء، ينزل القمر بهذا دون الرّامح و أنشد:

فلما استدار الفرقدان زجرتها و هبّ سلاح ذو سماك و أعزل

و العرب يجعل السِّماكين ساقى الأسد و نوؤه غزير، لكنه مذموم و هو أربع ليال و سَمَى سماكا لأنه سمك أى ارتفع، و قال سيويه: السِّماك أحد أعمده البيت. قال ذو الرّمه:

١- قال صاحب جواهر الحقائق: العوا هو منزل ثالث عشر للقمر، و السِّماك الأعزل هو منزل رابع عشر من القمر، و الغفر منزل خامس عشر له ١٢ ش.

كَأَنَّ رَجُلِيهِ سَمَاكَانَ مِنْ عَشْرَتَيْبَانَ لَمْ يَتَفَشَّ عَنْهُمَا النَّجْبُ

و بين يدى السِّمَّاك الأَعزَل أربعه كواكب على صورهِ النَّعْش يقال لها: عرش السِّمَّاك و يسمّى الخبَاء. و قال بعضهم: هو عرش الثُّريا يقال: بات عليه ليله عرشيه قال ابن أحمر شعرا:

بات عليه ليله عرشيهشريت و بات إلى نفا متهدّد

شربت أى لَجَت فى المطر و متهدّد أى متهدّم لا يتماسك.

الغفره و هى ثلاثه كواكب بين زباني العقرب و بين السِّمَّاك الأَعزَل خفيه على خلقه العوّاء. و العرب تقول: خير منزله فى الأبد بين الزَّباني و الأسد تعنى الغفره، لأنّ السِّمَّاك عندهم من أعضاء الأسد، فقالوا: ثلاثه من الأسد ما لا يضرّه الذئب يدفع عنه الأظفار و الأنياب، و ثلاثه من العقرب ما لا يضرّ الزَّباني لدفع عنه الحمه، و هو من الغفره و هو الشَّعر الذى فى طرف ذنب الأسد. و قيل سميت الغفره لأنّها كأنّها ينقص ضوءها، و يقال غفرت الشىء إذا غطّيته فيكون على هذا فى معنى مفعول، و يقول: شرّ النَّتاج ما كان بعد سقوط الغفره، و يعدّون ليله نزول القمر به سعادا، و نوؤه ثلاث ليال، و قيل بل نوؤه ليله و أنشد:

فلما مضى نوء الثُّريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغفر

الزَّباني(١) و سمّى زباني العرب و هما قرناها، كوكبان و هو مأخوذ من الزَّبَن و هو الدَّفْع، و كلّ واحد منهما عن صاحبه غير مقارن لها و نوؤها ثلاث ليال و تهبّ معه البوارح و أنشد:

و رفرت الزَّباني من بوارحهاهيف أنشت به الأصناع و الخبر

الأصناع محابس الماء و الخبر جمع خبره و هى أرض بها السِّدر و يدفع فيه الماء.

الإكليل و هى ثلاثه كواكب مصطفه على رأس العقرب و لذلك سميت الإكليل و كأنّه من التكلل و هو الإحاطه، و منه الكلاله فى النَّسب و نوؤه أربع ليال، و هو من العقرب و أنشد نجران العود يصف رفقاءه:

مطرفين على مثنى أيامنهم راموا التّزول و قد غاب الأكاليل

جمع الإكليل كأنّه جعل كلّ كوكب إكليلا ثم جمعه.

القلب: و هو كوكب أحمر يُرى سَمى القلب لأنّه فى قلب العقرب، و أوّل النَّتاج بالباده

عند طلوع العقرب، و طلوع النسر الواقع و يسميان الهرايين لهريير الشتاء عند طلوعهما و نوؤها ليله، ثم يستحسنونها قال:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنه سواء عليكم بالتحوس و بالسعد

(و القلوب) أربعة (قلب العقرب) و (قلب الأسد) و (قلب الثور) و هو الدبران و (قلب الحوت).

الشولة (١) و سميت بذلك لأنها ذنب العقرب. و ذنب العقرب شائل أبدا، و أهل الحجاز يسمون الشولة الإبره، و بعدها إبره العقرب و هي سميت فقر يجعلون كل كوكب فقره، و السابعة الإبره. و المجزّه تسلك بين قلب العقرب و بين النعائم فتقطع نظام المنازل فى هذا الموضع. و فى موضع آخر و هو ما بين الهقعه و الهنعه فإنها تسلك بينهما، فتعرض نظام المنازل اعتراضا، و هاهنا تقطع القمر و سائر الكواكب الجاربه فى المجزّه، و ذلك حين تنحدر عن غايه تواليا إلى ذروه القبه فتأخذ فى الهبوط، فأما قطعها إياها عند السيقوط فذلك حين يبتدئ الصيعود بعد غايه الهبوط، و يسمي الشولة شوله الصوره و هي منغمسه فى المجزّه فإذا لم يعدل القمر عن منزله قيل: كالح القمر مكالحه. و معنى شال ارتفع، و يقال:

ناقه شائله إذا ارتفع لبنها. و جمعها شؤل و ناقه شائل: إذا شالت بذنبها و جمعها شؤل و أنشد:

كأن فى أذناهنّ الشؤل من عبس الصيف قرون الأيل

و نوؤها ثلاث ليال و هي كوكبان مضيئان.

النعائم (٢) و هي ثمانية كواكب (أربعة) منها فى المجزّه تسمى الوارده لأنها شرعت فى المجزّه كأنها تشرب (و أربعة) خارجه منها تسمى الصادره و إنما سميت نعائم تشبها بالخشبات التى تكون على البئر، أو تحت مظله الرثيه فكأنها أربع كذا و أربع كذا كما قال:

لأظّل فى يدها إلا نعامتها منها حريم و منها قائم باق

و نوؤها ليله.

البلده و هي فرجه بين النعائم - و بين سعد الدابح - و هو موضع خال ليس فيه كوكب، و إنما سميت بلده تشبها بالفرجه التى تكون بين الحاجبين اللذين هما غير مقرونين و يقال:

١- فى الجواهر منزل تاسع عشر للقمر، ١٢ القاضى محمد شريف الدين الحنفى.

٢- فى الجواهر منزل العشرين للقمر، ١٢ محمد شريف الدين عفا عنه.

رجل أبلد إذا افترق حاجباه، و نوؤها ثلاث ليال و قيل ليله.

سعد الذابح و سَمَى بذلك لكوكب بين يديه يقال هو شاته التي تذبح و نوؤه ليله.

و أنشد:

ظعائن شمس قريح الخريف من الفرغ و الأنجم الذابحه

سعد بلع سَمَى بذلك لأن الذابح معه كوكب بمنزله شاته و هذا لا كوكب معه فكأنه قد بلع شاته. و قال بعضهم: سَمَى بلع لأن صورته صورته فم فتح ليلع. و قال غيره: بل لأنه طلع حين قال الله تعالى: يا أرض ابلعي ماءك [سوره هود، الآية: ٤٤] كأن انكشاف ذلك الطوفان في يومه و نوؤه ليله.

سعد السعود (١) و سَمَى بذلك لأن في وقت طلوعه ابتداء ما به يعيشون و تعيش مواشيهم و نوؤها ليله و قيل: إن السعد منها في واحد و هو نهارها و أنشد:

و لكن بنجمك سعد السعود طبقت أرضي غيثا درورا

سعد الأخيه (٢) و سَمَى بذلك لكوكب في كواكبها على صورته الخباء و قيل: بل لأنه يطلع في قبل الدفء فيخرج من الهوام ما كان مختبئا، و نوؤه ليله و ليس بمحمود.

فرغ الدلو المقدم (٣) و يقال: الأعلى، و بعضهم يقول: عرقوه الدلو العليا و عرقوه الدلو السفلى. و ذكر بعضهم: إنما سَمَى فرغ الدلو لأن في وقت الأمطار تأتي كثيرا فكأنه فرغ دلو و هو مصب مائها. و قال بعضهم: إنما سَمَى بالعرقوه و الفرغ تشبها بعراقى الدلو، لأنها على هيئة الصليب و نوؤه ثلاث ليال، و أنشد في خريف:

سقاء نوء من الدلو تدلى و لم يوار العراقى

و أنشد:

يا أرضنا هذا أوان تحيين قد طال ما حرمت بين الفرغين

و يقال للفرغ الناهز و هو الذى يحرك الدلو لتملئ.

١- فى جواهر الحائق هو منزل الرابع و العشرين للقمر، و سَمَى متن الفرس.

٢- و فيه هو منزل الخامس و العشرين للقمر و سَمَى جناح الفرس ١٢.

٣- منزل السادس و العشرين للقمر و سَمَى جناح الفرس - شريف الدين.

فرغ الدلو المؤخر(١): و نوؤه أربع ليال و هو محمود.

الزشا: و هو السيمكة و يقال: بطن السيمكة و قلب الحوت و يقال لما بين المنازل الفرج. فإذا قصر القمر عن منزله و اقتحم التي قبلها نزل بالفرجه و يستحسنون ذلك إلا الفرجه التي بين الثريا و الدبران، فإنهم يكرهونها و يستنحسونها و يقال لها الضيقه. قال:

فهلّا زجرت الطير ليله جتته لضيقه بين النجم و الدبران

الشرطان(٢): و سمي بذلك لأنهما كالعلامتين أى سقوطهما علامه ابتداء المطر، و الشرط العلامه و لهذا قيل لأصحاب السلطان: الشرط لأنهم يلبسون السواد كأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها و يقال: شرطى فى كذا و يقال: إنهما قرنا الحمل، و هما أول نجوم فصل الربيع، و نوؤه ثلاثه أيام و هو محمود غزير.

البطين(٣) و سمي بذلك لأنه بطن الحمل و نوؤه ثلاث ليال و هو شر الأنواء و أنزرها و قلما أصابهم إلا أخطأهم نوء الثريا.

الثريا(٤) و يسمى النجم و النظم و هو تصغير ثروى من الكثره و قيل: سميت بذلك لأن مطرها يثرى و يقال: ثرى و نوؤها خمس ليال غير محمود.

الدبران(٥) و يسمى التابع و الثانى و التبع و حارك النجم و سمي الدبران لأنه دبر الثريا أى صار خلفها، و يسمى المجدح و المجدح حكاهما الشيبانى و قال الأموى هو المجدح و نوؤه ثلاث ليال و قيل: بل هو ليله و هو غير محمود.

و قد فسّر بعضهم ورد القطاه إذا استمال التبع على أنه الدبران و مما يحكى عنهم من كلامهم: كان كذا حين خفق المجدح يعنونه. و قال بعضهم: إنميا قال: مجدح إذا اتصل نوؤه بنوء الثريا فغزر و يقولون: سقيت بمجاديح السماء و أرسلت السماء مجاديح الغيث.

فإن قيل: أ تقول لكل ما دبر كوكب الدبران؟ قلت: لا أقول ذلك لأنه قد يختص الشىء من بين جنسه بالاسم حتى يصير علما له، و إن كان المعنى يعم الجمع على ذلك قولهم التابغه فى الجعدى و الذيبانى و ابن عباس فى عبد الله و أنشد:

١- قال فى جواهر الحقائق منزل السابع و العشرين للقمر، و يسمى بطن الحوت.

٢- الشرطين منزل أول للقمر ١٢.

٣- و فيه أيضا البطين منزل الثانى للقمر.

٤- المنزل الثالث.

٥- المنزل الرابع للقمر ١٢ القاضى محمد شريف الدين.

وردن اعتسافا و الثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق

يدف على آثارها دبرانها فلا هو مسبوق ولا هو يلحق

الهقعه (١) و سميت بذلك تشبيها بهقعه الدابة: و هي دائرة تكون على رجل الفارس في جنب، و يقال فرس مهقوع و كانوا يتشاءمون بها و هي ثلاثة كواكب تسمى رأس الجوزاء، و نوؤه ست ليال، و لا- يذكرون نوؤها إلا بنوء الجوزاء و هي غزيره المذكوره و تسمى الأثافي لأنها ثلاثة صغار متعينة. و قال ابن عباس لرجل طلق امرأته عدد نجوم السماء يكفيك منها هقعه الجوزاء. و هي ثلاث.

الهنع (٢) و هي منكب الجوزاء الأيسر و سميت بذلك الأيسر من قولهم: هنعت الشيء إذا عطفته و ثبتت بعضه على بعض فكأن كل واحد منهم منعطف على صاحبه. و منه الهنع في العنق، و هو النواء و قصر و نوؤها لا يذكر و هو ثلاث ليال إنما يكون في أنواع الجوزاء، و يقال: سميت الهنع لتقاصرهما من الهقعه و الذراع المبسوطة و هي بينهما منحطه عنهما، و يقال: أكمه هنعاء إذا كانت قصيره و تهنع الطائر الطويل العنق مقاصره عن عنقه.

الذراع: ذراع الأسد و له ذراعان مقبوضه و مبسوطة و نوؤها خمس ليال و قيل ثلاث ليال، و هو أقل أنواع الأسد محمود غزير. و المقبوضه هي اليسرى سميت مقبوضه لتقدم الأخرى عليها، و هي الجنوبيه و بها ينزل القمر و كل صوره من نظم الكواكب، فميامنها مما يلي الشمال، و مياسرها مما يلي الجنوب لأنها تطلع بصدورها ناظره إلى المغارب فالشمال على أيمنها، و الجنوب على أيسرها و قد فهم ذلك القائل، و النجوم التي تتابع بالليل وقتها ذات اليمين ازورار و إنما ازورارها على أيمنها إطفاه منها بالقطب لذلك قال:

و عاندت الثريا بعد هدم معانده لها العيوق جار

و أحد: كوكبي الذراع الغميصاء و هي التي تقابل العبور و المجزّه بينهما. قال أبو عمر:

و هي الغميصاء و الغموص و قد يكبر فيقال: الغمصاء و يقال لكوكبها الآخر الشمالي المرزم، مرزم الذراع و الآخر في الجوزاء قال:

و نائحه صوتها رابع بعثت إذا خنق المرزم

و يروى إذا ارتفع المرزم. و مرزم الجوزاء لا نوء له، و قد ذكر بالنوء على سبيل الشعريين قال:

١- الهقعه: المنزل الخامس للقمر.

٢- الهنع: المنزل السادس للقمر - شريف.

جری راحتاک جری المرزمین متی تنجدا بنو لی ثغور

و من أحاديثهم: كان سهيل و الشعريان مجتمعاه، فأنحدر سهيل فصار يمانيا و تبعته العبور عبرت إليه المجره، و أقامت الغميصاء، فبكت لفقده سهيل حتى غمصت و الغمص في العين نقص و ضعف.

الثَّره: و هي ثلاثه كواكب و سميت الثَّره لأنها مخطه يخطها الأسد كأنها قطعه سحاب، و يقولون: بسط الأسد ذراعيه ثم نثر و يجوز أن تكون سميت بذلك لأنها كأنها من سحاب قد نثر و الثَّره الأنف و نوؤها سبع ليال.

الطرف: سميت بذلك لأنهما عينا الأسد و يقال: طرف فلان أى رفع طرفه فنظر.

قال: إذا ما بدا من آخر الليل يطرف و نوؤه ثلاث ليال.

الجبهه: جبهه الأسد و نوؤه محمود سبع ليال، و يقولون: لو لا نوء الجبهه ما كانت للعرب إبل.

الزَّبره: زبره الأسد أى كاهله، و قيل: زبرته شعره الذى يزبر عند الغضب فى قفاه أى ينتعش، و هذا ليس بصحيح، لأنَّ ازبأراً من الزباعى و الزَّبره من الثلاثى و سميت الخراتان من الخرت، و هو الثقب كأنهما تنخرتان إلى جوف الأسد و هذا غلط لأنَّ رأى العين يدر كهما فى موضع زبره الأسد. و نوؤها أربع ليال.

الصَّرفه: و سميت بذلك لأنَّ البرد ينصرف بسقوطها، و قيل: أرادوا صرف الأسد رأسه من قبل ظهره، و يقال: الصَّرفه ناب الدَّهر؛ لأنها تفتَّر عن فصل الزَّمان، و أيام العجوز فى نوئها، و هو ثلاث ليال، و حكى عن بعض الأعراب أنه قال: الخراتان مع الأسد تجريان معه و ليستا منه. قال: و معنى قول الشاعر:

إذا رأيت أنجما من الأسد جبهه أو الخراء و الكتد

و إن رأيت الخراء من غير أن يكون جعلها شيئا من خلقه، ثم قال و الكتد فرجع إلى ذكر ما هو من خلقه فهذه المنازل.

فصل فى بيان الكواكب السبعه

و أمّا التَّجوم الخنَّس الجوارى الكنَّس: فمعنى الخنَّس أنها تخنس أى ترجع و معنى الكنَّس أنها فى بروجها كالوحش تأوى إلى كنسها، و هي سبعه مع الشَّمس و القمر سياره غير أن بعضها أبطأ سيرا من البعض، فكل ما كان فوق الشَّمس فهو أبطأ من الشَّمس، و ما كان

دون الشمس فهو أسرع من الشمس بينا ترى أحدها آخر البروج كثر راجعا إلى أوله، و لذلك لا ترى الزهره فى وسط السماء أبدا و إنما تراها بين يدي الشمس أو خلفها، و ذلك أنها أسرع من الشمس، فتستقيم فى سيرها حتى تجاوز الشمس، و تصير من ورائها، فإذا تباعدت عنها ظهرت بالعشاء فى المغرب فترى كذلك حيناً ثم تكرر راجعه نحو الشمس حتى تجاوزها فتصير بين يديها، فتظهر حينئذ فى الشرق بالغدوات. و هكذا هى أبدا، فمتى ما ظهرت فى المغرب فهى مستقيمه، و متى ما ظهرت فى المشرق فهى راجعه و كل شىء استمر ثم انقبض: فقد خنس، كما أن كل شىء استتر فقد كنس.

زحل(١): و اشتقاقه من زحل مزحلا- إذا بعد، و يقال: زحلت الناقه إذا تباطأت فى سيرها و تأخرت و هو معدول عن زاحل و زاحل معرفه.

المشترى(٢) و هو من شرى البرق إذا استطار لمعانا، و يقال: شرى و شرى و منه استشرى غيظا و يقال: شرى يشرى إذا لج و تشدد و منه سميت الشراه لتشددهم فى الدين.

و قال بعضهم: إنما تسموا بالشراه ذهابا إلى قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ [سوره التوبه، الآية: ١١١].

المريخ(٣): فقيل من المرخ كأنه يورى نارا لأن المرخ شجر سريع الورى و من أمثالهم: فى كل شجر نار. و استمجد المرخ و العفار، و يجوز أن يكون سمى به لبعده مذهبه، و منه المريخ السهم الخفيف الربع قذذ يجعل للغلاء و هو بعد الرمى و يقال: هو من غلوه السهم.

الشمس(٤): قال الخليل: الشمس عين الضح. و به سميت معاليق القلاده و قيل هو من المشامسه لأنها نحس فى المقارنه و إن كانت سعدا فى النظر و منه شمس لى فلان إذا ظهرت عداوته.

- ١- قال صاحب الجواهر: مده دوره حول الشمس مره فى عشره آلاف و سبع مائه و تسع و خمسين يوما و ساعتين.
- ٢- و فيه أيضا مده دور المشترى حول الشمس مره فى أربعه آلاف و ثلاث مائه و اثنتين و ثلاثين يوما و أربع عشره ساعه.
- ٣- فى الجواهر دور المريخ حول الشمس مره فى ست و ثمانين يوما و ثلاث و عشرين ساعه. ١٢ القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

٤- فى جواهر الحقائق قطر الشمس (٨٨٣٢٤٦) ميلا. ١٢.

الزَّهْرَة (١): بفتح الهاء من الشىء الزَّاهِر، و يكون من الحسن و البياض جميعا. و الزَّهْوَر تَأْلُو الشَّمْس. و منه قولهم: زهرت بك زنادى.

عطار (٢): من الاضطراب: لأنه فى مرأى العين كأنه يرقص و هو من قولهم: شاء عطرد أى بعيد و كذلك سفر عطرد، و يجوز أن يكون سمى به لأنه لا يفارق الشَّمْس فكأنه عدّه لها، و العطرده العده يقال: عطرد هذا عندك، أى عدّه.

القمر: من القمره و هى البياض، و يقال: تقمرت الشىء إذا طلبته فى القمراء. و قال أحمد بن يحيى: إنّما سمى القمر (سهورا) لأنه يخسف بالسَّاهِره، و السَّاهِره الأرض، قال الله تعالى: فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ [سوره النازعات، الآية: ١٤] أى أرض القيامه، و ذلك أنّ القمر خسوفه بظل الأرض و حجزها بينه و بين الشَّمْس. و قال قطرب: بهور القمر علّوه فى الظهور و أنشد:

إذ فارس الميمون يتبعهم كالطلق يتبع ليله البهر

(و الكوكب الدّرّى) منسوب إلى الدّر لضيائه، و إن كانت الكواكب أكثر ضوءا من الدّر كأنه يراد: يفضل الكواكب لضيائه كما تفضل الدّر سائر الحب و درى بلا همزه و بكسر أوّله حملا على وسطه و آخره لأنه تثقل عليهم ضمه بعدها كسره. و ما آن كما قيل كرسى فى الكرسى و درى فليل من النجوم الدّرارى التى تدرأ: أى ينحط و يسير متدافعا. يقال: درأ الكوكب إذا تدافع منقضا فيضعف ضوءه و لا يجوز أن يضم الدال و يهمز، لأنه ليس فى الكلام فعيل.

و مثال: درى فعلى منسوبا إلى الدّر و يقال: درأ بضوئه يدرأ درأ و دروا و درأت له بساطا: أى بسطته، و يجوز درى إذا جعلته منسوبا إلى إندر، فيلحقه تغير النسبه، لأنّ النسبه تغير لها الكلمه كثيرا، و يقال: كسفت الشَّمْس و كسفها الله و خسف القمر و خسفه الله، و طلعت الشَّمْس، و نجم النجم و غربت الشَّمْس و صغا القمر و خفق النجم و صغا أيضا، و يقال: تعرّضت الثريا فى السماء: إذا زالت عن كبد السماء إلى ناحيه المغرب، و جنحت الثريا قال:

و أيدى الثريا جنح فى المغارب. و قال آخر:

و كأنّ غاليه تباشرها بين الثياب إذا صغا النجم

١- فى الجواهر دور الزَّهْرَة حول الشَّمْس فى مائتين و أربع و عشرين يوما و سبع عشره ساعه.

٢- دور عطار حول الشَّمْس سبع و ثمانين يوما و ثلاث و عشرين ساعه.

الباب التاسع عشر في أقطاع الليل - وطوائفه - وما يتصل به و يجرى مجراه

قال يعقوب: يقال: فعلته أوّل الليل و هو من عند غيوبه الشّمس إلى العتمه و العشاء من صلاه المغرب إلى العتمه، و يقال: أتيته ظلاما و عشاء و بعد عشوه من الليل، و العتمه:

وقت صلاه العشاء الآخره.

قال الخليل: العتمه و يقال العتمه بسكون التاء: التّث الأوّل من اللّيل بعد غيوبه الشّفق، و له قبل صلاه العتمه، و العتوام التي تحلب في تلك السّاعه، و إنّما سمّوها العتمه من استعتام نعمها، و يقال: حلبناها عتمه و عتمه و العتمه بقيه اللّبن يغبق به تلك السّاعه يقال: أفاقت النّاقه إذا جاء وقت حلبها، و قد حلبت قبل ذلك.

و قال الأصمعيّ: عتم يعتم إذا احتبس عن فعل الشّىء يريده و قد عتم قراه و أعتمه و إنّ قراه لعاتم أى بطن محتبس، و صف عاتم، و عتم أورد إبله في تلك السّاعه و أعتم صار فيها.

قال أوس: أخو شركى الورد غير معتمّ.

و حكى ابن الأعرابي: قالت الينمه: أنا الينمه أعقب الصّبي قبل العتمه، و أكبّ التّمال فوق الأكمه. و الينمه: بقله تشبه الباذروج، قال: و كلّما كثرت رغوّه اللّبن كان أطيب لبنا من المضارع، يقول درّى يتعجل للصّبي و ذلك أنّ الصّبي لا يصبر و المراعى أطيب، و أمّيا فوره العشاء فعند العتمه، يقال: أتيته فوره العشاء و عند فوره العشاء، و إنّما هو من فار الظّلام إذا علا و ارتفع. أبو عبيده: أتيته ملس الظّلام أى حين يختلط الظّلام بالأرض، و ذلك عند صلاه العشاء و بعدها شيئا، و فعلته عند ملس الظّلام، و هو مثل الملت، و عند غلس الظّلام أيضا، و دمسه و جنحه و غسقه. و أتيته في غسق اللّيل، و حين غسق اللّيل أى في اختلاط و حين اختلط. ثم الشّميظ و هو مشبه بالشّيب لياض الفجر في سواد اللّيل كالشّيب في الشّعر الأسود، و يقال: غسق يغسقا و غسقا. قال تعالى: وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ [سوره الفلق، الآيه: ٣].

و قال كعب: حتّى إذا ذهب الظلام و الغسق. و يقال: تحندس الليل من الحندس و هو شدّه سواد الليل و ظلّمته، و الجمع حنادس و حناديس. قال: و أدركت منه بهيما حندسا، و ليله مدلهّمّه و ملطخّمّه و خداريه. و قالوا: القتره: الظلمه مع الغبار، و فى القرآن: تَزَهَّقُهَا قَتْرَةٌ [سوره عبس، الآية: ٤١] و يقال: مضى جرس من الليل بالسين غير معجمه، و الجميع أجراس و جروس قال:

حتّى إذا ما بركت بجرس أخذت عشيّ و نفعت نفسى

و مضى عنك من الليل، و عنك و الجميع أعناك قال:

فقاموا كسالى يلمسون و خلفهم من الليل عنك كالتعامه أفعس

أى طال، و انحنى: أفعس.

قال يعقوب: و سمعت أبا عمرو يقول: العنك ثلث الليل الباقي، و أعطيه عنكا من مال أى قطعه، و يقال: سجا الليل و أسجى، قال تعالى: وَ الضُّحَى وَ اللَّيْلُ إِذَا سَجَى [سوره الضُّحَى، الآية: ١-٢]. و يقال: يوم أسجى، و ليله سجواء، و هى اللينه الساكنه، و بعير أسجى، و ناقه سجواء أدمه، و يقال: مضى ملّى من الليل و الجميع أملاء، و مضى هدى و الجمع هدوء، و مضى بضع من الليل، و هنىء من الليل: قطعه، و مضى هزيع من الليل أى ساعه و الجميع هزع. و قال بعضهم: الهزيع من الليل التّصف، و يقال: اهتزعوا أى خرجوا بهزيع من الليل. و جرش من الليل بالشّين المعجمه.

قال يعقوب: و حكى الفراء: جئته بعد جوش من الليل، و جوشن من الليل. قال إذ الدّيك فى جوشن من الليل أطر. و قال بعضهم: الجوشن: وسط الليل. قال ذو الرمه:

تلوم نهباه بياه و قد مضى من الليل جوش و اسبطرت كواكبه

و قال ابن أحمّر شعرا:

يضىء صبيرها فى ذى حىّ جواش ليلها بينا فينا

أى قطعه من الأرض بعد قطعه، و قال: جواش هذا الليل كى يتمّولا. و بقيت جهمه من الليل، و جهمه أيضا، و الجهمه: بقيه من سواد الليل فى آخره. قال الأسود شعرا:

و قهوه صهباء باكرتها بجهمه و الدّيك لم يتعب

و حكى: جهنه من الليل بالنون، و قال بعض أهل اللّغه: جهينه اسم الخمره منها يشفق. و قال بعضهم: الجهمه السّحر. و حكى أبو حاتم، و الهجمه لغه فيها الهاء قبل الجيم و الفعل عنها اجتمه و اهتجم و اجتهن، و مضى وسع من الليل يكون من أوّله إلى ثلثه

ربعه. و جوز من الليل أى نصف من الليل، و الجميع: أجواز، و قال: النَّضْرُ جوز الليل:

وسطه. و يقال: انطلقنا فحمه العشاء، و الجميع فحمت أى فى أول الظلمه. و قال بعضهم:

فحمه العشاء شدّه الظلمه، و يقال: فحموا من الليل أى لا تسيروا فى أول الليل حتى تذهب فحمته، و أفحموا أيضا و كأنه مأخوذ من الفحم.

و قال ابن الأعرابي: الفحمه ما بين غروب الشمس إلى نوم الناس، سميت فحمه لحرّها و أول الليل أحرّ من الآخر. قال: و لا تكون الفحمه فى الشتاء و ذلك لأنه لا حرّ فيفحمهم، و إنما يفحمون ليكن الحر عنهم فيسيرون ليلتهم و قيل: فحمه العشاء من لدن المغرب إلى العشاء الآخره.

و قال أبو صالح الفزارى: فحمه العشاء: من لدن العشاء إلى نصف الليل، يقال:

أفحم القوم إذا أناخوا فحمه الليل. و جاءنا بعد هجعه من الليل أى نومه، و مضت جزعه من الليل أى ساعه من أوله، و صبه من الليل نحو جزعه و كما استعمالا فى أول الليل استعمالا فى آخره أيضا فقل: بقيت جزعه من الليل و بقيت صبه من الليل.

و حكى النَّضْر: أتيته بسدفه من الليل. و مضى طبق من الليل: أى هوى منه و جاء بسحره بدهمه. و جاء سحيرا: أى فى آخر الليل و جاء بأعلى سحرين أى: بالسحر الأعلى.

قال الدّريدى: العرب تقول: جئتكَ بالسّحر بالألف و اللّام، و جئتكَ بسحر و بسحره، و بأعلى السحرين، و جئتكَ سحر، و لم ينوّنوا فيقولون: سحرا أصلا، و الكلام فى هذا و أشباهه قد مضى مستقصى.

و حكى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال: ليس فى كلام العرب: أانا سحرا إنّما يقولون: أانا بسحر. و يقول: جئتكَ تنفس الصّبح أى عند أوله. و فى القرآن: وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [سوره التكوير، الآية: ١٨] و قد جسر الصّبح يجسر جشورا أى: بدا لك. و منه سميت الجاشريه للشّريه عند الصّبح، و يقال: جئتكَ فى غبش الليل و الغبش حين تصبح.

قال: منظور الأسدى:

موقع كفى راهب يصلّى فى غبش الليل أو التثلى

و قيل الغبش: بقيه لم يفضحها نهار، قبيل الفجر، و يقال: أتيته بغبش من الليل، و يقال: غبش الليل و أغبش. و غطش و أغطش، فأما العسوس و العسوسه فهما تنفس الصّبح، و قالوا: عسوس الليل عسوسه إذا أظلم.

و قال بعضهم: عسوس ولى فهذا من الأضداد، و هو قول ابن عباس قال: عسوس:

أدبر. و قال علقمه بن قرط:

حَتَّى إِذَا لِلصَّبْحِ لَنَا تَنَفَّسًا وَانجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَ عَسَعَسَا

و قال آخر:

وردت بأفراس عتاق و قتبتهقوارط فى أعجاز ليل معسوس

كأنه أراد هاهنا الظلمه، و مثله فى المعنى:

قواربا من غير دجن نسامدّرعات اللّيل لَمَّا عَسَعَسَا

و البلجه: فى آخر اللّيل عند الصّبح، و التّنوير: عند الصّلاه قال:

طال ليلي أراقب التّنوير أرقب الصّبح بالصّباح بصيرا

قال النّضر: جئته بعد ما مضى و هن من اللّيل أى ساعه، و بعد هده من اللّيل. و قال بعضهم: الموهن حين يدبر اللّيل. و أوهن الرّجل: صار فى تلك الساعه. و بعد هدأه من اللّيل و بعد ما هدأت الرّجل. و بعد ما هدأت العيون، و قالوا: تعجس من اللّيل و هو الفريغ و السّعواء بعد الوهن، قال: و قد مال سعواء من اللّيل أعوج. و يقال: مضى هيتاء من اللّيل، و قطع. قال: سرت تحت إقطاع من اللّيل ظلتى. و السّاعه الطويله ملاء، و يقال: أتيت غطشا و يغطش. و مضى سبج من اللّيل أى: قريب من وسطه و نصفه. أبو زيد: مضى اللّيل عشوه و هو ما بين أوّل اللّيل إلى ربه. الكسائى: مضى سعو من اللّيل و سعواء من اللّيل أى:

ساعه. و مضى هتأ من اللّيل، و حكى الأحمر: هتى و هتأ من اللّيل.

و حكى قطرب و غيره: ذهب هيتاء من اللّيل، و يقال: ما بقى إلا- هتأ عن غنمهم أو إبلهم، و هو الأوّل من الأقل من الباقي أو الذّاهب. و يقال: مضى دهل من اللّيل أى صدر، و أنشد لأبى هجيمه شعرا:

مضى من اللّيل دهل و هى واحده كأنّها طائر بالدود مذعور

و يقال: مضى مهواء من اللّيل أى طائفه منه. و مضى مهوان من اللّيل: أى هوى منه.

و يقال فى واحد الإناء من قول الله تعالى: آناء اللّيل* [سوره آل عمران، الآية: ١١٣] مضى آنى و آنى و إنى و إنى. قال الهذلى شعرا:

حلو و مر كعطف القدح مرته فى كلّ آنى قضاه اللّيل ينقل

و يقال: تصبب اللّيل و هو أن يذهب إلّا قليلا. و فعلته عند تصبب اللّيل. و كذلك أبهار اللّيل إذا ذهب عامته. و بقي نحو من ثلثه. قال الأصمعيّ: أبهار اللّيل انتصف.

و البهره: الوسط من كل شىء. و بهره الصدر ما ضمّ الصدر من الزور و جمعها بهر. و قيل:

ابهيراره طلوع نجمه، و ذهاب فحمته، حتى بهرت نجومه سواده. و الشفق بقيه ضوء الشمس و حمرتها من أول إلى قريب من العتمه، و يقال: فعلته عند غيوبه الشفق، و هما شفقان من أول الليل كما أنّ الفجر فجران من آخر الليل. و الهبه الساعه يبقى من الشجر و يقال: ثرنا بهبه من الليل. قال أبو نصر حكاية عن الأصمعيّ: الفجر أول ضوء تراه من الشمس في آخر الليل كما أنّ الشفق آخر ضوء منها في أول الليل. و يقال: فجر الصّبح يفجر أو فعلت هذا حين انفجر الصّبح و انفلق. و سطع سطوعا و الشاطع أسنى من الطالع. يقال: أدلجنا عند الفلق و الفرق، و عند الانفلاق، و فى القرآن: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [سوره الفلق، الآية: ١].

و قال قطرب: تميم تقول: فرق الصّبح، و غيرهم فلق الصّبح، و الفلق أيضا الطريق بين الجبلين، و ناشئه الليل: ما ينشأ منه، و من ذلك قولهم: غلام ناشئ و نشأت سحابه، و فى القرآن: إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً [سوره المزمل، الآية: ٦] أى أشد مكابره، و من قرأها و طاء أى مواطأه من قولك تواطأ القوم: إذا اجتمعوا على أمر كان أحدهم يطأ حيث يطأ صاحبه. و النّشيه مثل النّاشئه، و يقال فى الجاربه: نشيه أيضا أحوالها فى النّشاء و النّشيه أيضا حجر يكون على الحوض من قوله: هرقناه فى بادى النّشيه داثر. و عمود الصّبح نفسه.

و الصّديع الصّبح. قال: كأنّ بياض لثبته صديع. و إيضاح الفجر و إيضاحه إضاءته و استنارته.

و أصله: الانشقاق و منه: انضاحت العصا أى انشقت، و أدلجنا ببلجه أى سرنا بسدف قبل طلوع الفجر، و تبلج الصّبح و انبلج، و فى المثل تبلج الصّبح لذى عينين، و جئتك عند البهر، أى حين بهر الصّبح ضوء القمر، و يقال: قمر باهر و أنشد:

و قد بهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمر

و الأسفار أن يرى موقع النّبل، و يقال: أتيته فى سفر الصّبح و الفجر، و أتيته سحريه.

و يقال: وردت الماء بالغطاط أى: قبل طلوع الفجر. و فعلت كذا عجيس الليل و عجساء الليل، و عجبس الليل أى آخر الليل. و منه قيل: تعجس عن كذا أى تحبس و تأخر. و يقال:

جئتك غلسا و جئتك جنح الليل، و قد جنح جنوحا. و جئتك عند تهوّر الليل و توهره. و ذلك إذا مضى إلّا قليلا. و التهور فى الليل: كالمثل و التّشبيه. قال يعقوب: مضت قويهه من الليل، أى قطعه و هذا من قولهم: قوه الصّيد إذا جاشه إلى مكان. و مضى سهوا من الليل:

أى بعد ما مضى صدره، و أصله الانبساط و الاتساع، و منه السهوه الصّفه. و السّاهيه ما اتّسع و استطال من غير حمر برد العين. و الزويه الطائفه من الليل. و قالوا: الصّيريم أول الليل و آخره جميعا لأنّه من الأضداد. و قال بعضهم: إنّما وقع عليهما لأنّه اسم لما يتصرّم من كلّ واحد منهما عن صاحبه قال:

فلما انجلى عنها الصّريم و أبصرت هجانا تسامى اللّيل أبيض معلما

و قال آخر:

علام تقول عاذلتى بلوم يؤرّقنى إذا انجاب الصّريم

و الدّيسق: النّور و البياض و يقال: انشقّ الصّبح عن ريحانه الفجر أى نسيمه. و يقال:

صبح مكذب و هو عجز اللّيل أى آخره، و ذلك إذا نهض بياض فى عجز اللّيل ثم ينمحي و يندجى عجز اللّيل، ثم يمهل ساعه، ثم يظهر شमित الصّبح و هو بياض فى سواد آخر اللّيل، و ذلك الصّبح المسدف و قال أبو ذؤيب:

شغف الكلاب الضاريات فواده فإذا ترى الصّبح المصدق يفرع

و الخيط الأسود هو عجز اللّيل ثم يشق خيط اللّيل عن خيط النّهار، فيقال: هذا خيط الصّبح و فى القرآن: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ [سوره البقره، الآيه: ١٨٧] و من ذلك قول الرّاجز: (مّرت بأعلى سحرين تذال) و أعلى سحرين هو قبل الصّبح. أبو حاتم يقال: قد شقّ الصّبح - و صدع - و سطع - و انفلق - و تنفس - و جشا - و جش - و ذلك إذا طلع و وضح، و يقال: شقّ حاجب الصّبح، و إذا طلع حاجبه و هو أوله فذلك تبشير الصّبح، و يقال: أذن الصّبح و منادى الصّبح و هما الصّبح بعينه. و بعضهم يقول: بل هو الطائر إذا نطق لا بان الصّبح و الصّبح - و الفجر - و الصّريم واحد و يقال كشط اللّيل عنا غطاءه - و رفع اللّيل عنا اكتنافه. و الاهتجام من آخر اللّيل. و قال بعضهم: هى الهجمه. و قال بعضهم: الجهمه الجيم قبل الهاء، و ذلك الاجتهام و الجهمه و العسجه سواء و هما من السّحر. و يقال: أتيته بأغباش السّواد - و الواحد غباش قبيل الصّبح - قال ذو الرّمه:

أغباش ليل تمام كأنّ طارقه تطخطحخ الغيم حتى ماله جوب

و قال ابن الأعرابى: علباء مضر تقول ولدته لتمام، ففتتح التاء و تميم تكسر، و يقال:

فى كل لغه ليل التمام بالكسر، و ذكر الأصمعى أنّه لا يكسر التاء إلا فى الحمل و اللّيل، و عقب اللّيل بقايا آخره و يقال: أتيته و قد بقيت علينا عقب من اللّيل - و أفراط اللّيل أول تباشيره، و الواحد فرط، و منه الفارط الذى سبق القوم إلى الماء فأما قول الهمدانى:

إذا اللّيل دجى و استقلّت نجومه و صاح من الإفراط هام جواثم

فقد اختلفوا فيه فقال بعضهم: إفراط الصّبح: لأنّ الهام إذا أحس بالصّباح صرخ.

و قال غيره: الفرط العلم المستقدم من أعلى الأرض، الذى يكون شرعا بين أحياء فمن سبق إليه كان له. و ذكر قطرب: يقال لما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سجسج. و من الزوال إلى العصر يقال له: الهاجره. و من العصر إلى الأصيل: غروب الشمس، و يقال العشى. ثم هو القصر و العصر إلى تطفيل الشمس و هو الطفل. و الجنوح: إذا جنحت الشمس للمغيب. ثم الليل من وقت غروبها إلى انتصاف الليل. الجنح ثم السدف و الملس و الملت و أتيته بمسى الليله أى عند المساء، و أتيته ممسيا و مساء. و حكى الفراء: أتيته ممسى خامسه و مسى خامسه و مساء خامسه، و حين ألقى الليل علينا رواقه و كنفه، و حين ألقى علينا سدوله و سدوره و سقطيه و جلبابه، و دخلنا فى جنان الليل و هو ما وراء ك. و قال:

جنان المسلمين أو دميساو إن جاورت أسلم أو غفارا

و أسطمه الليل وسطه، و كذلك أسطمه القوم و البحر للوسط، و الأكثر، و يقال: اصطم بغيرها، و سوق الليل ما دخل فيه و صم من شىء. و فى القرآن: وَ اللَّيْلُ وَ مَا وَسَقَ [سوره الانشقاق، الآيه: ١٧] و يقال: أتانا حين هدأت القدم، و حين هدا السامر، و جتتك بغطاش من الليل. قال أبو حاتم: هو من قوله تعالى: وَ أَعْطَشَ لَيْلَهَا [سوره النازعات، الآيه: ٢٩] و ثبح الليل و حومته و لجه معظمه.

و حكى الدرریدی: خرجنا بدلجه- و دلجه- و بلجه- و بلجه- و سدفة- و سدفة- و يقال:

دبر- و أدبر- و قبل النهار- و أقبل- و حكى أبو عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يقال هو الليل- و الأيهم- و السيد- و الأيهم- و الجمير- و الأعمى- و الأدهم- قال: و من نعوته و نعوت ظلمته: الغاضى- و المغضى- و الأسود- و الأدلم- و الأخضر- و الأصبغ- و الأقتم- و الأكلف- و البهيم- و الديجور- و الدجوجى- و الغيب- و المخم- و أطلس- و أطحل- و الأسجع- و الساجى- و الغيهبان- و الحذارى- و الحندس- و الأغضف- و الأغلف- و الأغطش- و الغاسق- و الكافر- و العافى- و الزويزى- و السمر- و الأغم- و الأسهم- و الساهم- و الأحلس- و الأغدف- و المغدف.

و من أسمائه: الغشى- و الأروق- و الأخطب- و الألمى- و الأحوى- و المدلهم- و الأحم- و الغاطى- و الجان- و المنخب- و الأقوس- و الجول- و العمس- و العكاس و العكس- و العكابس- و الحلوب- و الحلوكوك- و الدامس- و الداماء- و هو من أسماء البحر يشبه الليل به- و ذو السدود- و الأغبس- و الأسحم- و الأعشى- و الأغشى- و الغطاط- و الأغطى- و يقال: الغطاط عند السحر الأعلى- و يقال أيضا: أتيته بغطاط أى بشىء من سواد

اللَّيْلِ وَالْمَعْلَنَكْسِ - وَالْمَعْرَنَكْسِ - وَالْعَسْكَرَةَ الظَّلْمَةَ - وَالْمَطْخَطِخَ - وَقَسُورَةَ اللَّيْلِ شِدَّتَهُ وَغَسُوهَ - وَالطَّرْمَسَاءَ - وَالطَّلْمَسَاءَ - لِلظَّلْمَةِ فِي السَّحَابِ وَهِيَ مِنَ الضَّبَابِ أَيْضًا. وَقَالُوا:

غَبَاشِيرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ الضُّوءِ. وَالتَّبَاشِيرِ الْعَمُودِ نَفْسَهُ وَيُقَالُ: أَدْمَسَ اللَّيْلُ أَيْ أَظْلَمَ، وَيُقَالُ لِلظَّلْمَةِ: الْغَيْطَلَةُ. قَالَ الْفَرَزْدَقُ: وَاللَّيْلُ مَخْتَلَطُ الْغَيْطَلِ أَلَيْلٍ.

ابن الأعرابي: قيل في مثل يا هادي الليل جرت فالبحر أو الفجر يرفعان و ينصبان، والمعنى إنَّما هو الهلاك أو يرى الفجر كئني عن الهلاك بالبحر. ويقال: اغتمد ليلتك أي سر و اجعلها غمدا لك. و هذا كما يقال: اتَّخذَ اللَّيْلُ جَمَلاً و امتطاه. و يقال: اغتمد أَيْضًا.

و الطَّرَاقُ أَيْضًا اللَّيْلُ - وَ تَطَارِقُهُ تَرَاقِمُهُ. وَيُقَالُ: آتَيْتَكَ طَوِيَّ مِنَ اللَّيْلِ أَيْ بَعْدَ مَا مَضَتْ سَاعُهُ وَ كَذَلِكَ أُتَيْتَكَ قَوِيمَهُ مِنَ اللَّيْلِ.

الباب العشرون في أقطاع النهار و طوائفه - و ما يتصل به و يجرى مجراه

قال النَّصْر: النَّهَارُ مِنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَا يَعَدُّ مَا قَبْلَ طُلُوعِهَا مِنَ النَّهَارِ وَ جَمَعَهُ أَنْهَرَهُ وَ نَهَرَ. وَ قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ ضِيَاءٌ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَحْدِيهِ حَتَّى تَحُلَّ صَلَاةُ الضُّحَى.

وَ غَزَالَهُ الضُّحَى أَوْلَاهَا يُقَالُ: أَتَانَا فِي غَزَالِهِ الضُّحَى وَ هُوَ أَوَّلُ الضُّحَى أَى مَدَّ النَّهَارَ الْأَكْبَرَ.

فَأَمَّا رَأْدُ الضُّحَى فَحِينَ يَعْلُوكَ النَّهَارُ حَتَّى يَمْضَى مِنْهُ نَحْوَ الْخَمْسِ، وَ يُقَالُ: أَتَيْتَهُ ضَحِيًّا وَ رَادَا وَ قَدْ تَرَادَتِ الضُّحَى وَ تَرَادَهَا وَ تَزِيلُهَا وَ ارْتِفَاعُهَا وَ جُنَّتْكَ فِي فَوْعِهِ النَّهَارُ وَ هِيَ أَوْلُهُ.

وَ حَكَى بَعْضُهُمْ فَوْعَهُ كُلَّ شَيْءٍ أَوْلُهُ وَ فَوْعُهُ، وَ كَذَلِكَ فِيعَتُهُ وَ فِيعُهُ. وَ مِنْهُ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ أَوَّلِ فَوْعِهِ أَوَّلُ شَيْءٍ، وَ أَتَيْتَهُ مَدَّ النَّهَارِ، وَ هُوَ بَعْدَ الرَّأْدِ وَ أَتَيْتَهُ مَدَّ النَّهَارِ الْأَكْبَرَ. وَ جُنَّتْ حِينَ ذَرَّ قَرْنَ الشَّمْسِ، وَ حِينَ بَزَغَتْ وَ شَرَقَتْ وَ أَشْرَقَتْ، فَالشَّرُوقُ الطَّلُوعُ، وَ الإِشْرَاقُ الْإِنْبِسَاطُ وَ الإِضَاءُ وَ فَعَلْتَهُ حِينَ تَرَجَّلَتِ الضُّحَى، وَ النَّهَارُ وَ هُوَ عُلُوهُ وَ اخْتِلَاطُهُ.

وَ أَتَيْتَهُ غَدُوهُ وَ بَكَرَهُ، وَ هُمَا لَا يَصْرَفَانِ لِأَنَّ غَدُوهُ عِلْمٌ، وَ بَكَرَهُ نَحْوُهَا: وَ إِنِّي لَأَتَيْتُهُ فِي الْبَكَرَةِ - وَ أَتَيْتُهُ بَكَرًا وَ أَتَيْتُهُ غَدُوهُ بَكَرًا، وَ أَتَانِي غَدُوهُ بَاكِرَهُ - وَ الْمَبَكْرُ مَا جَاءَ فِي أَوَّلِ وَقْتٍ وَ كَذَلِكَ الْبَاكِرُ. قَالَ:

أَلَا بَكَرْتَ عَرَسِي بَلِيلَ تَلُومِنِي

وَ فِي الْحَدِيثِ: «بَكَّرُوا بِصَلَاةِ الْمَغْرَبِ» وَ يَكُونُ الْغَدَاةُ أَصْلَهُ ذَاكَ أَيْضًا. وَ مِنْهُ بَاكُورُهُ الزَّبِيْعُ وَ التَّبَكِيرُ أَوَّلُ الصَّيْلِ لَاهُ. وَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ بَكَرَ وَ ابْتَكَرَ» فَبَكَرَ يَكُونُ لِأَوَّلِ سَاعَاتِ النَّهَارِ. وَ قَالَ ثَعْلَبٌ: وَ يَجُوزُ فِي قَوْلِهِ ابْتَكَرَ أَى أَسْرَعَ إِلَى الْخُطْبَةِ حَتَّى يَكُونَ أَوَّلَ دَانَ وَ سَامِعٌ، كَمَا يُقَالُ: ابْتَكَرْتَ الْخُطْبَةَ وَ الْقَصِيدَةَ أَى اقْتَضَيْتَهَا وَ ارْتَجَلْتَهَا ابْتِدَاءً لَمْ أَرَوْ فِيهَا.

وَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ شِعْرًا:

إِذَا هُنَّ بَاكِرْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ جَنَى النَّخْلِ أَوْ أَبْكَارَ كَرَمٍ تَعْطِفُ

أراد أنها حملت أول حملها. و يقال: أتانا بعد ما متع النهار الأكبر، يريد بعد ما علا النهار و استجمع النهار. و ذكر بعضهم: متع النهار متوعا إذا ارتفع، و ذلك قبل الزوال.

و انتفح النهار و ذلك قبل نصف النهار، و فى قبل النهار أى فى أوله و فى الضحاء الأكبر.

و أتيت شدة النهار، و ذلك حين ارتفع النهار. قال عنتره:

عهدى به شدّ النهار كأنما خضب اللّيان و رأسه بالعظم

بالعندم. و يروى مدّ النهار. و أتيت كهر النهار. و قال الشاعر:

و إذا العانه فى كهر الضّحى دونها أحقب ذو لحم زيم

و قال ابن أحرمر فى نحر النهار:

ثم استهلّ علينا و اكف همع فى ليله نحرنا شعبان أو رجا

و حكى قطرب: (الجون) النهار. قال و الجون فى لغة قضاعة الأسود و فيما يليها الأبيض. و فعلته فى شباب النهار- و فى نحر النهار- و فى وجه النهار- و فى هادى النهار، و هادى كلّ شىء مقدمه- و فى القيظ الهاجره- و هو قبل الظهر بقليل، و سميت هاجرته، لأنّ السّير يهجر فيها، و جعل الهجران للوقت على المجاز، و يقال: هجر القوم و تهجّروا أى ارتحلوا بالهاجره. و أهجروا دخلوا فى الهاجره. و الظّهيره نصف النهار فى القيظ حتى تكون الشمس بحيال رأسك فتركد. و ركودها أن تدوم حيال رأسك كأنها لا تريد أن تبرح.

و أتيت فى فرع النهار: أى فى أوله، و حكى: بشس ما أفرعت أى ابتدأت. و الفرعه أول نتاج النّاقه. و يقال: أفعل هذا فى تلغ الضّحى أى فى ارتفاعها. و يقال: تلغ النهار: أى ارتفع. و تلغ الطّيبى أخرج رأسه من الكناس و أتلع رأسه فنظر. كما يقال: طلع و أطلع.

و أتيت حدّ الظّهيره و فى نحر الظّهيره قال:

حدّ الظّهيره حتى ترحلوا أصلاً إنّ السقاء له رمّ و تبليل

و جئت فى الظّهيره و عند الظّهيره و بعضهم يجعله على تصرّفه من الظهور و بعضهم من الإظهار و هو شدّه الحر، و حكى أبو سعيد السّكرى يقال: صلينا عقب الظّهيره، و أعقاب الظّهيره أى تطوعا بعد الفريضة. و جئت فى عقب النهار إذا جئت و قد مضى و كذلك عقبانه، و جئت فى عقبه و معقبا إذا جئت و قد بقيت منه بقيه.

و أتتته عند اصمقارار الظهيره: أى حين اصمقرت الشمس و صخذت. و زرتة بالهجير، و عند آخر الهجير قال العجاج شعرا:

كأنه من آخر الهجير قرم هجان همّ بالغدور

و الهجير فعيل بمعنى المفعول و كما قالوا: هاجره على المجاز قيل هجير على التحقيق أيضا. فأما تأنيث الهاجرة فكان. المراد بها، و بأمثالها السّاعة. و أما التذكير حيث جاء فلان:

المراد به الوقت- و قولهم: الهجير لو أريد به السّاعة لألحقوا به الهاء بعد أن قطع عن الموصوف، و سلك به طريق الأسماء كما لحق بقوله البيّنه و هى الكعبه و اللقيطه و ما أشبههما.

و أتيته بالهجير الأعلى، و فى الهاجرة العليا: يريد فى آخر الهاجرة. و أتيته بالهويجره و ذلك قبل العصر بقليل، و أتيته هجرا. قال الفرزدق:

كأنّ العيس حين أنخن هجرامفقاه نواظرها سوام

و يقال: أتيته حين قام قائم ظهر، أى فى الظهيرة، و أتيته حمى الظهيرة و حين صخدت الشّمس و أزمنت بالركود، و أظهر فلان و خرج مظهرا أى داخلا فى الظهيرة و ظهر فلان: نزل فى الظهيرة و به سمى الرّجل مظهرا.

و أتيته صكه عمى و أعمى: أى نصف النهار إذا كادت الشّمس تعمى البصر و قد يصرف فيقال: عمى. و رواه أبو عمرو عمى على فعيل، و هذا على أنّه تصغير أعمى مرخّم مثل زهير و سويد، من أزهر و أسود. و معنى صكه أى كأن الشّمس تصكّ وجهه ملاقيها، و لو قيل:

صكه أعيم لكان على الأصل. الأصمعى القائله التّزول و الحطّ عن الدّواب و الاستظلال، و يقال: أتانا عند القائله و عند مقيلنا، و عند قبولتنا، و رجل قائل و قوم قيل. قال العجاج:

إن قال قيل لم أكن فى القيل

و الغائره: الهاجرة عند نصف النهار و غور القوم: نزلوا فى الغائره، و يقال: أتيته عند الغائره: يريد عند آخر القائله. و حكى الأصمعى: غوروا بنا فقد رمضتمونا، و يقال: ارتحلوا فقد غورتم أى أقمتم و نمتم، و الأصل الحطّ عن الدّواب و التّزول. و نزلنا دلوك الشّمس، و ذلك حين تزول عن كبد السّماء و دلكت أيضا غابت، و قال الله تعالى: أقيم الصّلاة لدلوك الشّمس [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] فهذا حجه فى الزّوال، و أنشد الدرّيدى حجه فى الغيوبه:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتّى دلكت براح

أى غابت الشّمس فصارت فى المغرب فستر عنه براحتة، قال أبو بكر: هذا قول الأصمعى، و احتجّ بقوله: ادفعها بالزّاح كى تزحلفا. يقال: نزلنا سراة النهار أى: ارتفاعه، و نزلنا عند مدحض الشّمس و قد دحضت الشّمس تدحض دحوضا و دحضا و ذلك إذا كان بين الظّهر الأولى و العشى ما سفل من صلاه الأولى و بعد العصر الأصيل.

وَأَتَيْتَكَ عَشِيَهُ أَمْسٍ آتِيَهُ الْعَشَى لِيَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ وَسَاءَ آتِيَهُ عَشَى غَدٍ بَغِيرِ هَاءٍ، وَ كُنْتُ

آتیه بالعشى و الغداه و غدوا و عشيا أى كلّ غداه و عشيه و آتیه عشاء طفلا و ذلك عند مغيب الشمس، حين تصفر و ينقص ضوءها(١).

قال لبيد: و على الأرض غيابات الطّفل، و قد طفلت الشمس إذا دنت للمغيب.

و يقال: آتيته مرهق العشاء أى حين أتاننا، و قد أرهق الليل و أرهقنا القوم لحقونا، و أرهقتنا الصلاه: أى استأخرنا عنها. و قال أبو زيد: أرهقنا الصلاه أى: أخرناها حتى يدنو وقت الأخرى.

و زرتة قصرنا و مقصرا: أى عشيا، و قد أقصرنا: أى أمسينا. قال:

فأدر كهم شرق المروراه مقصرا بقيه نسل من بنات القراقر

و قد أصلنا و أتينا أهلها موصلين.

و قال الأصمعى: آتيته أصلا و أصيلا و أصيله و الجمع أصائل و آصال.

قال أبو ذؤيب:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله و أقعد فى أفيائه بالأصائل

و قال الأسدي: من غدوه حتى دنا فى الأصل. قال تعالى: بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ* [سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥] [سورة الزعد، الآية: ١٥] [سورة التور، الآية: ٣٦]. و قال يعقوب: آتيته أصيلانا و أصيلانا و هو تصغير أصيل على غير القياس كما صغروا عشيه عشيشيه و عشيه و عشيشيانا و عشيانا كلّ هذا بمعنى العشيه قال:

عشيشيه و الليل قد كاد يستوى على وضح الصّحراء و الشمس مطرف

و قد قالوا: آتيته مغيران الشمس و مغيرانات. و قال بعضهم: كأنهم جمعوا أصيلا على أصلان كما تقول: بعير و بعيران ثم صغروا أصلان فقالوا: أصيلان ثم أبدلوا من التّون لاما فقالوا: أصيلا، و التّصغير فى الأزمان على طريق التّقريب على ذلك قولهم: قبيل الزّوال و العصر و بعيدهما. و كذلك يجىء فيما يكون من الأماكن ظرفا نحو: دوين و فويق و تحيت. فأما الجمع فمردود على أجزائه كأنه يجعل كلّ جزء من أجزاء العشيه عشيه، و لا

١- قال العلامة جلال الدين السيوطى رحمه الله فى كنز المدفون و الفلك المشحون: إنّ من ساعات النهار الذرور- ثم البروغ- ثم الضّحى- ثم الغزاه- ثم الهاجره- ثم الزّوال- ثم الدّلوک- ثم العصر- ثم الأصيل- ثم الصّبوب- ثم الحدور- ثم الغروب- و يقال فيها أيضا البكور- ثم الشّروق- ثم الإشراق ثم الراد- ثم الضّحى- ثم المتوع- ثم الهاجره- ثم العصر ثم الأصيل- ثم

الطّفل - ثم الغروب. ١٢ القاضي محمد شريف الدين عفا عنه.

يُمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُهُ عَلَى مَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَوْقَاتِ كَمَا قَالُوا: ضَخَمَ الْعِشَاءِينَ، وَ كَمَا أَنَّهُمْ يَقْصِدُونَهُ بِمَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَوْقَاتِ فَيَجْمَعُونَهُ كَذَلِكَ يَقْصِدُونَهُ مَجْرَدًا مِنْ غَيْرِهِ فَيَقُولُونَ: جِئْتَهُ ذَاتَ الْعِشَاءِ، يَرِيدُونَ السَّاعَةَ الَّتِي فِيهَا الْعِشَاءُ لَا غَيْرَ، وَ هَذَا حَسَنٌ، وَ يُقَالُ مَسَى خَامِسَهُ وَ مَمَسَى خَامِسَهُ، وَ مَسَاءَ خَامِسَهُ، وَ مَسِيَانَ أَمْسَ، وَ مَسَى أَمْسَ وَ جِئْتَهُ صَبْحَ خَامِسَهُ وَ مَصْبَحَ خَامِسَهُ، وَ آتَيْكَ مَمَسَى اللَّيْلَةَ أَى عِنْدَ الْمَسَاءِ قَالَ:

يَا رَاكِبَا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظْنَهُمْ صَبْحَ خَامِسَهُ وَ أَنْتَ مَوْفِقٌ

وَ حَكَى يَعْقُوبُ: لَقِيْتَهُ بِالضَّمِيرِ وَ هُوَ غُرُوبُ الشَّمْسِ مِنْ قَوْلِهِ:

تَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبَلَادِيخْفَى وَ يَقْطَعُ مَنَا الرَّحْمَ

وَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ: أَعَيْنَ لَابِنَ مِيَهُ أَوْ ضَمَارَ.

وَ يُقَالُ: جِئْتَهُ مَرْمِضَ الْبَحِيرِ، وَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: رَمَضْتَ الْغَنَمَ رَمَضًا: إِذَا رَعَتْ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ فَتَحِينُ رِئَاتِهَا وَ أَكْبَادُهَا فَتَقْرَحُ، وَ رَمِضَ الرَّجُلُ أَحْرَقْتَهُ الرَّمِضَاءَ، وَ هُمُ يَرْمِضُونَ الطَّبَاءَ أَى يَأْتُونَهَا فِي كَنَسِهَا فِي الظَّهِيرِ فَيَسُوقُونَهَا حَتَّى تَفْسَحَ قَوَائِمُهَا فَتَصَادُ. وَ فِي الْحَدِيثِ:

«صَلَّهَا إِذَا رَمَضْتَ الْفِصَالَ» وَ هُوَ وَقْتُ تَقُومُ مِنْ مَوَاضِعِهَا لِتُؤْذِيهَا بِالْحَرِّ. وَ يُقَالُ: فَعَلْتَهُ عِنْدَ مَتَضَيِّفِ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ.

وَ فِي الْحَدِيثِ: «يُؤَخَّرُونَ الصَّيْلَةَ إِلَى شَرْقِ الْمَوْتَى» وَ فَيَسِّرُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ عَنِ الْحَيْطَانِ وَ صَارَتْ بَيْنَ الْقُبُورِ كَأَنَّهَا لَجَّةٌ وَ قِيلَ: هُوَ أَنْ يَمِصَّ الْإِنْسَانُ بَرِيقَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَأَنَّهُ يَرِيدُ لَا يَبْقَى مِنَ النَّهَارِ إِلَّا مَقْدَارٌ مَا بَقِيَ مِنْ نَفْسٍ ذَلِكَ. وَ يُقَالُ: أَتَيْتَهُ بِشِفَا أَى بِشَىءٍ قَلِيلٍ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ. قَالَ الرَّاجِزُ:

أَشْرَقَتْهُ بِلَا شِفَاءٍ أَوْ بِشِفَاوِ الشَّمْسِ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنْفَا

وَ حَكَى ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: الْقَصْرُ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَ الْقَصْرُ أَيْضًا إِذَا كَانَ بَعْدَ سَاعَةِ فَهُوَ الظَّهِيرُ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ الْأَصِيلُ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ سَاعَةِ وَ هُوَ الطِّفْلُ فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ الْعَرَجُ (١) (حَتَّى إِذَا مَا الشَّمْسُ هَمَّتْ بِعَرَجٍ) وَ (التَّضْمِيرُ) الدَّخُولُ فِي الضَّمِيرِ، يُقَالُ: ضَمَرْنَا وَ أَضْمَرْنَا وَ ضَمَّرْنَا وَ قَصَرْنَا وَ أَقْصَرْنَا، وَ قَصَّرْنَا، وَ عَرَجْنَا وَ أَعْرَجْنَا وَ عَرَجْنَا فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ التَّضْيِيفُ. فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ الشَّفَقُ وَ هُوَ الْأَحْمَرُ، فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ وَ ظَهَرَ الْبَيَاضُ فِي تِلْكَ الْحَمْرَةِ فَهُوَ الْمَلْتُ، فَإِذَا اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا قَلِيلًا فَهُوَ الْمَقْسُورَةُ. فَإِذَا اسْوَدَّ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ الْفَحْمَةُ، فَإِذَا جَاءَتِ الْعَتَمَةُ فَهِيَ الْعَتَمُ.

و ذكر الدريدي الزيم من آخر النهار و اختلاط الظلمه، و هذا يجوز أن يكون من ريم الجزور، لأنه آخر ما يبقى منه و يأخذه الجارز. قال:

و كنت كعظم الزيم لم يدر جازرا

و حكى ابن الأعرابي: انصرفوا برياح من العشى، و أرواح من العشى إذا انصرفوا و عليهم بقيه من النهار و أنشد لرفيع الوالبي الأسدی:

و لقد رأيتك بالقوادم نظرهو على من سدف العشى رباح

و بيان هذا الذى قاله أنه يقال: هبت لفلان ريح الدوله، و السلطان فكان المراد:

و انصرفوا و للعشى سلطان. فأما الشاعر فإنه جعل السدف كناية عن الشباب و السواد بدلاله أنه قال بعد هذا البيت:

خلق الحوادث لمتى فتركن لى رأسا يصل كآته جماح

و قال بعض أصحاب المعانى: يقال: إنى على بقيه من رباح: أى أريحته و نشاط و هذا يقرب ما قلنا.

و (فواق) من الزمان مقدار ما بين الحلبتين و فى القرآن: ما لها من فواق [سوره ص، الآية: ١٥].

و الصريم: يقع على الليل و النهار لأن كل واحد يتصرم عن صاحبه و قوله تعالى:

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ [سوره القلم، الآية: ٢٠] قيل: كالليل المظلم و قيل: كالنهار أى لا شىء فيها كما يقال سواد الأرض و بياضها، فالسواد الغامر، و البياض الغامر، و قيل: كالصريم:

أى المصروم المقطوع ما فيه و يقال: ما رأيت في أديم نهار و لا سواد ليل.

و يقال: ابتلجا ببلجه و بلجه و ذلك قبل الفجر، و قد تبلج الصبح. و فى المثل: تبلج الصبح لذى عينين. و انبلج أيضا. أبو زيد يقال: انتصف النهار و لم يعرفوا الأنصاف، و قد أباه الأصمعى، و قال: لا يقال الأنصف، و أنشد للمسيب بن علبس شعرا:

يمد إليها جیده رمیه الضحى كهزك بالكف البرى المدوما

يعنى بالبرى القدح إذا سوى و لم يرش و تدويمه ثباته فى الأرض.

و حكى الفراء عن المفضل قال: آخر يوم من الشهر يسمى ابن جمير بضم الجيم، و قال ابن الأعرابي: هو ابن جمير بالفتح، قال الفراء و أنشدنا المفضل:

وإن أغاروا فلم يحلوا بطائلهنفي ظلمه من جمير ساوروا العظما

يعنى الذئب و العظماء جمع عظيم و أنشد الأصمعي:

نهارهم ليل بهيم و ليلهم و إن كان بدرا فحمه بن جمير

و يقال: هو الليله التي لا يطلع فيها القمر، و روى بعضهم بيت الأعشى:

و ما بالذى أبصرته العيون من قطع بأس و لا من فنن

و قال: معناه و لا من قرب يقال: سعى فننا و فنا أى ساعه.

و مما حكى لا يبيتن أحدكم جيفه ليل قطرب نهار. القطرب: دويبه تقطع نهارها بالمجى ء و الذهاب.

و من أمثالهم: دلهمس الليل برودا المنتجع، يقال لمن يغيب عن فراشه فى غاره أو ريبه و ما يجرى مجراها، برودا المضجع: أى لو كان أويا الفراش لكان سخنا، و كذلك قوله: دلهمس أى ليله أبدا مظلم لأنه لص.

و يقال: أقصر الرجل كما يقال: أمسى و أقصر إذا أخر أمره إلى العشى، أو جاء فى ذلك الوقت. قال: حتى إذا أبصرته للمقتصر، و قصر الشئ ء غايته هو الأصل. قال: كل من بان قصره أن يسيرا.

و يقال: بات فلان بلبله القد بالذال و الذال جميعا، و هو القنفذ، و يقال: إنه لا ينام لذلك قال شعرا:

قوم إذا دمس الظلام عليهم حدجوا قنafd بالنميمة تمزع

و يقال: ما بقى من النهار إلا نوه حتى كان كذا أى ساعه. و منه ذهب توا أى: منفردا.

و ممّا يجرى مجرى المثل قوله: أسائر اليوم و قد زال الظهر. أى: أبقى اليوم من سير يسير و سار يسير أى بقى فكأنه قال: أ تنتظر حاجتك غابر يومك و قد مضى أكثره و لم يقض لك.

و يقال: لقيته غارضا باكرا من الغريض الطرى.

و يقال: لقيته غدوه غدوه و بكره بكره، و إنه ليخرج غديه و بكيره غير مصروف و أتيته فى سفر الصبح، و فلقه و فرقه، و لقيته عند التنوير و الإناره، و أتيته حين الصبح و حين صدع.

و يقال: أتيته أمسيه كل يوم، و أصبوحه كل يوم، و صبحه كل يوم و صباحه كل يوم، و أتيته فى فناء النهار و ذكائه، و روق النهار، و فى ريقه و أنشد ابن الأعرابى:

و الله لا و بيض دمج أهون من ليل قلاص تمعج

مخارم اللّيل لهنّ بهرج حتى ينام الورع المزنج

وقد يقال: محارم الليل بالحاء غير معجمه، وهى مخاوف الليل يحرم على الجبان أن يسلكها. (و الّدمج): و المدجه الخلق. و تمعج: تغدو، يهرج أى يقطمه و يبطله و المزنج النّسل: الذى ليس بتام الحزم.

و قال و يقال: أتيته بالغدايا و العشايا، و جاز الغدايا لاقترانه بالعشايا، و جمع غداه:

أغديه و أغديات، و عشاء و أعشيه و أعشيات. و يقال: غديه و غديات، و عشيه و عشيات، و ضحيه و ضحيات. قال:

ألا ليت شعرى من زيّاره أمسيه غديات صيف أو عشيات أشتية

كذا رواه ابن الأعرابى، و غيره يرويه غديات، و يقال: أتانا عشوه و عشاوه و ذلك عند غروب الشّمس.

تم الجزء الأول و يتلوه الجزء الثانى، و أوله: «الباب الحادى و العشرون» فى أسماء السماء و الكواكب و الفلك و البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩